الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية – قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رقم التسلسل .....

رقم التسجيل .....

حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العثماني

إعداد الطالبة: زبيدة خليفي

تحت إشراف الدكتورة: عميراوي أحميده

لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
الرئيس	.....	.....	.....
المقرر	عميراوي احميده	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
المناقش	.....	.....	.....
المناقش	.....	.....	.....
المناقش	.....	.....	.....

السنة الجامعية: (2004 / 2005م)

نوقشت يوم.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــداء

إلى الوالدين اللذين كانا مصباحا منيرا يهديني إلى أحسن السبل نحو تحقيق طموحي في الدراسة والعمل والحياة

إلى زوجي الذي كان معينا لي وصابرا علي ومشجعا لي لإتمام بحثي إلى كل أفراد عائلتي الذين رافقوا مسيرة بحثي منذ أن كان فكرة وعنوانا إلى أن صار أفكارا وآراء إلى أختي سهام ووداد إلى أخي وصديقي محمد إلى أخي منير إلى خالي وناس وخالتي وإلى البراعم أكرم وحماده ومنى ورائد ووفاء

إلى كل هؤلاء الذين أحبهم ...أهدي هذا البحث المتواضع عساه يجد لديهم قبولا حسنا

زبيدة خليفي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات

ش. و. ن. ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

مخ. م. و. لج: مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر

م. و. ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

و: وجه ورقة المخطوط

ظ: ظهر ورقة المخطوط

ق: ورقة المخطوط

تح: تحقيق

ع: عدد

R. A: Revue Africaine

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــــة

يعتبر العهد العثماني من أهم فترات تاريخ الجزائر، لأهمية الأحداث التاريخية التي وقعت فيه، الأمر الذي جعله موضع اهتمام مؤرخي الجزائر، حيث ظهر عدد من الباحثين كتبوا في مختلف الموضوعات: الجغرافية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وتدفعني رغبة كبيرة للمشاركة في مجال الكتابة العلمية في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، لهذا ارتأيت أن أنجز بحثا منهجيا أتناول فيه الواقع الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني، وذلك بالتعرض إلى الكتب المؤلفة في تلك الحقبة التاريخية، لأخذ صورة عن ذلك العصر وخدمة البحث العلمي والتاريخ المحلي بالتعرف على المؤرخين الجزائريين في ذلك العهد، وطبيعة الكتب التاريخية المؤلفة في العهد العثماني التي تعد مرآة عاكسة لحياة ونشاط المؤلف، فمن خلالها نستطيع التعرف على ميولا ته وأفكاره، وزيادة على ذلك فهي تضم وثائق لا غنى عنها في دراستنا التاريخ الاجتماعي والديني والثقافي.

وبما أنه يستحيل علينا دراسة كل الكتب المؤلفة في العهد العثماني في بحث واحد، فقد قمنا بدراسة بعض هذه الكتب فقط، لهذا كان موضوع بحثنا: "حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني"، باعتباره من الموضوعات التي تحتاج إلى من يزيل عنها الغموض، ويكشف عن بعض حقائقها.

وتتمثل أبرز الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع لرغبتي الشديدة في التعرف على جانب من واقع الثقافة الجزائرية خلال العهد العثماني، وعن أهم مؤلفاته.

ولعل هذا سبب كاف لاختياري موضوع: "حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني"، وكذلك لأمل أن تكون العناية أكثر إلى معرفة نوعية الكتب المؤلفة، ولغة تدوين هذه المؤلفات وأسلوبها التأليفي. زد على ذلك فإن هذا الموضوع لم يفرد له دراسة خاصة، وإنما يشار إليه في سياق الكلام. ومن بين الذين تعرضوا إلى دراسة واقع الثقافة الجزائرية خلال العهد العثماني الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يعد صاحب السبق في هذا الموضوع، حيث قام بجمع التراث الثقافي في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، وقام بتحقيق مجموعة من المخطوطات، زيادة على دراسته لرحلات الجزائريين على اختلافها، وعُدَّ كل ذلك وثائق هامة، وشهادات حية عن التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي للجزائر بخاصة، ودول المغرب والمشرق بعامة.

فمن بين الرحلات التي حققها: "رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال للنبأ عن النسب والحال". زيادة على ما نشره من دراسات لهذه الرحلة في مختلف المجلات، وخصوصا مجلة الثقافة. إضافة إلى ما كتبه ناصر الدين سعيدوني في كتابه: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، حيث قام بإحصاء

المؤرخين الجغرافيين والرحالة في الغرب الإسلامي، كذلك كتاب الدكتور يحي أبو عزيز: "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة"، زيادة على الدراسة التي أعدها مختار الطاهر فيلالي بعنوان: "رحلة الورثلاني عرض ودراسة"، حيث قام بعرض المواد الجغرافية والأخبار الثقافية من الرحلة وتحليلها بعد ذلك، إضافة إلى بعض الدراسات الأخرى التي أشارت إلى الموضوع من قريب أو من بعيد، كالمواضيع التي نشرت في المجلة التاريخية المغربية أو مجلة الثقافة ومجلة الأصالة.

وقد حاولنا في هذا الموضوع الإجابة على تساؤلات عديدة، خصوصا أن هذا العهد يوصف بالشح من حيث المصادر والكتابات. وسنتعرض إلى هذه النقطة من خلال الإجابة على التساؤلات المطروحة: من هم أشهر المؤلفين الذين دونوا مخطوطاتهم في العهد العثماني؟ وكيف كان واقعهم الاجتماعي والسياسي والثقافي، ومستواهم العلمي؟ وما طبيعة الكتب التاريخية المؤلفة في العهد العثماني؟ وما دوافع تأليفها؟ وهل اهتم الجزائريون بصناعة الكتاب خلال العهد العثماني؟ وما نوعية الورق المستعمل في كتب ذلك العهد؟ وكيف تتم عملية نشر هذه المؤلفات؟ وهل كانت مؤلفات ذلك العهد ذات قيمة علمية؟ وما هو المنهج والأسلوب المتبعين في الكتابة؟ وهل كانت لهذه المؤلفات أهمية في الكتابات الحديثة؟ وهل أقبل عليها الباحثون واعتمدوا عليها في كتابة مؤلفاتهم؟ وهل اهتموا بعملية تحقيق هذه المؤلفات؟

لم تكن الإجابة على كل هذه التساؤلات بالأمر السهل، إذ عانينا من صعوبات كثيرة في البحث أذكر منها: تشتت المصادر الجزائرية بين مكتبات خاصة وعامة -وزوايا- وما بين الجزائر وخارجها كالوثائق الهامة الموجودة في مكتبة اسطنبول، وقد حاولت الاستعانة بما في المكتبات الخاصة في الجزائر عن طريق المراسلة والبحث عن أصحاب هذه المكتبات كالدكتور محمد بن عبد الكريم، غير أن جهودي كللت بالفشل وراسلت الدكتور أبو القاسم سعد الله، لكنني لم ألق أي رد على مراسلتي، ولم يسعفني الحظ بأن ألتقي بأي من أصحاب هاته المكتبات، الشيء الذي جعلني أكتفي بالمصادر المتواترة في مكتبتنا الجامعية وباقي المكتبات الموجودة في قسنطينة والأرشيف، والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة ومكتبة تليملي بالجزائر العاصمة أيضا، وقد لقيت صعوبة أخرى في توفير مراجع قريبة من موضوع الثقافة في الجزائر أو متخصصة فيها.

وبدا لنا أن المنهج الذي يعتمد على الوصف والتحليل هو الأقرب والأنسب في بحثنا هذا، دون إغفال جانب التعليل والتفسير، وسنحاول عرض الكتابات كما هي بدقة مع تحليلها للتعرف عليها أكثر. وتبعا لهذا المنهج وتلك النظريات، جاء بحثي موزعا على مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس مختلفة.

عالجنا في المدخل ماضي حركة التأليف عند المسلمين وأسباب الضعف والانحصار الحضاري للمسلمين.

وتناولت في الفصل الأول: التعريف بالمستوى الاجتماعي لأهم المؤلفين الجزائريين خلال العهد العثماني، ومدى الفروق الاجتماعية الموجودة بينهم، ونوعية العلاقة الموجودة بين المؤرخين الجزائريين والسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، دون إهمالٍ لذكر مستواهم العلمي وكيفية تعلمهم، وانتقلت بعدها إلى وصف سريع لبعض الكتب التاريخية التي دونت في الجزائر خلال العهد العثماني والتي تنوعت بين تاريخ محلي وتاريخ عالمي، وكتب رحالة وتراجم ومذكرات، كما تضمن هذا الفصل دوافع التأليف عند المؤرخين الجزائريين.

وانتقلت بعدها إلى الفصل الثاني، والذي تناولت فيه شرح عملية تدوين المؤلفات التاريخية، ومن يقوم بتدوين هذه المؤلفات وكيفية صناعة الكتاب وعملية تسويقه.

أما في الفصل الثالث والأخير، فقد خصصته لدراسة خاصيات منهج التأليف التاريخي، وأسلوب التأليف، مع ذكرٍ لأهم الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بمؤلفات العهد العثماني. زيادة على ما قدمه هؤلاء الباحثون من آراء تضمنته هذه المؤلفات.

وتضمن البحث ذكرا لأماكن وجود بعض المخطوطات التي بها يمكن توثيق التراث الوطني ومعرفة عدد النسخ المؤلفة في الكتاب الواحد، ومدى تأثير الثقافة الجزائرية في الأقطار المجاورة.

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها مجمل النتائج المتوصل إليها. وهي في الغالب أجوبة عن التساؤلات المطروحة في المقدمة حول المضمون والأسلوب واللغة، وألحقت البحث بفهارس مختلفة وهي هي بعد المصادر والمراجع أدرجنا فهرس الأعلام وفهرس الأماكن، كل ذلك سيجده القارئ في مكانه المناسب من هذا البحث.

وفي الأخير أتوجه بشكري الجزيل الخالص إلى أستاذي الحميدة عميراوي، الذي قبل الإشراف على هذا الموضوع والمتابعة الدقيقة لكل تفاصيلها، وأسهم فيها إسهاما كبيرا بآرائه وتوجيهاته المنهجية والمعرفية القيمة التي لها الأثر الكبير في الوصول إلى ما وصلت إليه.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذي وبالأحرى مشرفي الثاني الأستاذ المحترم خليفة حماش، الذي ساعدني في الحصول على بعض المصادر والمراجع، وكذلك بإرشاداته ومعلوماته الثرية حول موضوع الثقافة.

وأشكر كذلك الأستاذ عاشور بوشامة الذي لم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته القيمة، زيادة على المصادر والمراجع التي ساعدني بها.

وإلى عمي حمانه والسيدة حليمة وأمير وإلى كل عمال المكتبة على رأسهم المحافظ، وإلى عمال المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة. وإلى أمين مكتبتها وإلى كل مَن شارك في إثراء هذا البحث وإخراجه في هذه الصورة. وأرجو أن يكون جهدنا جميعا مفيدا للقراء، وأن يكون مقابلا بالرضى والصفح عن هفواتي وتقصيري في بعض المواضع.

ثبت المصادر والمراجع:

اعتمدنا في تقديم هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، منها ما هو مخطوط لم ينشر بعد، ومنها ما هو منشور، زيادة على مجموعة أخرى من المراجع التي تمس بحثنا من قريب ومن بعيد، وقد حاولنا أن نعرف ببعض أهم تلك المصادر والمراجع لكي يتضح دورها في إثراء البحث ومصداقيته.

المصادر:

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: وهو كتاب لمحمد بن محمد الشهير بابن مريم المديوني، حقق هذا الكتاب الدكتور: محمد بن أبي شنب وطبعه بالمطبعة الثعالبية بالجزائر عام 1327هـ. وقد احتوى هذا الكتاب على أخبار دينية واجتماعية واقتصادية، وترجم فيه لاثنين وثمانين عالما وولي، وقد اتبع المؤلف في كتابة تراجمه ترتيب الأولياء حسب حروف الهجاء مبتدأ بمن اسمه أحمد، وقد تفاوتت تراجمه في الطول والقصر. والشيء الذي يهمنا من هذا المصدر هو معرفة الطريقة التي كان يكتب بها المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، ومدى تأثرهم بالأولياء، وقد كان اعتمادي على هذا الكتاب كبيرا.

- رحلة إلى المشرق والمغرب لأحمد المقري: احتوى المخطوط على جوانب هامة من حياة أبو العباس أحمد المقري، ومع أن هذا المخطوط مبتور البداية والنهاية، فإن ذلك لا يفقده أهميته، لأن المؤلف لا يعتمد ترتيبا دقيقا ومنطقيا في سرد أحداث الرحلة، والمخطوط يبرز لنا جوانب هامة من حياة المؤلف - تعلمه، شيوخه،علماء المشرق الذين لقيهم وعلاقته بهم - الشخصية والعلمية بشكل مفصل، منذ وجوده في بلدته الأولى تلمسان إلى آخر مراحل عمره الحافل بالأحداث والتنقلات عبر المشرق والمغرب.

- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للحسن الورثلاني: تعد هذه الرحلة من أهم الرحلات التي اعتنت بالوصف الجغرافي والسرد التاريخي، الخاصين بالبلاد العربية، وهذه الرحلة متوفرة كاملة ومطبوعة دون تحقيق. تستوعب الرحلة أحداث ثلاث حجات قام بها المؤلف. وسجل بها كل ما شاهده أو سمع به .... واشتملت الرحلة على قضايا هامة بإمكانها أن تجيب على كثير من الأسئلة مثل: ما هو المستوى الثقافي الذي كان سائدا في الجزائر خلال الحكم العثماني؟ هل كان للرحالة الجزائريين سفريات علمية إلى المشرق، أم أنهم كانوا يحجون فقط؟ ما طبيعة العلاقة السائدة بين الحكام والعلماء والرعية؟ زيادة على أن الرحلة تحدثنا عن جوانب كثيرة من حياة الورثلاني.

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي: حقق هذا الكتاب الشيخ المهدي البوعبدلي سنة 1973م، ويعد من المؤلفات الهامة لما اشتملت عليه من معلومات خاصة بالعهد العثماني، لاسيما فيما يتعلق بفتح وهران الثاني والإشادة بفاتحها محمد الكبير وتشجيعه للعلماء، وحثه على التدوين وتسجيل الأحداث، وكان اعتمادي على هذا الكتاب كبيرا، فبغض النظر عن المعلومات التي احتوى عليها

الكتاب فهو من مؤلفات العهد العثماني. ومن خلاله نستطيع التعرف على حياة المؤرخ وأسلوبه والواقع الثقافي الذي كان يعيش فيه.

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر: من المؤلفات التي لازالت مخطوطة وقد اعتمدت على هذا المخطوط لما احتوى من أخبار عن الثقافة بالجزائر وضعفها، ووقلة التأليف والجمود الفكري وخمول العلماء، وحث الباي محمد الكبير على التدوين. ويعد هذا المخطوط شرح لنفيسة الجمان في فتح وهران على يد محمد الكبير. إذ بين في شرحه هذا مدى إعجابه بالحكام العثمانيين وبطولة الجيش الإنكشاري، زيادة على ما احتوى عليه من أخبار خاصة بالمغربين الأوسط والأقصى.

بجانب هذه المصادر نذكر من المراجع الهامة:

- تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، والذي كان اعتمادنا عليه كبيرا لما اشتمل عليه هذا المرجع من معلومات هامة عن الواقع الثقافي والمثقفين الجزائريين خلال العهد العثماني.

- وكتاب من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: تراجم رحالة وجغرافيين ومؤرخين لناصر الدين سعيدوني. اعتمدت على هذا المرجع لأنه اشتمل عليه من تراجم لبعض مؤرخي الجزائر خلال العهد العثماني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

المؤرخون الجزائريون ومؤلفاتهم خلال العهد العثماني

المبحث الأول: واقع المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1. الواقع الاجتماعي والسياسي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني
2. الواقع العلمي والثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

المبحث الثاني: مؤلفات المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1. نوع المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني
2. دوافع التأليف التاريخي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: واقع المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

قبل عرض واقع المؤرخين الجزائريين نرى من الفائدة التحدث باختصار عن حركة التأليف عند المسلمين، لأنه ليس من السهولة بمكان دراسة حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني. من دون العودة إلى ماضي الحركة نفسها في البلاد العربية عموما. على اعتبار أن الجزائر هي جزء من العالم العربي الإسلامي أو إحدى إمدادات الحضارة العربية الإسلامية عموما، فالمرجعية الفكرية للجزائر آنذاك هي مرجعية عربية إسلامية بحتة. فالجزائر قد أصبحت ابتداء من القرن الثاني الهجري، حقلا لنشاط الفكر الإسلامي القادم من المشرق العربي عن طريق الفتوحات؛ شأنها في ذلك شأن بلاد المغرب عامة. وأصبح من غير الممكن أن نميز بين الثقافتين المشرقية والمغربية، نظرا للإسهام المغاربي الكبير في الحضارة الإسلامية.

وإن كانت الجزائر الحالية قد مرت عليها قرون كانت منطقة عبور حضاري بين المشرق والأندلس الإسلامية، وأصبحت فيما بعد منطقة التقاء حضاري، فالاضطرابات السياسية التي أثرت سلبا على الحياة الفكرية في بلاد الأندلس، ابتداء من القرن السابع الهجري قد ساهمت في هجرة بعض علماء الأندلس نحو حواضر المغرب بحثا عن ملاذ آمن، يتقبل أفكارهم واجتهاداتهم العلمية. مثل تونس، فاس، وبجاية، وتلمسان. هذه المدن أصبحت مراكز إشعاع فكري كبير، جمع تراث أزيد من سبعة قرون "... من أهم فروعه التي كانت محط اهتمام، وعناية بالغة قصص الأولين وأخبار الماضين ومعرفة أحوالهم والتفكير فيها. وكان الدافع إلى ذلك هو الإسلام، كدين تحث تعاليمه على تقصي أخبار الأمم السابقة؛ للإطلال على إرادة الله التي تمت في الناس[1]"

فلذلك نجد الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ بداياتها في صدر الإسلام قد ارتبطت بالعلوم الدينية ارتباطا وثيقا، فكان المؤرخون الأولون يكتبون في السيرة النبوية وفي أخبار الرسل والملوك والأمم البائدة[2] وفي الغزوات، وفي نسب قريش وفي الطبقات وفي التراجم للفقهاء والمحدثين، ومع امتداد الفتوح وتوسع الرقعة الإسلامية تضاعف الاهتمام بتاريخ الملوك وسياساتهم، وصراع المذاهب والطوائف والفتن والحروب، فتطورت الكتابة التاريخية وأصبحت علما له ضوابطه ومقاييسه، وانجلت عنه فروع تخصص من طراز فروع الطبقات وفتوح البلدان، والتراجم والحوليات، وتواريخ السلالات الحاكمة والدول المتعاقبة والمتزامنة،

1- عبد العليم عبد الرحمان خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. 2، 1995م، ص69.

2- عبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص26.

وتحرر كثير من المؤرخين من الانحياز السياسي المذهبي[1]. حتى أصبح هناك من العلماء المسلمين من اتخذ من التاريخ صناعة ومهنة، وارتقى بعضهم بكتاباتهم أفق فلسفة تاريخية وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون برؤيتهم إلى أن التاريخ ليس مجرد تسجيل للحوادث فقط[2]. إلا أن التطور الملفت لحركة التأليف التاريخي في حضارتنا الإسلامية، أيام ازدهارها وتألقها قد بدأ في التراجع على غرار الضعف الذي أصاب الحياة الفكرية الإسلامية عامة.

فالدارس لحركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، يجد نفسه أمام صناعة فكرية يستطيع القول عنها إنها جهود فردية عصامية، اعتمدت على الموروث السابق لمؤرخي عصر الازدهار الإسلامي، فحتى وإن كانت هناك مدارس فقد خصت بالعلوم الدينية، فلا يكاد الباحث يجد دلالة على أن هناك تدريسا منظما للتاريخ في ذلك العهد، بل هناك من المثقفين الجزائريين آنذاك من كان ينسبه -أي التاريخ- إلى الأخبار والسير العامة، ويعده أدبا ومجونا. وقد ذكر لنا أحد مثقفي العصر حال التاريخ في عصره، وما يعتقد فيه الناس بقوله: "علم التاريخ منعدم فيهم، وساقط عندهم، فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني، أو من المضحكات المنهي عنها... فليس (هو عندهم)علم يذكر، إذ لا طائل فيه أصلا، بل بنفس ذكره عندهم ينكر[3]".

صحيح أننا نلمس ضعفا في العناية بالتأريخ والتأليف فيه، لكن ذلك لا يعني انعدام الكتابات التاريخية ولا قلتها؛ بل هناك حركة للتأليف معتبرة من حيث الكم؛ سواء في التاريخ أو فروعه الأخرى كالتراجم والأنساب، والسير والرحلات، والتواريخ المحلية. ولكن الإشكال يبقى قائما حول قيمتها العلمية ومستواها الفني، وكذلك مناهجها واختصاصاتها، خاصة إذا قارناها بإنتاج العصور السابقة. وإن كان التساؤل التاريخي ما يزال يتردد بحثا عن الأسباب الحقيقية وراء الانحصار الحضاري عن الأقاليم العربية[4]. والملاحظ أن هذا التراجع قد وقع في مراحل تاريخية تحققت فيها أسباب الضعف نذكرها باختصار:

1- غي توبليه وجان تولار، **مهنة المؤرخ**، عويدات للنشر والطباعة، ط. 1، بيروت – لبنان، 2000م، ص 5.

2- عبد العليم عبد الرحمان خضر، **مرجع سابق**، ص139.

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، نشر: محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، ط. 2، بيروت– لبنان، 1974م، ص 597.

4- محمد نصر مهنا، **التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط. 1، مصر، 1996م، ص110.

أولا: كثرة الحروب والنزاعات والاضطرابات السياسية، فالمشرق قد تأثر بالغزوات التركمانية والآسيوية من الشمال، والحروب الصليبية من الغرب، أما المغرب؛ فقد أنهكته النزاعات القبلية بعد سقوط دولة الموحدين، يضاف إلى ذلك الهجمات الإسبانية بعد سقوط غرناطة في نهاية القرن 15م[1]، هذه الاضطرابات أضعفت الحواضر والأمصار.

ثانيا: لعب «الأتراك» العثمانيون، وقبلهم المماليك دورا بارزا في نكبة العلوم والصنائع، ولهذا العامل أوجه عدة؛ نوجزها فيما يلي:

- فالمماليك والأتراك هم في الأصل أعاجم بالنسبة للحضارة العربية. يفتقدون إلى أدنى شروط التواصل الحضاري العربي، وهو شرط اللغة، ففاقد الشيء لا يعطيه.

- يمكن الأخذ بما ذهب إليه الباحث المصري جمال الشيال في كتابه التأريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر حيث قال: "إن السلطان العثماني سليم الأول قد اصطحب معه حين خروجه من مصر عددا من كبار العلماء[2]"، وإن كان البعض يفند ذلك[3]. ومهما يكن فهجرة الأدمغة تحدث تلقائيا، وتكون نحو العواصم بالتحديد فعلى مر التاريخ الإسلامي عندما كانت دمشق عاصمة الأمويين صوب نحوها الصناع والعلماء، ونفس الشيء بخصوص بغداد عاصمة العباسيين. إذ انتقل الثقل الحضاري إلى مدن العراق، وكذلك ازدهار القاهرة في العصر المملوكي، وتغلبت تونس على القيروان السباقة في عهد الحفصيين، وتلمسان على وهران في عهد بني زيان حتى المسلمين الأعاجم، الذين كانت تستهويهم المدن العربية فيتجهون صوبها ويثروا الحياة العلمية فيها، أصبحوا يتجهون نحو القسطنطينية، ومن ثم فقدت الحضارة العربية شعوبا كثيرة كانت دعما لطاقاتها الفكرية عن طريق الهجرة.

ثالثا: أثر النظام الضريبي المجحف، على استقرار المجتمعات التي خضعت «للأتراك» العثمانيين. فهجر الناس المدن، واتجهوا نحو الريف، وأصبح الناس يشغلون بأمر معاشهم، وبحثهم عن قوت يومهم[4]؛ نظرا لأن الاشتغال بالقلم لم يعد على صاحبه بأي نفع مادي[5]، خاصة في غياب الدعم المنظم للدولة، فالأتراك العثمانيون في الجزائر لم يولوا للحركة العلمية اهتماما مستمرا عساه أن يرفع الغبن عن الأفراد ذوو الروح

1- محمد نصر مهنا، **المرجع نفسه**، ص106.

2- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **الفكر التاريخي في مصر إبان العهد العثماني**، القاهرة 1982، ص. 353 ص353.

3- قد فند ذلك صاحب المقال، فعن ابن إياس أن هؤلاء العلماء قد عادوا إلى القاهرة.

4- أبو عبد الله محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، ط. 1، الجزائر، 1972م، ص45.

5- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، **مرجع سابق**، ص357.

العلمية. أما بخصوص التأليف التاريخي موضوع بحثنا فكان خوف المثقفين وحتى المؤرخين أنفسهم من الحكام قد جعلهم يكتبون تاريخا لكبار السياسيين برغبة منهم لا لأجل المتعة والعبر والتقليد، وسوف نعرف أن معظم الذين كتبوا في التاريخ أثناء العهد العثماني كانوا مؤيدين؛ بل كانوا يكتبون على لسان الأمراء والولاة[1].

رابعا: أفكار التصوف: لا شك أن ظاهرة التصوف التي شاعت، وميزت الحياة الدينية والفكرية في البلاد العربية خلال العهد العثماني؛ قد كانت معاول هدم حضاري قوية، خاصة ذلك التطور السلبي لأفكار التصوف نحو الطرقية والدروشة والركون للخرافات والتقليد الأعمى؛ إذ أصبحت الفنون والصنائع والعلوم غير الشرعية الدينية في نظر المتصوفة غير جائزة، ومن المضحكات المُنهَى عنها واعتبروها ساقطة من عين الله[2] على حد تعبير الورثلاني. ومن جملة تلك العلوم والفنون علم التاريخ.

وإن كنا نجد بعض المتصوفة، قد ألفوا في فروع التاريخ مثل: التراجم والأنساب، فإنهم قد ترجموا للأولياء الصالحين والعلماء، وكثرت هذه الظاهرة على نحو اعتقادي صوفي "... ففكرة التاريخ كانت غير بعيدة على أذهان الأغلبية منهم[3]".

تلك هي أهم العوامل، التي ساهمت في تراجع الحركة العلمية في الجزائر كما في البلاد العربية عامة، خصوصا حركة التأليف التاريخي. فعندما ندرس هذه الأخيرة في الجزائر خلال العهد العثماني، فيجب إذن أن نأخذ بعين الاعتبار، أننا سنجد تأليفا تاريخيا يختلف عما هو عليه الآن.

إذن فبعد هذا المختصر عن حركة التأليف التاريخي نحاول الآن التعرض للمبحث الأول بالدراسة لكل ما من شأنه أن يعد تراثا تاريخيا، كأدب الرحلات والتراجم والأنساب، وحتى المدائح والأراجيز، التي يمكن عدها من السير النبوية.

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م**، دار الغرب الإسلامي، ج. 2، ط. 1، بيروت 1998م، ص254

2- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص597.

3-أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص326.

المبحث الأول: واقع المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1- الواقع الاجتماعي والسياسي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1-1- المستوى الاجتماعي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

إن الهدف من دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمؤرخي العهد العثماني، هو الإحاطة بالعوامل المؤثرة في توجيه المؤرخ وامكاناته العلمية، ما دام موضوع البحث هو حركة التأليف التاريخي، فالحالة الاجتماعية التي يعيشها المؤلف، تنعكس حتما في مؤلفاته، وتؤثر على موقفه من محيطه، فستوجه اهتماماته الأدبية نحو قضايا أو ظواهر معينة في أحايين كثيرة.

1. 1. 1- إشكالية العلم والثروة (إمكانيات الثراء):

يستوقفنا الحديث عن الوضع الاجتماعي للمؤلفين الجزائريين في العهد العثماني، عند إشكالية العلم والمال، حتى نستطيع أن نجد المبرر الحقيقي للاختلاف الواضح والفرق الشاسع في كثير من الحالات بين المؤلفين، كما أن مجرد القول باختلاف مصادر الثروة وإمكاناتها لا يزيل الغموض.

لم يكن التأليف مهنة أو احترافا مثلما هو عليه الحال اليوم تقريبا، فهو عند البعض هواية[1]، وعند البعض الآخر واجبا دينيا من قبيل فريضة التعلم والتعليم أو عملا تقتضيه الدعوة. وكثيرا ما يضاف إلى اشتغال مهني آخرى؛ تكون في الغالب على صلة بالكتابة أو الميادين العلمية، كالقضاء والإفتاء والحجابة، أو الوزارة والإمامة والتدريس.

نحن إذن أمام جدلية السيف والقلم حسب لمنور مروش؛ الذي استند هو نفسه إلى المؤرخ العربي عبد الرحمن بن خلدون -هذا الأخير- قال إن العلم لا يغني صاحبه[2]، إذ لا ابتغاء لمال في احتراف العلم. لكن لمنور مروش "يشرط لثراء أهل العلم النشاط السياسي، الجاه والتجارة والوظائف العليا خصوصا في العهد العثماني"[3].

فالعالم الذي يحترف السياسة ويتولى منصبا ساميا، تتاح له إمكانات جمع الثروة إن لم تكن موجودة عنده أصلا، وإن كانت تتاح له الفرص لتضخيمها، وهو حال البيوتات العلمية في الجزائر العثمانية ممن نجد أفرادها بعض الذين شملتهم اهتمامات موضوعنا[4]. والحقيقة أنه لا وجود لمؤلف أثرته مؤلفاته العلمية، وقلما نجد من المؤلفات ما عددت نسخته لبيعه وتجارة الكتب في ذلك العهد ضعيفة، خصوصا كتب نسخائه

1- غني تويليه وجان تولار، **مرجع سابق**، ص9.

2- عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1993، ص. 344، ص265.

3 - Lemnouar Merouche, recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane: monnaies, prix et revenus 1520-1830, Paris, 2002, p233.

4- مثل: عائلة كل من الفكون، والساسي والعنتري ...الخ

العصر، وبالأخص الكتب التاريخية منها. وليس خاملا بالقول بأن اقتناء الكتاب كان مقتصرا على أصحاب العلوم مع قلتهم. وليس هناك ما يدل على اقتنائه بل تكثر حالات الإعارة والإهداء، فكثيرا ما يذكر المؤلف أنه أعار كتابا لأحد ما، أو أهدى إليه كتاب من فلان مثل الفكون[1] والزياني[2] وغيرهما.

ناهيك عن المؤلفات التاريخية التي غدت معارفها شيئا من لهو الحديث أو سمر الملوك. فالعوامل تلك هي المتحكمة في ترتيب الحالة الاجتماعية للمؤلفين فنجد منهم الثري كما نجد منهم الفقير علاوة على متوسطي الحال.

1-1-2- المؤلفون الأثرياء:

يمكن أن نقسم أثرياء المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني إلى قسمين، قسم ورث الثروة مثلما ورث المنصب العلمي والمخزني. وقسم ساقه حظه الوافر إلى منصب، أو لعلاقة وطيدة مع أحد رجالات الدولة فملك المال.

ومن الصنف الأول نجد عبد الكريم الفكون[3]؛ إذ تذكر المصادر أن عائلة الفكون القسنطينية التي يعد عبد الكريم أحد أهم أفرادها نالت منذ سيطرة «الأتراك» على قسنطينة نظير مساهمتها الجليلة في ذلك الحظوة والمكانة المرموقة في المدينة، وفي كامل بايلك الشرق الجزائري. فتوفرت لها أسباب الثراء بفضل سمعتها، بامتيازات خاصة منحها إياها رجال النظام العثماني، كإعفائها من الضرائب والغرامات، وحصولها على حق العشر من الزرابي والخشب المجلوب من نواحي الأوراس، والاستفادة من حق المكس على أسواق الخضر والفواكه وإمكانية استلام الهدايا والعطايا العقارية، دون التعرض لها. هذه الامتيازات كان المستفيد الأكبر منها عبد الكريم الفكون[4]، فضلا عن عائدات المناصب الدينية والمخزنية التي شغلتها العائلة، كوظيفة إمام الجامع الكبير التي ورثها عن أبيه، ومنصب إمارة ركب الحج ومشيخة الإسلام[5].

---

1 - يروي لنا عبد الرحمن المجاجي في رحلته أن السلطان - عند عودته من الحج - الذي نزلوا عنده في أثناء إمارة ركب الحج التي كان يقودها الفكون أعطى للفكون بعض الكتب، ويقول المجاجي في ذلك: ووثقه بالكتب والطالع الذي توارثته الأملاك عند الإمارة. ينظر: عبد الرحمان المجاجي، **الرحلة المجاجية**، مخ. م. و. لج. رقم 1565، ق. 11. و.

2 - مولاي بالخميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ش. و. ن. ت، الجزائر، ص 161.

3 - هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني ولد سنة 1580م، وتوفي سنة 1662م، حيث كان وضع الأسطول الجزائري قوي. ينظر: عبد الكريم بن الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت-لبنان، 1987م، ص8.

4 -أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم: **داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت -لبنان، 1986م، ص69.

5 - **داعية السلفية**، المرجع نفسه، ص75.

إن تلك الامتيازات والوظائف التي عددناها؛ قد وفرت لعبد الكريم الفكون ثروة كبيرة، فجعلته يعيش في رخاء مادي مكنه من التفرغ للعلوم والكتابة. ومن المؤلفين الذين ينتسبون إلى البيوتات ذات الثروة والجاه الاجتماعي والسياسي أحمد بن القاسم البوني[1]؛ فهو أحد أفراد عائلة ساسي العنابية، ويبدو أن جد أحمد بن قاسم البوني محمد ساسي قد جمع ثروة كبيرة نتاج ولائه للأتراك، وقد كانت له حظوة صوفية في عنابة، ومريدون وأتباع[2]، وقد أخذ عليه ذلك الفكون في مؤلفه منشور الهداية[3].

ونحن لا نشك في أن ثراء حفيده وحصوله على جزء مهم من ثروة جده، برغم صمت المصادر سواء كان مالا أو جاها يوفر الثروة لصاحبه، فكل ما نعلمه- وقد تحدثنا عنه سابقا- أنه كان يراسل باشوات الجزائر حسين خوجة[4] ومحمد بكداش[5]، هذا الأخير الذي استقر في بيته بعنابة قبل توليه الباشوية[6]. إن الرخاء المادي الذي كان يتمتع به البوني قد سمح له بالسياحة طويلا في مصر وتونس والحجاز، والتفرغ إلى طلب العلم والتأليف.

وأما المنداسي التلمساني فنحن لا نعرف أن له ثروة في وطنه تلمسان، ولكن كل ما نعرفه أنه حصل على أعطية كبيرة قدرها خمسة وعشرون رطلا من الذهب الخالص من السلطان العلوي المولى إسماعيل[7]، وظل يحظى في مستقره بسجلماسة برعاية السلطان العلوي، فعاش حياة ميسورة إلى أن توفي[8].

---

1 – ولد أحمد بن قاسم البوني بعنابة، وقد ترجم له في المؤلف: **تعليق على فتوى الحضانة**... بقوله: أنه ولد يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وألف، وأن عدد أشياخه يزيدون عن العشرين شيخا، وله عدة تآليف ينظر: أحمد الزروق، **تعليق على فتوى الحضانة لأحمد البوني**، مخ. م. و. لج، رقم 2160، ق. 6. ظ.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، ص- ص. 61-62.

3 – عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص- ص، 164-165.

4 –حسين خوجة أحد دايات الجزائر تولى سنة 1117هـ وخلع سنة 1118 هـ. ينظر: أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص44.

5- محمد بكداش تولى سنة 1118هـ ومات قتيلا سنة1122 هـ وفي عهده استرجعت وهران من إسبانيا، وقد كان قائد الحملة أزون حسن صهر محمد بكداش مع الباي مصطفى بوشلاغم. ينظر: أبو عبد الله محمد بن ميمون، **المرجع نفسه**، ص44. وينظر أيضا: عبد الرحمان الجامعي، **شرح أرجوزة الحلفاوي**، مخ. م. و. لج، رقم 2521، ق. 9. و

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، **مرجع سابق**، ج. 2، ص62.

7- هو السلطان العلوي بن الشريف بويع له سنة 1082هـ، وتوفي سنة 1139هـ، وكان خليفة ونائب على أخيه المولى الرشيد سبع سنين، وسلطانا وملكا سبعة وخمسين سنة. ينظر: محمد بن محمد عبد الله، **مجموعة اليواقيت العصرية كتاب نزهة المالك والمملوك في تراجم مشاهير الملوك**، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر 1349هـ، ص180.

8- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**: تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1999م، ص370.

ومن المؤرخين الذين تركوا لنا في مؤلفاتهم ما يدلنا على أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية حمدان بن عثمان خوجة[1] الذي ذكر في مؤلفه المرآة أنه يملك بسهل متيجة ما يتطلب من البذور من أجل زراعته 60 حمولة جمل من القمح، وما بين 100 و120 حمولة جمل من الشعير[2]، و600 معسلة، وماعدا هذا فقد كان تاجرا بالجزائر، وله تجارة واسعة برأس مال تجاوز ثلاثمائة ألف فرنك. يتعامل بها في الجزائر العاصمة، وبقية أطراف البلاد بالإضافة إلى تجارته الخارجية[3]. ومما ذكره ابنه علي أفندي يدل على ثراء أبيه منذ عهد الحكم «التركي»، حيث أن أباه كان يسوق حمولات من الحبوب والجلود من ميناء عنابة إلى ليفورن كتعويض له من الحاج أحمد باي على ما يقدمه من تسنبيقات لديوان الجزائر بخصوص دنوش بايلك الشرق، وقد ذكر أنه مدين للباي نفسه بمائة ألف بوجو[4]، وقدرت السلطات الفرنسية ثروة حمدان خوجة بحوالي 40 مليون فرنك[5].

ومن المصادر التي تدلنا على ثرائهم أحمد العنتري، وحفيده صالح العنتري أيضا من أشهر عائلات مدينة قسنطينة. فأحمد العنتري كان موظفا كبيرا في إدارة بايلك قسنطينة علىعهد صالح باي[6]، "وكانت له تجارة مهمة في مدينة عنابة ساعدته في إنمائها ظروف اشتغاله وكيلا للباي عند الأوروبيين[7]" خلال فترة نشاط تجارة القمح من عنابة إلى أوربا.

---

1 - ذكرت هذا المؤلف لأنه ألف في الفترة الفرنسية على العهد العثماني ولمعايشته لهذا العهد. وغيره كأحمد الزهار، والعنتري...الخ.

2- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر 1982م، ص18.

3- عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م**، الدار التونسية للنشر، ط. 1، 1972م، ص134.

4- هو صالح باي ابن مصطفى ولد سنة 1725م بمدينة أزمير بتركيا وجاء إلى الجزائر بعد ست عشرة سنة من عمره، وانخرط في سلك الانكشارية، وبقي هناك يرتقي حتى وصل إلى درجة باي سنة 1771م، واشتهر بالشجاعة والكرم والحلم والإخلاص، وبعد أن ذاع صيته وشهدت له أعماله الخيرة أمر الداي حسن باشا بقتله شنقا بقصبة قسنطينة في أوائل سنة 1792م. ينظر: أحمد المبارك، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تح: نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1952م، ص26.

5- علي أفندي بن حمدان خوجة، **وصف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832م**، ترجمة: عميراوي احميدة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000م، ص19.

6- عميراوي أحميدة، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840م)**، دار البعث، ط. 1، قسنطينة، 1987، ص12.

7-Féraud L. **Deuxième bécit indigène de l'expédition d'oreilly en 1775**, R. A 1965,P-P. 180-192.

وقد عمل أحمد العنتري والد صالح العنتري موظفا في إدارة أحمد باي إلى أن قتله بسبب وشايته، "كما تولى صالح العنتري وظيفة خوجة الدايرة بالمكتب العربي في جهاز الإدارة الفرنسية، وتبقى عائلة العنتري من أثرى البيوتات القسنطينية"[1].

1-1-3 - المؤلفون المتوسطو الحال:

كانت الكتابات التاريخية وكتابات التراجم والسير موضع اهتمام المدارس الغربية الحديثة، ومع ذلك بقيت مجموعة من المؤلفين لم تذكر المصادر عنهم شيئا وهو ما يدفعنا إلى تصنيفهم ضمن خانة متوسطي الحال. إن الحديث عن فئة وسطى اجتماعيا بين المؤلفين في التاريخ تثير عدة إشكاليات، أولها إشكالية المصادر التي نستقي منها معلوماتنا، فنحن كما قلنا نواجه صمتا للمصادر في هذه الحالة، ذلك الصمت حسب رأينا هو حجة على توسط المسكوت عنه بين الغنى والفقر، حيث إن المستوى الثقافي وطبيعة الكتابات التي كان من المفروض أن يعتمد عليها؛ وهي كتابات العصر بطبيعة الحال قد تطرقت فقط إلى الظواهر غير المعتادة، فالتاريخ آنذاك لم يهتم بما هو عادي، إذن فنحن نعتبر من لم تذكر المصادر وضعه الاقتصادي من متوسطي الحال. وهناك بعض الإشارات يمكن أن تعطينا فكرة ما، ولكن تبقى غير يقينية ولا تحمل مصداقية علمية أكيدة، فابن المديوني التلمساني لم يذكر حالته الاجتماعية في مؤلفه: "البستان..." كما لم تذكر المصادر الأخرى ذلك، وما نعرفه عنه انه من أشراف مليتة، ووالده كان مدرسا بتلمسان، وقد خلفه في التدريس وكان مهتما بطلب العلم متمسكا بحياة الزهد والتقشف[2].

كما أننا لا نجزم بتوسط حال أبو العباس أحمد المقري بين الغنى والفقر، وهو الذي كان موظفا في بلاط السعديين، فقد تولى الإمامة والخطابة وعين مفتيا بفاس عام 1613م، بعد أن توفي شيخه محمد الهواري[3]، قبل ارتحاله إلى المشرق فارا هناك، حيث تزوج إحدى بنات السادة الوفائية[4]*، ورغم زواجه هذا

1-Charles saint calbre, **Constantine et quelque auteurs arabes**, R. A,1913,P-P. 70-95.

2- أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: محمد رؤوف القاسمي الحسيني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، ج. 1، الجزائر، 1991م، ص153.

3- أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية، ش. و. ن. ت، ج. 1، تونس 1976، ص168

4 -محمد عبد الله عنان، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط. 2، القاهرة، 1970م، ص378.

*- إن تزوجه من عائلة السادة الوفائية التي كانت تتبوأ مكانة مرموقة توحي أن هناك شيئا ما أهله إلى قبول تلك العائلة بالمقري ليكون زوجا لابنتهم رغم كونه غريبا عنهم ومهاجرا. ولاشك أن مركزه العلمي البارز ونشاطه الفكري والأدبي في ميدان التدريس هما اللذين أهلاه لذلك.

واستقراره بالقاهرة، إلا أن وثائق المحاكم الشرعية بمصر، ومصادر أخرى لا تذكره بين أثرياء المغاربة هناك[1].

ويقترب وضع الحسين الورثلاني من المقري فهو أيضا لم يذكر حالته الاجتماعية في مؤلفه: "نزهة الأنظار.. . "، كما لم تذكر مصادر أخرى ذلك؛ وتدلنا بعض مؤلفاته بالأحوال المعاشية للأوطان التي مر بها، فضلا عن اتصافه بالزهد والتقشف على عدم ثراءه. فهو نفسه يذكر عبارة يحمل فيها الأثرياء وذوي الرزق مسؤولية قلة الإنفاق لوجه. الله إذ يقول: "... في الجزائر... على تقدير وجود الأموال فقد صرفها أهلها في شهوات أنفسهم كالملابس والمآكل والمشارب.. . "[2]، وليس عدم ثرائه يعني فقره – قد يكون ثريا وصرف أمواله لوجه الله – فذهابه إلى الحج ثلاثة مرات يكفي كدليل على تصنيفه ضمن متوسطي الحال.

وينطبق الوضع المتوسط على جملة من المؤلفين الذين تولوا وظائف الكتابة لدى بعض حكام المقاطعات، والآغوات والمدرسين خصوصا. إذ منعتهم ضمائرهم العالمة من اتباع الطرق الملتوية في استغلال الوظيفة للكسب مثل محمد بن ميمون الجزائري[3]، والعنابي[4]، وعبد القادر المشرفي[1]، وابن المفتي[2]، وابن زرفة[3]، وابن هطال التلمساني[4].

1- ينظر: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، "وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية عن المغاربة في مصر"، **المجلة التاريخية المغربية**، ع: 27-28، 1982م، ص-ص. 321-378.

2- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص686.

3- هو محمد بن ميمون الزواوي النحار الجزائري الدار يبدو من خلال كتابه: "التحفة المرضية... " أنه كان مشاركا في جميع فنون عصره بيد أنه يغلب عليه التصوف، وقد أهملت المصادر تقريبا ترجمة هذه الشخصية، فنحن لا نعلم متى ولد ومتى توفي فكل ما نعرفه ما قاله هو نفسه في معرض إطرائه للداي محمد بكداش: لا أعلم أنني لاقيت من سن الطفولة إلى ما فوق زمن الكهولة أبرع منه في هذه الطريق ... يعني أنه بلغ سن الشيخوخة من عمره ومهما يكن من أمره فإن شخصية ابن ميمون قد كانت معاصرة للداي "محمد بكداش"، وصهره "أزون حسن"، الذي قتل على يد الداي دالي إبراهيم سنة 1710م. ينظر: أبو عبد الله محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص150.

للمزيد من المعلومات ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ج. 1، ط. 3، بيروت-لبنان، 1990م، ص225. وكذلك عبد الرزاق ابن حمادوش، **مصدر سابق**، ص237.

4- العنابي: هو مصطفى بن رمضان العنابي نسبة إلى مدينة عنابة ولد بها وتعلم بها ولا نعلم تاريخ ميلاده بالضبط. رحل إلى الجزائر التي استقر بها وتزوج، وقد كان العنابي حنفي المذهب، ومن أساتذته العالم الجزائري المغربي محمد بن شقرون بن أحمد التلمساني الذي لزمه اثنا عشر سنة، كما أخذ أيضا عن محمد بن عبد القادر الفاسي أثناء زيارته إلى الجزائر مع الوفد المغربي عام 1103هـ، والذي أجازه بأرجوزة بها حوالي سبعين بيتا، توفي سنة 1130هـ بمدينة الجزائر. ينظر: محمد ابن

"ذلك أن وظيفة الكتابة لم تكن تدر مالا يغني بل توفر بعض أسباب اليسر والوسطية[5]".

1-1-4-المؤلفون الفقراء:

العنابي، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص-ص. 23-24؛وينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص، ص. 90، 219، 339، 384.

1- هو أبو المكارم عبد القادر المشرفي الغريسي ثم المعسكري، قرأ عن شيوخ كثيرين وأخذ عن فطاحل علماء المشرق والمغرب وأجازوه منهم محمد بن محمد العربي البناني المكي المالكي... إلى أن تخرج عليه تلامذة كثيرون منهم أبو راس الناصر، توفي المشرفي يوم الخميس عاشر رمضان سنة 1778م، ودفن بمقبرة الكرط ضواحي مدينة. ينظر: أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين كبني عامر**، تح: محمد بن عبد الكريم، ص6. **وينظر: أيضا محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم، م. و. ك، الجزائر، 1990م، ص20.

2- ابن المفتي (وهو الاسم الذي إختاره لنفسه) ولد في مدينة الجزائر بتاريخ لا نعرفه بالضبط فهو من الكراغلة المنحدرين من نسل عثماني وجزائري، ويرجح الدكتور أبو القاسم سعد الله انه ولد في أواخر القرن الحادي عشر، ووالده هو حسين شاوش، وهذا يعني أنه كان من أسرة ذات ولاء عثماني ولها إتصال بالسلطة، تعلم ابن المفتي العلم المعروف في عصره. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...مرجع سابق، ج. 2، ص، ص. 368، 370.

3- ابن زرفة: محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، ولا نعرف عن حياته سوى أنه كان كاتبا للباي محمد بن عثمان، ومساعدا لرئيس الرباط، وقد شارك بنفسه في الهجوم الشامل لتحرير وهران عام 1792م، وقد كان ضمن تلاميذ أبي راس الناصر. توفي بوباء الطاعون عام 1800-1801م. ينظر: يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ج. 2، ط. 1، بيروت، 1995م، ص160.

-مع إن ابن زرفة يغدق عليه الباي بالأموال حيث يذكر مؤلف: الثغر الجماني...، أن الباي محمد الكبير أمر مصطفى بن زرفة بجمع الكتب وأثابه على ذلك بأموال وفيرة، ومع هذا لا نعتبره ثريا، فلو كان ثريا لمال ذلك ابن سحنون وذكره في مؤلفه. ينظر: أحمد سحنون الرشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي منشورات وزارة التعليم والشؤون الدينية (سلسلة التراث)، ص460.

4 ابن هطال التلمساني: هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن علي بن هطال التلمساني، كان كاتبا ومستشارا لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية، ومبعوثا له في المهمات الخارجية، أستشهد ابن هطال في معركة وقعت بين «الأتراك» وابن الشريف الدرقاوي وذلك في 1219م، وكانت نهايته في هذه المعركة -المسماة واقعة فرطاسة - مع صديقه أبو عبد الله محمد الغزلاوي. ينظر: أبو العباس أحمد ابن هطال، **رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ص14. وينظر أيضا: بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ج. 1، ط. 1، بيروت-لبنان، 1990م، ص304.

5-L. Merouche, Ibidem, P. 234.

أعتقد أنه ليس من الصواب الحكم المطلق بضرورة وجود الثروة، أو جزء منها لإثراء الرصيد العلمي والتأليفي للفرد الراغب في ذلك، وقد يصح إلى حد بعيد أن نتحدث عن تأثير إيجابي للفقر في حركة التأليف العلمي. حيث تكون الثروة والتجارة شاغلا للوقت على حساب الاهتمام بالمعارف والعلوم، وهو ما يعيد إحالتنا إلى مذهب ابن خلدون؛ في شأن ازدهار العلوم بين البوادي والحواضر، فساكن الحاضرة لا يمنعه فقره من حضور مجالس العلم التي تنعدم في البوادي، ولا يعوضها إلا الكتاب في متناول الثري قبل الفقير. ولدينا من مؤلفي الجزائر في العهد العثماني ممن اهتموا بالتاريخ الرحالة الطبيب ابن حمادوش، والمؤرخ أبي راس الناصر.

فابن حمادوش[1] ينحدر من عائلة احترفت الدباغة[2] وهي حرفة لا تدر على صاحبها مالا وفي العادة تعتبر من مهن الفقراء، وبالرغم من اشتغاله في بعض المناصب في الوظيف الديني، إلا أن ذلك لم يغير من نمط حياته المتقشفة البسيطة. ويبدو أنه لم يستغل منصبه لكسب المال، فقد أتم حياته فقيرا يكاد يكون معدما، إلى درجة أنه لم ينجح في حياته الزوجية الأولى[3]، وإن كنا لا نعلم أسباب ذلك الفشل إلا أن المصادر تذكر أن فشله في زواجه الثاني، وهروب زوجته منه كان بسبب فقره[4].

وقد ذكر هو نفسه في مؤلفه لسان المقال معاناته في البحث عن موارد للرزق سواء في الجزائر أو في المغرب- فقد باع حتى القماش في المغرب -واحتمائه بالشرف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال[5]، كما اهتم بعقود الزواج في وقته أكثر من تعرضه للأسعار في أسواق الجزائر والمغرب[6]، والظاهر أن ابن حمادوش

1- ولد ابن حمادوش في شهر رجب من عام 1107هـ الموافق لـ: 8 أغسطس من عام 1695م، وقد ضبطه بنفسه في متن الرحلة عندما وضع قائمة بأسماء ولاة الجزائر حيث قال عن أحمد باشا أنه تولى سنة 1107هـ مضيفا عبارة: "... في هذه السنة من رجب كانت ولادتي... "، أما عن وفاته فيقال أنه عاش إلى أن تجاوز التسعين، ولكن لم نعثر عن تاريخ وفاته بالضبط، والغالب أن الوفاة قد أدركته بالمشرق. ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائر، 1983م، ص، ص. 226، 75.

2- فهمنا من خلال رحلته أنه من أسرة احترفت الدباغة، حيث أورد ذلك سواء في عقد زواجه أو في عقد زواج أخته آسيا قائلا: "...تزوج... علي الحرار ... آسيا البكر في حجر والدها المكرم الأجل السيد الحاج محمد الدباغ ابن حمادوش...". ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش، **المصدر نفسه**، ص243.

3- **المصدر نفسه**، ص246.

4- عبد القادر أوقاسي، **مخطوطات المؤلفين الجزائريين في المكتبة الوطنية للجزائر: فهرس فانيان**، رسالة ماجستير إشراف: عباس صالح طاشنكدي، علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر، (1996-1997م)، ص436.

5- ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش، **مصدر سابق**، ص40.

6- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج. 1، ص233.

كان يولي اهتمامه بالعلم أكثر من أي شيء آخر، فكان يصرف ما توفر له من مال قليل في شراء الكتب[1]، والرحلة في طلب العلم إلى المغرب وتونس والمشرق[2].

وعاش المؤرخ أبو راس الناصر[3]حياة ضنكة مليئة بالمآسي والعوز، إذ ولد في بيئة فقيرة نواحي جبل كرسوط بنواحي معسكر، فوالده كان معلما للصبيان يرتحل من مكان إلى آخر بحثا عن العمل[4]، فقد استقر زمنا بالمتيجة، وهناك توفيت زوجته[5]، ثم انتقل إلى ناحية مجاجة وتزوج هناك بأكثر من امرأة -(والد أبو راس)- وهو ما زاد من معاناة أبي راس، وقد توفي والده أيضا، فبقي يتيما في كنف أخيه عبد القادر[6]، وقد ارتحل معه إلى المغرب حيث أتم حفظ القرآن الكريم، الذي بدأه تحت إشراف والده[7]، ويبدو أنه لم يكن أحسن حالا من السابق فهو يتحدث عن نفسه في حدود سن العاشرة، كان حافي القدمين عاري الجسم. لا لباس له إلا خرق كالعدم؛ أما الصبيان زملاؤه في الكُتّاب، فقد كانوا يطلبون منه أن يسأل لهم الطعام من البيوت، فإن عجز عن السؤال حياء ضربوه، وكان يبيع ما يجود عليه المتصدقون من طعام لشراء كسوته.

وذكر أنه لما عاد إلى معسكر لازم العلامة عبد القادر المشرفي، يأخذ من علمه ويغسل ثيابه ويكويها. وربما أحس أبو راس الناصر بشيء من الاستقلال العلمي، فعاد إلى الريف للاشتغال بالتدريس وتزوج، و لم يطب له المقام هناك لقلة إمكانات العلوم، فعاد إلى مدينة معسكر، ومكث بها أزيد من 36 سنة اشتغل

1- يقول ابن حمادوش بخصوص طريقة تعلمه: "أخذت العلم قراءة وليس عن طريق السماع "، ومن خلال حجم معارفه يتبين أنه قرأ كتبا كثيرة وإن كان قد توصل إلى بعضها إعارة، أو إهداء فإن أغلبها من شرائه. ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش، **مصدر سابق**، ص40.

2- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ج. 1، ص224.

3- بالإضافة إلى ترجمة أبي راس لنفسه في كتابه: **فتح الإله**، فقد ترجم له أيضا ابن سحنون قائلا: "محمد أبو راس الناصر أنه ولد سنة 1165هـ، وتوفي سنة 1238هـ. كان حافظا". ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص66

4- محمد أبو راس الناصر، **مصدر سابق**، ص18.

- لقد ترجم لأبي راس كثير منهم، أبي القاسم الحفناوي، مصدر سابق، ج. 2، ص-ص. 341-342؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ج. 2. ص-ص، 378-384؛عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، بيروت 1971م، ص146؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ج. 6، ط. 10، بيروت، 1992م، ص242، عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج. 1، ط. 1، بيروت، 1971م، ص-ص، 104-105.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج. 2، ص378.

6- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته...**، **مصدر سابق**، ص19.

7- عبد القادر أوقاسي، **مخطوطات المؤلفين...**، ص456.

بالتدريس والتأليف[1]، وحدث أن تولى وظيفة الفتوى والقضاء والخطابة في جامع معسكر، لكنه عزل[2] وقد نجحت مساعيه لنيل الحظوة من السلطان العلوي المولى سليمان، واشتهر أمره بفاس[3].

1-2-الواقع السياسي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1-2- 1-علاقة المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني بالسلطة العثمانية.

إن الحديث عن علاقة المؤرخين الجزائريين بالسلطة العثمانية هو جزء من مبحث عام يدرس واقع العلماء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني. لكن عملية تخصيص الموضوع على نحو يهتم بالمؤرخ دون سواه لها أهدافها، التي تهم المؤرخ حاضرا ومستقبلا، فالباحث الذي يدرس تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ويعتمد على الكتابات التاريخية المعاصرة، يجد نفسه مجبرا على معرفة علاقة أصحابها بالسلطة، هذه العلاقة المتحكمة في مدى صدق الرواية من عدمها، فمثلما يكون المؤرخ المؤيد للسلطة متحاملا على الثائرين ضدها، قد يكون المعارض لها متحاملا عليها.

فالدارس في الحقيقة لعلاقة المؤرخ بالسلطة، يجد صعوبة في الحكم على موقف المؤرخ من السلطة قطعيا، فالمؤيد اليوم قد تجده معارضا لها غدا والعكس، وذلك ينطلق من واقع السلطة في حد ذاتها هذا الواقع الذي تميزه أهواء أفرادها، وتقلبات أحوالها لانعدام ثقافة ثابتة، وأسس حضارية راسخة تسير الدولة وتضبط علاقة الحاكم بالمحكوم، فضلا عن تأثير الأحداث الصغيرة والكبيرة، وإنحازات أفراد السلطة مهما كان حجمها في مواقف كثير من المؤرخين، فالمؤرخ لم يكن ينظر إلى السلطة بمنظور فكري، يحيط بالقيم الثابتة المؤسسة لها. فنحن لا نكاد نجد عند مؤرخي القرون الثلاثة الأولى، ولو أدنى فهم للبيعة مثلا. ناهيك عن ثقافة الدولة كأساس يضمن بقاءها وقوتها، وما يحيطها بالرموز والمعالم.

1-2-1-1-علاقة تأييد:

إن الملفت للانتباه بخصوص المؤرخين المؤيدين للسلطة العثمانية بالجزائر، هو كثرتهم العددية مقارنة بالمعارضين لها، ومن دون شك لا يمكن تبرير ذلك بدعوى استقامة نظام الحكم القائم، مما يجعله ينال رضى المؤرخ كمثقف. فليس ضروريا هنا الحديث عن ظلم واستبداد السلطة التركية من أجل تقديم الدليل على

1- محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته...، **مصدر سابق**، ص19.

2- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**...، مرجع سابق، ج. 1، ص-ص. 86-87.

3- محمد أبوراس الناصر، **فتح الإله ومنته**...، مصدر سابق، ص16.

- رغم أن الحظ قد تبسم له عدة مرات على يد بعض البايات، فإنه ظل حليف الفقر طول سنواته التسعين، وقد أخبرنا بنفسه عن فقره هذا حيث قال: "... وقدمت أم عسكر، ما معي شيء من مال ولا غيره، سوى معرفة الفقه وحده ...". ينظر: محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله**...، مصدر سابق، ص21.

وجود أسباب أخرى، جعلت هؤلاء المؤرخين يؤيدون السلطة، أسباب ترتبط بالمستوى الفكري السائد وتبعاته.

فالمؤيدون للسلطة؛ إما كانوا من أسر احترفت العلم واحتكرت بعض الوظائف الدينية والمخزنية توارثا، فصنعت منها السلطة التركية قوة معنوية تدعمها في فرض نظامها على الرعية، مقابل مكاسب مادية كالوظائف والامتيازات[1]، وإما ممن تقربوا إلى أحد رجال السلطة تزلفا فحازوا الوظيفة، وإما ممن التمسوا خير «الأتراك» وفضلهم في جهاد النصارى، واعتقادهم بوجوب طاعة السلطان درءا للفتنة.

ومن الصنف المتوارث نجد عبد الكريم الفكون صاحب كتاب: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، فهذا المؤلف هو حفيد عبد الكريم بن يحيى الفكون الذي أيد «الأتراك» منذ بدايات توسعهم في قسنطينة على عهد النفوذ الحفصي، وقد كافأه «الأتراك» بما أسندوا إليه وظيفة مشيخة الإسلام ومفتي المالكية، وإمارة ركب الحج، بعد إقصاء آل عبد المؤمن الموالين للحفصيين[2]، وقتل عبد المؤمن، وقد انتقلت هذه الوظيفة إلى عبد الكريم المذكور، الذي ساهم هو أيضا في التوسط بين الأهالي والأتراك. إذ تدخل لإخماد ثورة ابن الصخري (ثورة الذواودة)[3].

إن تأييد عبد الكريم «للأتراك» العثمانيين، وحصوله على تلك الوظائف الدينية والمخزنية، بالإضافة إلى الحصانة الممنوحة له والتي تخول له في كثير من الأحيان إجارة كل من التجأ إليه، ولو ارتكب جريمة، فضلا عن الامتيازات الاقتصادية. إن كل ذلك قد حقق له رخاء ماديا ومكانة مرموقة في مجتمعه[4]، هذه العلاقة الوطيدة للفكون بالسلطة العثمانية انعكست إلى حد ما في مؤلفاته، فكفت قلمه عن القدح

1- أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام...**، مرجع سابق، ص69.

2- يعود لعبد الكريم الفكون الفضل الكبير في توطيد الحكم «التركي» بمدينة قسنطينة، إذ لعب دورا كبيرا في مواجهة بقايا السلطة الحفصية هناك، وخاصة شيخ الإسلام عبد المؤمن، فقد إتخذ الفكون موقفا جريئا في تأييد «الأتراك» الفريق الموالي لهم في المدينة. ينظر: محمد المهدي بن علي شعيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1980م، ص127.

3- يقال إن هذه الثورة حدثت بسبب عدول باشوات الجزائر عن حرب الإسبان والمرسى الكبير، وتوجههم إلى الشرق فاندلعت ثورة قادها شيخ العرب أحمد بن الصخري، واستمر ت سنوات عمت خلالها كل بايليك الشرق تقريبا انطلاقا من الصحراء. ينظر: **ابن عودة المزاري**، مصدر سابق، ج. 1، ص253.

-أما فايسات فيرجع سبب الثورة نقلا عن الأب دان الذي عاصر الأحداث. إلى أن أحمد بن الصخري قام بالثورة انتقاما لمقتل أخيه محمد بن الصخري، وبعض أعيان الذواودة.

Veyssettes, « Histoire de Constantine Sous la domination Turque de 1792-1837 », in **Recueil de Constantine**, 1867, 339.

4- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص12.

والتجريح المباشر في «الأتراك» العثمانيين، إذ نجده يبتعد عن التأريخ لأخبار السلطة مكتفيا بعرض حال العلم والعلماء وظروف عصرهم الثقافية، وحتى الضعف السائد تحمل مسؤوليته "أشباه العلماء الذين لا باع لهم إلا التشبث بالمناصب[1]. لكن مجرد القراءة المتأنية في مؤلفه: " منشور الهداية. .. "، تجعلنا نميل إلى القول بعدم رضاه على السلطة التركية معتمدا صيغ التلميح ففي سياق حديثه عن طمع بعض أدعياء العلم في المنصب والوظيفة يقول عنهم أنهم: ".. . أعطوا مالا لقضاة العجم حتى ولوه إياها وربما رشو الولاة يمينا وشمالا.. . "[2]، كذلك يعبر عن تفشي الجهل بين حكام المسلمين بقوله: ".. . وسحائب الجهل قد أظلت وأسواق العلم قد كسدت فصار الجاهل رئيسا.. . "[3].

بالإضافة إلى الفكون يعتبر أحمد بن قاسم البوني صاحب كتاب: " التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف"، وتآليف أخرى، ابنًا لعائلة عنابية متحالفة مع الأتراك[4]؛ فجده أبي عبد الله سيدي محمد ساسي البوني كان متعاونا مع «الأتراك» في إخماد الفتن والثورات، وله مراسلات مع باشا الجزائر يوسف أبو الجمال[5]،حيث طلب منه شفاعة لأهل بلاده، وقد رد عليه الباشا مقدرا صنيعه[6]، وكان عم

1- عبد الكريم بن الفكون، **المصدر نفسه**، ص56.

2- عبد الكريم بن الفكون، **المصدر نفسه**، ص90.

3- عبد الكريم بن الفكون، **المصدر نفسه**، ص31.

4- ومن أكبر الأدلة على وجود التحالف بين عائلة أحمد بن قاسم البوني والسلطة العثمانية هي الرسائل المتبادلة بين هذه العائلة والحكام العثمانيين – بين يوسف باشا ومحمد بكداش- وقد عثر على هذه الرسائل أبو القاسم سعد الله بالمكتبة الوطنية بباريس رقم6724 في مجموع، وقد نشره في كتابه تجارب الأدب والرحلة، ص-ص. 54-62، كما أن هذه الرسائل نشرت أيضا في كتاب التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف لأحمد بن قاسم البوني والذي حققه الدكتور سعيد دحماني، وذكر بأنه تحصل على نسخة وهي صورة شمسية من خط حسن بن الشاذلي بوزمند الذي أنجز نسخته في غضون سنة(1905م).

5- تولى هذا الباشا حكم الجزائر عدة مرات بين سنوات (1044-1064هـ) ومن الأسباب التي كانت تؤدي به إلى الصعود تارة والسقوط تارة أخرى – طبيعة الحكم العثماني في الجزائر- وقد واجه يوسف باشا ثورة عظيمة كادت تعصف بالنظام العثماني كله لاسيما في شرق الجزائر، وهي ثورة ابن الصخري وكانت هذه الثورة من أسباب المكاتبة بين يوسف باشا ومحمد ساسي البوني، باعتبار ماله من تأثير على المجتمع. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، م. و. ك، الجزائر، 1983 م، ص46.

6- أحمد بن قاسم البوني، **التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي الشيخ أبي مروان الشريف**، تح: سعيد دحماني، دار الهدى، عين مليلة، 2001م، (سلسلة لجنة الثقافة والسياحة والرياضة للمجلس الشعبي البلدي)، ص-ص. 114-118.

المؤلف علي محمد ساسي يتلقى مراسلات مع عيسى الثعالبي[1]، يطلعه على مجرى العمليات العسكرية بنقاوس ضد الثوار[2]. واستمرت هذه العلاقة بين أرباب الحكم المركزي وعائلة ساسي البوني مع الشيخ أحمد بن قاسم البوني، هذا الأخير لازم محمد بكداش أيام إقامته بعنابة (1700-1704م)[3].

أما محمد بن ميمون الجزائري[4]؛ فإنه ينحدر من عائلة لم تكن لها مكانة معتبرة لدى السلطة التركية، رغم أنها اشتهرت بالعلم فجده أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي (ت1979م)، كان عالما بالفقه واللغة وصاحب نظم التوحيد[5]. وقد استطاع ابن ميمون أن يكتسب مودة الداي محمد بكداش[6]، فأوكل إليه خطة قضاء الجزائر، وقد ذكر عبد الرزاق بن حمادوش أنه تولى أيضا خطة قضاء المواريث زمن الداي إبراهيم عبدي باشا[7]، فابن ميمون كان متحمسا في تأييده لبعض رجال السلطة التركية، كما نجده جريئا

1- ترجم له في الصفوة بقوله: "العالم الكبير المحقق الشهير أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة من عمالة الجزائر. نشأ رحمه الله في وطنه ... وتاقت به نفسه للرحلة لطلب العلم بعد أن حصل ما عند أهل وطنه .... لازم الشيخ أبي الحسين علي بن عبد الواحد الأنصاري... الذي حصلت له وجاهة عظيمة عند أرباب الدولة... "، ويذكر أبو سالم العياشي أن عيسى الثعالبي، وكان يتردد بين الحرمين وتوفي سنة 1080 هـ. ينظر: أبو القاسم الحفناوي، مصدر سابق، ج. 1، ص-ص. 83-84.

2- يذكر أحمد البوني أن عيسى الثعالبي كان قادري الطريقة، ينظر: أحمد بن قاسم البوني، مصدر سابق، ص35.

-ويرجح فايسات دور الإنتماء القادري لعائلة ساسي البوني في تمكينها من الحظوة عند الادارة التركية. ينظر: Veyssettes, **Ibidem**, P. 343.

3- أبو عبد الله محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص116.

4- لمحمد بن ميمون قصيدة في تهنئة ابن عبدي باشا -حكم (1721-1732م) - بانتصاره على أحد الثوار في الغرب الجزائري ينظر: أبو القاسم سعد الله، "قصيدة سياسية خطية لابن ميمون الجزائري"، **مجلة الثقافة**، ع: 15، 1973م، ص-ص. 37-42.

- وهذه القصيدة نشرت أيضا في : **أبحاث وأرآء... لأبي القاسم سعد الله**، ج. 1، ص-ص، 216-217.

5- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي** ...، مرجع سابق، ص398.

6- ومن الأدلة الواضحة على علاقة ابن ميمون بالسلطة التركية ما ذكره بنفسه في كتابه: التحفة المرضية... بقوله: "وبعد فإنني لما مولانا الإمام ... عالم الأمراء وأمير العلماء، فخر الدولة العثمانية، وناشر العدل ...أبو النصر محمد بكداش، والتف ملكه بالإحسان إليه المحتوي ما نشر من السيرة المحمدية عليه وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه فوسمته باسمة وكسوته نور وسمه..."، فهذا النص يدل على محبة ابن ميمون الخالصة للداي ولسيرته. ينظر: أبو عبد الله بن ميمون، **مصدر سابق**، ص-ص. 112-113.

7- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص216.

في ذم البعض الآخر وإظهار عدائه لهم، ويصفهم بالظلم والطغيان وسوء المعاملة ونهب أموال الرعية وإهمال شؤون الدولة[1].

يبدو أن التذبذب الحاصل في علاقة المؤرخ بالسلطة كان نتيجة تنافسه مع بعض علماء المدينة له حول المنصب، واختلافه مع كثير منهم مثل المفتي محمد بن نيقرو[2]. غير أن علاقته تلك قد أفادته كثيرا في إثراء مؤلفاته بأخبار السلطة التركية، وإنجازات بعض رجالاتها[3] خاصة وأنه عاصر بعض أحداث الصراع الجزائري الإسباني[4]، كاسترداد وهران ثم سقوطها.

وهناك مؤلفون لا نحتاج إلى كثير من الأدلة على تأييدهم للسلطة العثمانية، فعبد القادر المشرفي مؤلف" بهجة الناظر..."رغم أنه لم يتول الوظيفة أو المنصب الديني، إلا أنه كان مؤيدا «للأتراك» مساندا لهم، مشاركا في غزواتهم ضد الإسبان خاصة في فتح وهران الأول، ويقدم مؤلفه السابق الذكر دليلا قاطعا على مساندته وتأييده «للأتراك» الذين يعتبرهم مجاهدين وحماة البلاد والعباد، ويتهجم على المتعاونين مع الإسبان ويفصل في أخبارهم[5].

أما ابن المفتي وابن علي فهما ينحدران من أسرة تركية نزح أجدادهما إلى الجزائر مع العثمانيين الأوائل، فأسرة ابن علي، وتقلد أفرادها مناصب الفتوى والقضاء في مدينة الجزائر، وقد تقلد هو نفسه منصب الفتوى من عام1150هـ إلى حوالي 1169هـ[6] حسب تقدير الدكتور أبي القاسم سعد الله. أما ابن المفتي فهو من الكراغلة، وعائلته كانت متصلة بالحكم العثماني، فجده رجب بن محمد ولد بقره حصار، (مدينة تقع بالقرب من أزمير في آسيا الصغرى)، واتجه إلى الجزائر في إطار التجنيد، وتدرج في الرتب إلى أن

1- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص113.

2- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي...**، مرجع سابق، ص398.

3- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء ...**، مرجع سابق، ج. 1، ص214.

4- كان الفتح الأول لوهران في عهد محمد بكداش سنة 1119هـ. وقد فتحت على يد مصطفى بوشلاغم، الذي جمع بين الأيالة الشرقية والغربية بمعونة حسن أزون. ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين**، تح: ش. و. ن. ت، 1974م، ص19.

5- أنظر: أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **مصدر سابق**.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** مرجع سابق، ج. 1، ص-ص. 300-302.

أصبح شاوش العسكر ثم بولوكباشي[1]، أما والده حسين فقد تولى وظيفة الفتوى الحنفية، هذه الظروف ساعدت ابن المفتي في التعرف على أخبار السلطة وأعيان العلم في الجزائر[2].

ومن المؤرخين الذين أرخوا لأحداث بايلك الغرب على عهد محمد الكبير أحمد بن هطال التلمساني الذي كانت له علاقة وطيدة بالباي محمد الكبير، إذ كان كاتبا ومبعوثا له في المهمات الخارجية[3]، ويكفي انه مات في إحدى الوقائع الحربية بين الباي مصطفى بن عبد الله العجمي[4]، وابن الشريف الدرقاوي[5]، عندما كان مصاحبا للباي بصفته كاتبا له، وقد كان معه كاتبا آخر وهو العلامة الأديب محمد الغزلاوي.

ويعد أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي[6] من مؤرخي بلاط محمد الكبير أيضا، فقد ولاه وظيفة الكتابة، فأكثر على الباي بمدحه وثنائه، إلا أن ما يميزه عن ابن هطال، أنه كان ممن التمس فضل الجهاد ضد الإسبان مع «الأتراك» العثمانيين، فنجده يؤرخ لمسيرة عروج وخير الدين بربروس وتاريخ وهران، فمؤلفه: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، لخير دليل على شدة تعلقه بالجهاد[7].

1- بولوكباشي: رئيس فرقة أو كتيبة أو فيلق... ينظر: مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص82.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص370.

3- أبو العباس أحمد بن هطال، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري**، تح: محمد بن عبد الكريم، القاهرة، 1969م، ص29

4- من بايات الغرب الجزائري تولى الحكم سنة 1800م، وقاد معركة ضد ابن الشريف الدرقاوي، ولما هزم عزل، ثم عاد مرة أخرى إلى الحكم بوهران آخر سنة 1807م، وبقي تسعة أشهر حارب فيها الدرقاويين وهزمهم، كما حاربهم أيضا بوادي الخير بعد أن انضمت إليهم قبيلة بجاهر وهزمهم جميعا، وفي هذه الأثناء عين خزناجيا فيها، ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، **مصدر سابق**، ص27.

5- ابن الشريف الدرقاوي من أتباع العربي الدرقاوي وأخذ عنه الطريقة وقد درس بزاوية القيطنة ثم ارتحل إلى المغرب ليعود إلى الجزائر، وأظهر الصلاح والزهد، كما أنه كان متصوفا وقد قامت ثورة بينه وبين الأتراك، وهذه الثورة سميت باسم الطريقة التي ينتمي إليها لأنها كانت ثورة عظيمة، ويذكر صاحب الإستقصا أن بوادر هذه الثورة تعود إلى عداوة البايات في وهران لرجال التصوف والطرق الدينية، وقد قتل هؤلاء البايات بعض رجال الطائفة الدرقاوية وأمر بأن يقبض على زعيمهم عبدالقادر ففر عبد القادر إلى بلاد الأحرار الصحراء ثم استعد للثورة. ينظر: أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، ج. 8، 1956، ص109.

6- هو أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، ينتسب إلى أسرة بني راشد لها سابق الجهاد فقد حضر عمه فتح وهران الأول 1708م. ولا نعرف عن حياته إلا القليل فهو من مواليد النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي**، مرجع سابق، ص442.

7- ينظر: ابن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**.

ومن الذين وجدوا الاهتمام من محمدالكبير باي الغرب، محمد المصطفى بن عبد الله المعروف بابن زرفة فعينه في وظيفة باش كاتب، وكلفه بتقيدأحداث الجهاد ضد المسيحين الإسبان في وهران، وبعد أن أتم عمله المذكور أسماه: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية[1]".

أما أبو راس الناصر فلم يكن نافرا من السلطة التركية؛ إذ نجده يمدحهم ويتقرب إليهم، من ذلك مشاركته إلى جانب الباي محمد عثمان في الجيش الإسلامي لفتح وهران[2]، فضلا عن إشادته في كتبه بولاة آل عثمان، وبدورهم الإسلامي من ذلك ما قام به من شرح: "نفيسة الجمان بفتح ثغر وهران"، وسمي هذا الشرح: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار[3]"، كما نجده مقيما في بلاد حموده باشا بتونس، وكذلك في بلاد السلطان العلوي المولى سليمان[4].

أما مسلم بن عبد القادر فقد تقلد في شبابه منصب خوجة للآغا المزاري، أحد آغوات المخزن بوهران[5]، ثم ارتقى إلى منصب باش كاتب لدى الباي حسن الأخير، وقد أبدى مسلم بن عبد القادر تمسكا لولائه للسلطة التركية كموظف بمخزنها إلى غاية سقوط وهران. ولا تدلنا المصادر على وجود أي تأييد مهما كان نوعه من المؤلف للسلطة الفرنسية رغم ولاء الباي حسن[6] لها، وإقامته تحت حكمها أشهرا عدة. فمسلم بن عبد القادرتو في سنة 1832م بعيدا عن أعين السلطة الفرنسية في إحدى ضواحي عين تيموشنت

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص341.

2- عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، المطبعة العربية، ج. 3، الجزائر، 1900م، ص-ص. 570-577.

3- هذا الشرح عبارة عن مدح وشكر وثناء وعرفان بأعمال الباي محمد عثمان ويقول في ذلك : "... حتى سطعت لي أنوار الهداية...وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله ... بفتح ثغر وهران... على يد من استظل للأنام بضل (كذا) العدل وللإحسان... الباي محمد بن عثمان ملك تفرد بعناية المحاسن والمناظر، وجمع أشتات الفضل بل والمخاطر...". ينظر: محمد أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخ. م. و. لج، رقم 1632، ق. 3. و.

-اهتم أبو راس في بالمشاركة في حرب درقاوة ضد السلطات العثمانية، فعزل من منصبه وفي هذه الأثناء ألف كتابه: "درء الشقاوة في حرب درقاوة"، ولما تبينت براءته بنى له الباي مصطفى مسجدا بمعسكر مزودا بمكتبة بها أكثر من ثلاثة آلاف مجلد، وغرفة للمطالعة تدعى ببيت المذاهب الأربعة. ينظر: عبد القادر أوقاسي، **مخطوطات المؤلفين الجزائريين**...، ص454.

4- أبو القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ج. 2، ص-ص. 341-342.

5- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص470.

6- هو آخر بايات وهران تولى سنة 1816م، وقد قرب إليه مسلم بن عبد القادر الوهراني، ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، **مصدر سابق**، ص-ص. 112-113.

بعد سقوط وهران بأشهر عدة، إلا أنه صب جام غضبه على الترك في رجز، أرجع سبب سقوط البلاد في أيدي الفرنسيين إلى ظلم المتأخرين منهم وطغيانهم[1] بقوله:

.. . خلا له الجو فمد رجله § لما طوى ملك «الأتراك» رحله

أدبهم ربهم لما طغوا § عرفـــهم بغدرهم لمـــا بـــغوا.. . [2]

ونجد من المؤرخين المؤيدين للسلطة العثمانية أيضا، الحاج أحمد الشريف الزهار[3]، وحمدان بن عثمان خوجة، والآغا بن عودة المزاري. فالأول من عائلة توارثت نقابة أشراف[4] الجزائر أبا عن جد، ويحظى كل أفرادها بمكانة متميزة في المجتمع، وقد خلف والده في نقابة أشراف الجزائر، فتوفرت له ظروف الارتباط الوثيق بالسلطة، وبسقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين، انتقل الزهار إلى تونس، ثم عاد إلى قسنطينة، وشغل خطة الكتابة لدى الحاج أحمد باي إلى غاية سقوط قسنطينة، حيث انتقل إلى مليانة ثم معسكر وتولى كتابة سر الأمير عبد القادر، وبعد القضاء على مقاومة هذا الأخير عام 1848م، انتقل إلى فاس، وأرغمه تقدمه في السن إلى العودة إلى الجزائر[5]، ليعود من جديد إلى رواق الإدارة بتوليه نقابة الأشراف تحت حكم الإدارة الفرنسية مرة أخرى[6].

1-2-1-2- علاقة نفور (المؤرخين الجزائريين النافين من السلطة العثمانية):

قليلا ما نجد من جملة مؤرخي الجزائر في العهد العثماني نافرا[7] من السلطة مبتعدا عنها، فالمتأمل في سير مؤرخي الجزائر في العهد العثماني، يكاد يجزم بأن المؤرخ يصنع في مخابر السلطة، وربما أثر ذلك في الفهم

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية: **دراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص245.

2- مسلم بن عبد القادر الوهراني، **مصدر سابق**، ص34.

3- هو محمد الشريف الزهار (1781-1872م)، ولد بمدينة الجزائر من محمد بن عثمان باشا، ينظر: محمد الشريف الزهار، **مذكرات الزهار**، تح: أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980م، ص9.

4- الأشراف هم المسلمون الذين يزعمون أنهم من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد أعطاهم العثمانيون مكانة مرموقة في مجتمعهم، وكانوا مندمجين في جميع الشرائح الاجتماعية فكان منهم العلماء والجنود والتجار والأغنياء والفقراء والشحاذين ينظر: خليفة حماش، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عبد الحميد عبد العالي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص82.

5- خليفة حماش، **المرجع نفسه**، ص10.

6- محمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص20.

7- مصطلح النفور من نفر، ينفر، نافر أي ابتعد. فلا نقصد من النفور هنا المعادي للسلطة العثمانية بل نقصد بهذا المصطلح المبتعد عنها- المحايد للسلطة التركية -أو المسالم لها أي: المؤرخين الذين اتخذوا موقفا حياديا من السلطة.

الشائع للتاريخ آنذاك. فحتى الذين كتبوا التاريخ أثناء العهد العثماني كانوا يكتبون على لسان الأمراء والولاة[1]، وإن لم يكتبوا على لسانهم يكتبون تزلفا، وحتى الذين نفروا من السلطة العثمانية في الجزائر، نجد أغلبهم يتقربون إلى السلطة المغربية سواء السعدية، أو العلوية في المغرب الأقصى.

لكن هناك من كان نافرا من السلطة بهدف الزهد، وبهدف اجتناب محاباة السلطة، كابن مريم المديوني التلمساني مؤلف: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، الذي عاش في منتصف القرن16م بتلمسان[2]، إذ ليس هناك ما يجعلنا نلمس اتصالا لابن مريم بالسلطة تأييدا أو اصطداما، فبرغم أنه ترجم لبعض العلماء الذين ابتلوا بظلم «الأتراك» استعمل أسلوبا لغويا حياديا شبيها إلى حد بعيد بأسلوب الكتابات الموضوعية الحديثة، رغم تعاطفه الواضح مع هؤلاء العلماء[3]. ومما لا شك فيه أن ابن مريم لم يتصل بالسلطة السعدية عند تنقله إلى المغرب الأقصى[4]، بدليل أنه عاد إلى تلمسان للاشتغال بالتدريس، و لم يواصل مكوثه بالمغرب.

أما أحمد المقري التلمساني صاحب المصنف المشهور بـــ: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، فإنه وإن كان نافرا من السلطة التركية في الجزائر التي عاش مرحلة نشأته في إحدى المقاطعات التابعة لها (أعني تلمسان)، إلا أن الجزء الأكبر من حياته قضاه متنقلا بين مدن المغرب الأقصى متصلا برجالات السلطة فيها، وقد اتصل بالسلطان أحمد المنصور الذهبي (العلوي) بمراكش، عن طريق أحد قواده بفاس[5]. وفي عودته الثانية إلى فاس، ولّيَ الخطابة بجامع القرويين وارتقى إلى منصب الإفتاء في بلاد السلطان زيدان مدة خمسة عشر سنة[6]، إلا أن علاقته تلك لم تستمر مع الخليفة زيدان المأمون، مما اضطره إلى الخروج من فاس متجها صوب المشرق[7] متنقلا بين الحجاز ومصر والشام، إلى أن توفي بالقاهرة سنة 1632م.

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص322.

2-أبو القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ج. 1، ص147.

3- مثال ذلك ترجمته لشيخه محمد السويدي، الذي قتله «الأتراك» في إحدى ثورات أهالي تلمسان. ينظر: أبو عبد الله محمد بن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1908، ص290

4- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص299.

5- عادل نويهض، معجم **أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط. 2، بيروت-لبنان، 1980م، ص43.

6- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص-ص. 327-328.

7- تذكر المصادر أن المأمون السعدي طلب من المقري أن يجيز تنازله للإسبان عن ميناء العرائش، مقابل إعانته له على استرجاع عرشه، وهو ما اضطره إلى التسلل خفية والخروج من فاس تجنبا من الخوض في هذه القضية، كما اتهمه أهل فاس

ومن الذين تسجل المصادر ابتعادهم عن السياسة وشؤون السلطة، الطبيب المؤرخ عبد الرزاق بن حمادوش؛ الذي عرف عنه اعتداده بشرفه ومحافظته على مكانته العلمية وميله إلى التصوف، إذ لم يغير من نمط حياته البسيطة[1] رغم اشتغاله بمنصب صغير في السلك الديني، بمدينة الجزائر، وحتى في كتاباته التاريخية حول باشاوات الجزائر نجده ملتزما الموضوعية لا مادحا ولا جارحا، فعندما انتهى من ذكر ولاة الجزائر العثمانيين ذكر أصلهم بقوله: "... هذه ذرية بني عثمان وليسوا من ذرية سيدنا عثمان بن عفان، وإنما هم من ذرية الترك[2] ...".

ومن المؤرخين النافرين من السلطة الحسين بن محمد السعيد الورثلاني[3]، فهذا المؤلف عاش خلال القرن الثامن عشر بمنطقة القبائل متنقلا بين مختلف الزوايا ومعاهد العلم. ملتزما بحياة الزهد والتقشف وليس هناك ما يدل على اتصاله بالسلطة العثمانية في الجزائر، ولا في غيرها عدا بعض اتصالاته بباي طرابلس الغرب في طريقه إلى الحج، ولا تبدو هذه العلاقة إلا من قبيل حاكم طرابلس بالعلماء وإجلالهم[4]، إلا أننا نتساءل عن بعض ما أورده هو نفسه في رحلته؛ حيث يذكر قائد بجاية أحمد اسطنبولي، ويقول أن والده تاب على يديه فهل كان للورثلاني علاقة بوالد هذا القائد؟. المهم أنه لم يتول وظيفة أو منصبا بمخزن الترك إلا أنه كان كارها للفتن. وإن كان آخذا على الترك كثرة ظلمهم في بعض أوطان البايلك[5]، فيصف ثورات العرب بالطغيان والزيغ.

1-2-1-3- علاقة معارضة (المؤرخون المعارضون للسلطة العثمانية):

إن الدارس لواقع المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني يجد قلة المعارضين منهم للسلطة حتى في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وقد يبدو لمن ليس له علم بالواقع السياسي والاجتماعي للجزائريين في ظل الحكم «التركي» العثماني أن لذلك مردودا إيجابيا يوحي بعدل السلطة ومساعيها من أجل النهوض بالآداب

بميله إلى إحدى القبائل التلمسانية الأصل، وتحقيق حضوتها لدى السلاطين السعديين. ينظر: ابو القاسم محمد الحفناوي، **مصدر سابق**، ج. 1، ص52.

1- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص432.

2- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص235.

3- هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر أحمد الشريف نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي، أصله من تافيلالت بالمغرب الأقصى، ولد بالجزائر سنة 1713م، بقرية آنو بجوار قرية بني ورثلان، وتوفي بها سنة 1780م. ينظر: يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة**...، مرجع سابق، ج. 1، ص44. وينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**...، مرجع سابق، ج. 1، ص188.

4- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي**...، مرجع سابق، ص419.

5- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص، ص. 132، 81.

والعلوم، لكن الواقع يؤكد أن السلطة العثمانية كانت تراقب كل معارض لها، وكانت متحيزة إلى علماء من المشرق على حساب علماء من الجزائر[1]. وإن كان النظام العثماني أبدى شيئا من الاحترام بغية استغلال العلماء كوسيلة لاحتلال السواد الأعظم من الناس.

هناك مقولة نسبها علماء العصر للرسول – صلى الله عليه وسلم- جاء فيها: "اتركوا الترك ما تركوكم"[2]، ويظهر أن البعض قد آمن بهذه المقولة وصدقها، وقد غذى ضعف العلوم ذلك مثلما غذى أفكار التصوف[3] التي ساهمت هي نفسها في التأسيس لثقافة قدرية ترفع من حجة اجتناب الفتن، وطاعة أولياء الأمور شعارا لها، ولم يقف المثقفون عند حدود النخبوية التي تفرغ الثقافة من محتواها بواسطة قطع الوشيجة بين أصحابها (المثقفون، والرعية)، بل إن هيئة العلماء قد آلت إلى قوة تحالفت مع «الأتراك» طوال العهد العثماني ضد الرعية لحساب مصالحها الذاتية، ومن غريب الصدف أن نجد المعارضين للسلطة فيمن تعتبر تركتهم الثقافية شيء من التأريخ هم من الشعراء، والاثنين الذين تأكدنا من معارضتهم «للأتراك» من بايلك الغرب.

فقد اتخذ الشاعر أبو عثمان سعيد المنداسي التلمساني[4]، الذي عاش في القرن 17م موقفا عدائيا من «الأتراك» العثمانيين، فغادر بلده تلمسان وشَهَّر بظلمهم في قصيدة نونية مشهورة ومدى ما تركته سياسة العنف الدموية التي اتبعها عمالهم في مدينة تلمسان من نتائج وخيمة كقتل العلماء الأخيار واضطهاد العامة[5] بقوله:

وأكبر شيء أفسدته أكفهم § تلمسان عين الغرب علما وإيمانا
على نهب أموال اليتامى تظاهروا § وكانت لهم على المدينة أذانا.. .[6]

1- لمزيد من المعلومات يراجع: عميراوي احميدة، **فواصل من الفكر والتاريخ**، دار البعث، قسنطينة 2002م، ص-ص. 89- 95.

2- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين**، مرجع السابق، ص319.

3- لقد غيب دور العلماء في مراقبة السلطة نتيجة لضعف مستواهم الفكري وعدم حضارية الدولة التركية التي تعتمد في كثير من الأحيان على القوة في بسط سلطانها وإذا لم تنجح القوة، تقوم بإسكات المعارض عن طريق الوظيفة فأصبح العالم في نظر السلطة لا السلطة في نظر العالم.

4- لا نعرف عن حياته إلا القليل، فهو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي الأصل التلمساني دارا ومنشأ، وقد عاش في تلمسان في القرن 11هـ، ودرس بها العلوم التي كان يدرسها أبناء عصره وهي اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعلوم الشرعية وعلم الكلام وغيرها ولا ندري متى توفي فهل كان في القرن 11هـ. أم في بداية 12هـ. ينظر: أبو عثمان سعيد المنداسي، **ديوان**، تح: رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، ص5.

5- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي...**، مرجع سابق، ص368.

6- أبو عثمان سعيد المنداسي، **مصدر سابق**، ص، ص. 87-90.

كما هجا ابن زاغو[1] الذي أعان حكام «الأتراك» بإجازة ارتكاب المجازر في أهل بلده بقوله:

.. . فقل لابن زاغو للضلال أيِّمـــــة § تدبر لحاك الله ما قال مولانا.. .

فقل لابن زاغو رأس كل خطيئة § فلا تحسب الفتك بالأهل سلوانا

وقد كان الشاعر جريئا بحيث دعا الناس إلى الثورة على «الأتراك» ومحاربتهم إذ قال :

أيا آل دين الله مالي أراكـــــم § نياما وكان الطرف من قبل يقضانا

فداركـــم الزهراء بالنار أحرقت§ وبان جميل الصبر للزيغ إذ بانـــــا[2]

وقد هاجر المنداسي إلى المغرب الأقصى، واشتغل بتدريس ولد السلطان إسماعيل، الذي حظي عنده بمكانة مرموقة، وقد مدحه وثنى عليه بقصائد من الشعر الملحون[3].

وهناك شاعر آخر لم تكن له علاقة حسنة بالدولة التركية، ولا يبدو أنه كان مسالما لها، وهو الشاعر أبو عبد الله بن مسايب[4]، وقد ترك أشعارا فيها من التعبير عن معارضته لحكم «الأتراك» الكثير. إذ عبر في قصيدة عن فقر تلمسان، وخرابها الذي رده إلى ظلم وتعسف البايلك بقوله:

خرب البلاد المخزن وكلاها § السواق خالية والباطل رنان

بعد الهناء وبعد الزهرة تلمسان[5]

وإن كنا نشك في صدق موقف ابن المسيب من «الأتراك» العثمانيين، ونعتبره ناتجا عن لهوه، واندفاعه. لا عن مبادئ ونظرة حتمية للواقع خاصة وأن خروجه إلى المغرب هروبا من القائد «التركي» بالمدينة، واستقراره بمكناس تحت رعاية أبناء المولى إسماعيل؛ كان بسبب تجرئه على نظم القصائد متغزلا فيها بنساء أعيان تلمسان، ومنهم زوجة القائد «التركي» مما جلب النقمة عليه بدليل أنه عاد إلى تلمسان بعد أن تمكن بعض أقربائه من الحصول على عفو له.

1- ليس لدينا ترجمة لهذا الفقيه فكل ما نعرفه عنه أنه سليل عائلة أندلسية كانت لها الحظوة عند ملوك بني عبد الواد، ثم ناصروا «الأتراك» العثمانيين، وقد تولى هذا الفقيه منصب الإفتاء بالمدينة، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص369.

2- أبو عثمان سعيد المنداسي، **مصدر سابق**، ص10.

3- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص370.

4- ولد ابن مسايب بتلمسان في أوائل القرن12هـ، وينحدر من أسرة أندلسية نزلت بفاس ثم استقرت بتلمسان، وقد كان بائعا للقماش. نبغ في الشعر الملحون وله مؤلفات مجهولة.

- Bencheneb (M), « Itinéraire de Tlemcen à la Mekke. par Ben-Messaib, (XVIIIe siècle) », **R. A**, 1900, N40, P275

5- هذه القصيدة منشورة بالفرنسية والعربية سنة1900 م في **R. A**. no 44. p-p. 259-282

2- الواقع العلمي والثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

2-1- الواقع العلمي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني:

عندما نتحدث عن الواقع العلمي؛ نقصد به النشأة العلمية أي نوعية وأسلوب التكوين الذي تلقوه، فالتاريخ لم يرق إلى مستوى علم له ضوابطه التقنية والمنهجية، مثلما هو عليه الحال اليوم، فمن الغلط إذن أن نتحدث عن دروس في التاريخ يتلقاها المتعلم في الكتاب ولا حتى الطالب في حلقة الدرس بانتظام عدا ما يتعلق بالسيرة النبوية، هذه الأخيرة كانت محل اهتمام رجال العلم باعتباره أحد فروع العلم الشرعي.

وقد يتساءل القارئ عن جدوى دراسة الواقع العلمي للمؤرخين، والحق نقول إن نوع التكوين وأطره له تأثير كبير على توجيه اهتمامات المؤرخ في تأليفه ومنهجه حين تلقى تكوينا أدبيا تكون لغته أرقى، ومن كان تكوينه دينيا يهتم بالتراجم للأعلام برجالات التصوف والعلم الشرعي أكثر من اهتمامه بأصحاب العلوم الأخرى، ومن نشأ على الأخبار والتاريخ مال في غالب الأحيان إلى التاريخ[1].

وقبل الحديث عن وسائل التكوين يجدر بنا أن نتطرق إلى أساليبه، وأطره المحكومة بدورها إلى ظروف العصر العلمية والثقافية، فابتداء من الكتاب حيث يعمل الطفل على استظهار القرآن، وبعض من صحيح البخاري، ومتون النحو والصرف عادة يبدأ المتعلم في صقل ملكته العلمية على أساس السماع والحفظ[2]، حيث يكاد ينعدم دور التدوين والكتب، وإذا تم للطالب استظهار كتاب الله ينتقل إلى مرحلة أخرى، كثيرا

1- إن أول ملاحظة نلاحظها على مؤرخي الجزائر في العهد العثماني، هو أن أغلبهم من أسر علمية وأنهم قد تلقوا العلم بداية على يد آباءهم، فابن مريم مثلا احترف التعليم واشتغل بالتأليف، وقد ذكر في ترجمته لوالده سيدي محمد بن أحمد أنه احترف التعليم وكان أول عهده بتعليم الصبيان يوم خلف أباه عندما مرض مرض الموت، وقد حثه والده على الاستمرار بهذه المهنة، فقال: فتماديت على ذلك. ينظر: مجلة **الأصالة**، ع: 28، رجب، شعبان الجزائر 1395هـ. ص260.

وهذا ابن الفكون - يخبرنا الدكتور سعد الله عنه - أنه تلقى العلوم الأولى على يد أبيه، ولا يخرج عن حاله هذه أحمد المقري الذي اشتهرت أسرته بالعلم. خصوصا عمه سعيد قدورة، الذي كان من كبار المدرسين، وأيضا أحمد بن قاسم البوني، وعبد القادر المشرفي وغيرهم من المؤلفين، ما عدا ابن حمادوش فقد كان من أسرة احترفت الدباغة، وقد كان ابن حمادوش عصاميا في تكوينه معولا على نفسه، أما أبو راس الناصر يخبرنا بنفسه في مؤلفه: **فتح الإله ومنته**...، بأنه أخذ علومه الأولى على يد والده ثم رحل إلى فاس، وبعدها عاد إلى الجزائر ليلازم شيخه عبد القادر المشرفي، أما عن أنواع التكوين أو العلوم التي تلقوها -كما قلنا وكما سيأتي- فأغلبها بالأحرى جلها علوم دينية، فكتاب ابن ميمون مثلا: "التحفة المرضية..."بالرغم من أنه مقامات أدبية إلا أننا عندما نطلع عليه نجد انه يغلب عليه التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون، وهذا أبو راس الناصر بالرغم من أنه كان محبا للتاريخ كثيرا، وإقتدائه بمن سبقه كالسيوطي إلا أنه ألف في هذا العلم 39 كتابا من مجموع 137 كتاب في مختلف العلوم.

2- سنرى كيف أثرت هذه الطريقة على حركة التأليف التاريخي خاصة فيما يتعلق بتدوين الأخبار التي ينقلها المؤلف عن شيخه دون ذكر الإسناد الصحيح، وتدخل الثقة كعامل بارز في ذلك.

ما يكون فيها الترحال بحثا عن العلم، هو الوسيلة الضرورية والأكثر فعالية، وقد كانت القبلةُ كلاً من تونس ومدن المغرب الأقصى ومصر والحجاز، ومن الجزائر كل من عنابة، قسنطينة، مازونة، تلمسان، وأم عسكر، محاط لا غنى عنها لطالب العلم آنذاك، حيث يلازم الطالب شيخه إلى أن يحصل منه على إجازة علمية مدونة[1]، وقد تستمر الملازمة أشهر عديدة بحضور جلسات المشاركة في الحلقات وجمع الشارد والوارد، وإثبات الطاعة والإعجاب[2].

ولكن هناك من المؤلفين من كان تكوينه يعتمد على مدينته فحسب، مثل: عبد الكريم الفكون الذي عكف على القراءة وحده في مكتبة العائلة الغنية[3]، إذ لا نجده مرتحلا في طلب العلم[4]، ويذكر ابن حمادوش أيضا أنه تلقى العلم قراءة لا سماعا، إلا أنه أكثر من الرحلة[5] في طلب العلم، عكس سابقه الفكون. وهو ما

1- تقابل الإجازة العلمية للشهادة. الكفاءة العلمية حاليا، وتعطى الإجازة للمجاز الحق في تدريس ورواية العلم الذي أجازه فيه الموجز، وهناك نوعين من الإجازات؛ إجازات مقيدة ويحدد المجيز في نصها مجال العلوم التي لقناه للطالب، والكتب التي قرأها له يعددها واحدة واحدة، أما الإجازات المطلقة فلا تقيد فيها ولا تحديد، يجيز فيها الشيخ للطالب تدريس ما اقرأه إياه. وكانت الإجازات العلمية، إحدى أهم دواعي الرحلة في طلب العلم.

-أغلب مؤرخي العهد العثماني تحصلوا على إجازات من شيوخهم فبالرغم من أن المصادر سكتت عن كثير من الجوانب في حياتهم، إلا أن أغلبها تتحدث عن الإجازات. فالمؤرخين أنفسهم يذكرون ذلك في مؤلفاتهم لما في هذه الإجازات من رفع قيمة المؤرخ (أي الطالب الذي تحصل عليه) فابن حمادوش مثلا: أجازه الشيخ البناني، والشيخ السرايري، والشيخ الورززي، وغيرهم من الشيوخ. ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص، ص. 37، 62، 67. كذلك ابن سحنون فهو يخبرنا بنفسه في مؤلفه عن إجازة ابن عبد الله السيد محمد الموثق بن محمد بن عبد الرحمان المشهور بأبي جلال له ويورد نص هذه الإجازة. ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص230.

فكل مؤرخي العهد حصلوا على إجازات من شيوخهم، و لم يكن من المؤرخين فقط يتحصلون على إجازات؛ بل كانوا يجيزون طلبتهم من ذلك ما ذكره لنا ابن الفكون من أن علي بن عثمان لازمه نصف سنة، و لم ينفصل عنه حتى أجازه بما قرأه. أما أحمد بن عمار فقد أجاز محمد خليل المرادي الشامي (فهذا الخير دليل على تأثر الأقطار العربية الأخرى بالمؤرخين الجزائريين لدرجة طلبهم للإجازة)، ونص هذه الإجازة نشره الدكتور سعد الله في كتابه: **تجارب في الأدب والرحلة**، مرجع سابق، ص-ص. 67-68.

2- مولاي بلحمسي، **مرجع سابق**، ص33.

3- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص19.

4- رغم أن الفكون تولى وظيفة إمارة ركب الحج لمدة طويلة. مرتحلا بين الجزائر والمشرق؛ إلا أننا لا نجد في مؤلفاته، ما يبين اهتمامه بعلماء الأوطان التي مر بها، وحتى الأعلام الذين ترجم لهم، هم في المجموع لا يخرجون عن نطاق الجزائر الحالية، ويبدو أن الوظائف المخزنية التي كان يتولاها هي التي شغلته عن الاهتمام بالرحلة العلمية، كما وفرت له ظروفه المادية إمكانات التكوين عن طريق القراءة.

5- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي**...، مرجع سابق، ص432.

ساهم في توجيه رصيده التأليفي نحو التاريخ، فالرحلة بقدر ما هي مؤلفا جغرافيا إن دونت، فهي في حد ذاتها تثري معلومات المؤلف بأخبار الأمم والمسالك والممالك، وتساعد في التراجم لرجالات العلم والولاية، كما تمكن من الحصول على مدونات مختلف المعارف التي توجد بمكتبات مدن المؤلفين.

2. 2- الواقع الثقافي للمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

2-2-1- دور الكتاب في التكوين التاريخي لمؤلفي العهد العثماني:

يجب أن نبين دور كتب التاريخ وتأثيرها في حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، باعتبارها المرجعية الأهم لأخبار الماضي، والوسيلة الأكثر فعالية لتكوين المؤرخ الجاد. فالمعلومات التي تقدمها المصادر عن الكتاب شحيحة[1]، وكذلك نصوص الإجازات العلمية[2] لا تذكر كتب التاريخ، وهي ضئيلة جدا، كذلك في قوائم تقارير الفرنسيين في الفترة الاستعمارية، ووثائق الوقفيات هذه الأخيرة تذكر أعدادا معتبرة من الكتب والمكتبات. إلا أن أعداد الكتب التاريخية فيها لا تكاد تذكر، مقارنة بكتب النوازل والأحكام وبعض كتب التراجم، ولكن بمجرد القراءة المتأنية لبعض نصوص مؤلفات القرون العثمانية الثلاثة في الجزائر نجد أنه هناك اطلاع -لا يمكن نفيه- من لدُن المؤرخين الجزائريين على بعض مدونات المدرسة التاريخية الإسلامية، كتاريخ ابن خلدون الذي شرح المقري جزأه الأول (المقدمة)، وقد أبدى أبو

1- فكتاب اسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل عنه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف والمعلم رفعت الكلي، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، 1945م. فعلى الرغم من ضخامة هذا الكتاب واعتناءه في ذكر الكتب في مختلف العلوم إلا أنه لم يذكر الكتب التاريخية أو بالأحرى أهمل أغلب كتب التاريخ المؤلفة من قبل المؤرخين الجزائريين، -وقد كان اهتمامه بعلماء المشرق وكتبهم أكثر من علماء المغرب-

2- أغلب الإجازات التي اطلعت عليها هي إجازات في العلوم الدينية. ولم أجد مدرسا يذكر أنه أجاز طالبه في علوم التاريخ ففي القرن 18م على الرغم من الاعتناء بعلم التاريخ وتشجيع الباي محمد الكبير على التقيد إلا أننا لا نجد -كما قلنا سابقا- إجازة تذكر ذلك فهذا الشيخ ابن عبد الله السيد محمد الموفق بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد المشهور بأبي جلال أجازه بن سحنون بقوله : "... هذا ولدنا...أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف ... سلك معنا في الفنون عدة مسالك..... وقد كان قرأ على أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري درسا، وسمع بَاقِيَهُ بحضرتنا، وأكثر القرآن العظيم درسا وقرأ علينا أوائل كبرى الشيخ السنوسي، ومعظم جمع الجوامع بل معظم شرحه لجلال الدين المحلي، وكل جوهرة الأخضري وسلمه، كما قرأ علينا جميع ألفية ابن مالك مباحثا أكثر شروحها، كما قرأ علينا رسالة الوضع ونخبة ابن حجر قراءة التحقيق في الجميع وغير ذلك مما أجزناه إجازة تامة شاملة عامة". ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص-ص. 230-231.

راس الناصر[1] اهتماما كبيرا بابن خلدون، كما قام هو نفسه بسرد قائمة المؤرخين المسلمين، واطلع عبد الرزاق ابن حمادوش على تاريخ الكردبوس، وابن العبرى والعليمي[2].

فإسهام الموروث العلمي التاريخي الإسلامي في تكوين علماء الجزائر الذين ألفوا في التاريخ أو إحدى فروعه مسلم به، لكن غياب الإسناد لدى هؤلاء المؤلفين جعلنا نجهل كثير عن كتب التاريخ. التي حازت على مقروئية معتبرة لدى مؤلفينا في العهد العثماني، وما يمكن أن يعطينا فكرة عن ذلك، هو إمكانية مقارنة النصوص الواردة في مؤلفات العصر، بما احتوته المصادر القديمة عند تطرقها للحدث والظاهرة نفسها. فالورثلاني مثلا يستطيع معرفة بعض الكتب التي اطلع عليها من خلال اقتباساته سواء ذكرها أم لم يذكرها، إذ أورد فقرات بعض كتب المسالك والممالك والبلدان، ككتب البكري[3]، السيوطي[4]، المقريزي[5]، الغبريني[6]، وابن فرحون.

وكذلك نستطيع أن نستشف بعض الكتب الأخرى، من خلال محاكاة مؤلفي العصر لأسلافهم في العناوين المختارة، فكتاب: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية " للفكون يوحي بتقليد لأبي العباس أحمد الغبريني: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، ويوحي كتاب: "الغرض المُغرب عن الأمر المُعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب"، لأبي راس الناصر بتقليد: "البيان

1- يتساءل الدكتور سعد الله عن أسباب عدم كتابة أبي راس في التاريخ الإسلامي رغم معرفته واطلاعه على هؤلاء المؤرخين.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، **مرجع سابق**، ج. 2، ص325.

3- هو محمد بن أبي السرور البكري، ولد بالقاهرة سنة 1596م وتوفي سنة 1650م له عدة كتب تدور حول تاريخ الفتح العثماني منها: عيون الأخبار ونزهة الأنظار. ينظر: محمد عبد الله عنان، **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ** الإسلامي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط. 1، القاهرة، 1969م، ص-ص. 169-170.

4- ولد جلال الدين السيوطي عام 849هـ في أسيوم عاش بها فترة ثم رحل إلى القاهرة زمن الدولة الأيوبية، شرع في الأشغال بالعلم وهو في نحو الخامسة شعر من عمره. أما مؤلفاته فقد بلغت إلى وقت ترجمته لنفسه ثلاثمائة كتاب توفي بالقاهرة سنة 1505م ينظر: أنور الجندي، **أعلام الإسلام**، دار الاعتصام، ج. 3، ص67.

5- يقول عن نفسه كانت مصر مسقط رأسي وملعب أترابي وبها أخذت العلم والفطانة (1364م-ت1441م)، ومن أهم كتبه كتاب: " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، المعروف بالخطط المقريزية، ينظر: أحمد بن علي المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، ج. 1، القاهرة، ص2.

6- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ولد ببجاية سنة644هـ، أما تاريخ وفاته ففيه خلاف إلا أن أرجح الأقوال أنه توفي سنة 707هـ من أهم كتبه: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، ينظر: أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية **فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر، ص23.

المُعرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عذارى المراكشي[1]، وكذلك يوحي: "مروج الذهب في نبذة النسب ومن الشرف انتمى وانتسب"، بمحاكاته للمسعودي في كتابه: "مروج الذهب"[2]، أما كتابه: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، فلا يمكن أن يخرج عن تقليده للرحالة ابن بطوطة في مؤلفه: "رحلة النظار في غرائب الأمصار[3]، وكذلك كتابه: " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "[4]، فهو يخبر بنفسه بأنه قلد فيه السيوطي في كتابه: "نزول الرحمة في التحدث بالنعمة".

ولا يسعنا المجال هنا لذكر كل ما يتعلق بالتقليد والمحاكاة في اختيار العناوين، وتبقى أهمية الفكرة في أن معظم مؤلفات ما قبل العهد العثماني التاريخية كانت في متناول مؤرخي العهد العثماني في الجزائر.

2. 2. 2- الطابع الديني للتكوين:

هناك ظاهرة ميزت الحضارة الإسلامية، تمثلت في تأثير الدين على كل مناحي الحياة؛ لكون الإسلام دين دولة وثقافة ومجتمع فالتشريع الإسلامي هو محور التفكير لدى كل المسلمين، خصوصا القرآن والسنة النبوية الشريفة، ولا نستثني الجزائريين في العهد العثماني من هذه القاعدة. إذ أن أغلب المؤلفين في التاريخ والسير والتراجم والرحلات. تلقوا تكوينا في علوم الشريعة أصلا[5]. وجلهم نبغوا في ذلك، كما كتب كثير منهم في الفقه والأحكام والحديث وغيره. فابتداء من الكتاب حيث يتعلم الصبي حروف الهجاء العربية، إلى غاية حضور الطالب مجالس العلماء والمحازين وحلقات دروسهم، يكون التكوين ديني بحت،

1- ابن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، واليفي. بروفينسال.

-وهناك أربعة مؤلفات أخرى في تاريخ المغرب تأخذ عناوينها هذه الصيغة، بالإضافة إلى هذين الذين ذكرناهما هناك كتاب آخر لابن عبد الله البكري يسمى: "المعرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب"، و"المغرب في حلى المغرب"للمقري الجد. و"در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة" يقلد فيه "الإصابة في تميز الصحابة "للعسقلاني (ت852هـ)، وطبع هذا الكتاب بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

-وهناك كتاب يجهل صاحبه يأخذ عنوانه نفس صيغة كتاب أحمد بن عمار: "نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب "، وهذا الكتاب عنوانه: **الرشد اللبيب إلى مقاصد الحبيب** وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة رقمه1782، ويظهر أنه كتاب قديم جدا.

2- أبي الحسن علي بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (فيه عدة أجزاء).

3- ابن بطوطة، **رحلة النظار في غرائب الأمصار**، تح: ظلال حرب، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1992م.

4- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته** ...، مصدر سابق، ص16.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص243.

وإن حضر الأدب فإنه علم مساعد لعلوم والشريعة[1]، وقد يحضر التراجم ولكنها لا تتعدى رجال العلم ورواة الحديث وأهل الولاية[2].

إذ أن ليس من الصواب الاعتقاد بوجود تكوين تاريخي متخصص آنذاك، لكن مرحلة التنقل والترحال والقراءات للكتب، والمدونات التاريخية هي المرحلة الحقيقية التي تتكون فيها نزعة الميل إلى الأخبار والتواريخ عند عالم ما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- وقد يكون حضوره للأدب لقداسة اللغة العربية في الإسلام قبل أن تكون هي لغة المجتمع.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص249.

المبحث الثاني: مؤلفات المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

1- نوع المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

1. 1- كتب التاريخ الجزائري

1. 1. 1- نظرة الجزائريين إلى التاريخ:

إن نظرة الجميع إلى التاريخ في الجزائر العثمانية من العامة والنخبة المتعلمة، هي التي حددت مستقبل حركة التأليف فيه، فالعوامل المتحكمة في توجيه الحركة العلمية لا ترتبط بالوسائل المادية، بقدر ما ترتبط بنوعية التفكير السائد كحاصل لمجموع المعتقدات الدينية، والواقع السياسي ومظاهره الكبرى.

فالقرآن الكريم قد حث الناس على النظر في أحوال الأمم السابقة والحضارات البائدة للاعتبار، وكذلك دعا إلى التعرف على أحوال صلحاء السلف بقوله: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[1]، وأمر بالرحلة في الأرض والتأمل في ماضيها وحاضرها، حيث قال تعالى: " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[2].

فللعامل العقائدي لحركة التأليف التاريخي في الجزائر تأثيره الواضح؛ إذ تجسد في التاريخ والتراجم والرحلة على التوالي لكن مستوى المؤلفات يكمن في درجة رداءتها، أو جودتها ونوعيتها لا في حجم وجودها. فالعامل العقائدي إذن لم يؤثر في جودتها بل في نوعيتها، وهنا يدخل تأثير التصوف[3] في توجيه التراجم إلى الاهتمام برجالات العلم خصوصا المتصوفة، وإهمال مشاهير السياسة والأدب، فابن المفتي الذي لم يغفل باشوات الجزائر في مؤلفه وعرف علم التاريخ بقوله: " فإن علم التاريخ عبادة ومنة جزيلة، ومعرفة أخبار العلماء منقبة جليلة".

وقد ظل التاريخ في مفهوم الجزائريين شديد الارتباط بفروع العلم الشرعي فإن تجاوز سير الأنبياء وصلحاء السلف، فلا يتعدى في الغالب الاهتمام بحوادث الجهاد أو الصراع المسيحي الإسلامي، وفي هذه الحالة لم يكن يخرج عن المفهوم القصصي الذي يعتمد على الحفظ وطلاقة اللسان[4]، وهو ما تعنيه عبارة أبو راس في تعريفه له بقوله: " تحفة المجالس المغني عن الأنيس والمجالس".

أما تأثير الوضع السياسي ومظاهره في صياغة مفهوم التاريخ، فتفسره العلاقة السائدة بين الحاكم والمحكوم، فالخوف من الحكام - حسب رأي سعد الله - جعل التاريخ تأريخا لكبار رجالات السياسة

1- آل عمران الآية : 110.

2-آل عمران الآية: 137.

3- يشير المؤرخ أبو القاسم سعد الله إلى دور التصوف في إضعاف العناية بعلم التأريخ والسير والأخبار، لكنه لم يحدد كيفية التأثير. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص321.

4- **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ص، ص. 322، 323.

والحكم، وما جعل المؤرخين الجزائريين يفتقرون للنظرة الشمولية للتاريخ الوطني[1]؛ هو غياب الفكر الوطني أصلا لأن مجال أعمال الدولة بقي محدودا في العهد «التركي»، إذ بقيت المدينة أو القبيلة حدودا لهوية المؤرخ، ويُشذ محاول كتاب التراجم والسير عن هذه القاعدة.

ومهما كانت مؤلفات التاريخ العربية السابقة ذات البعد الشمولي الإسلامي في متناول كثير من مؤرخي الجزائر في العهد العثماني، إلا أننا لا نجد محاولة جادة منهم لتقليدها ومحاكاتها على الأقل في تفصيل عامل الانتماء الإسلامي في الفكر التاريخي، وأقرب من توسع في هذا المعنى هو أحمد المقري وأبو راس الناصر[2]. فلو ألقينا نظرة على تراجم العلماء مثلا في القرون السابقة، نجدها تحددها المذاهب الفقهية كإطار فكري، فنجد مثلا من يترجم لفقهاء المالكية، وهناك من يترجم لأتباع الحنفية وهكذا، وكذلك تحدد فروع العلم الشرعي وغيره- مؤلفات التراجم - فهناك تراجم خاصة بالمحدثين، وهناك المتكلمة وهناك الفقهاء، وكذلك الشعراء. لكن تراجم الفترة العثمانية لم ترق إلى ذلك المستوى بل كانت تحددها المدينة كبجاية مثلا أو القبيلة كأغريس.

1-1-2 – مفهوم التاريخ عند الجزائريين

1-1-2-1-التاريخ العالمي:

ظهر في تاريخ الفكر الإسلامي مؤلفات تاريخية عالمية بالمفهوم الزماني والمكاني، منها كتاب: "الأخبار الطوال" لأبي حنيفة الدينوري، وكتاب: "مروج الذهب" و"تاريخ ابن خلدون[3]"، غير أن الفترة العثمانية لم تشهد هذا النوع من التأليف التاريخي ولا حتى تأليفا يشمل العالم الإسلامي وحضارته، عدا محاولتين فريدتين لكل من أحمد المقري في القرن 17م، وأبو راس الناصري القرن 18م، تتعلق بالأندلس الإسلامية وقبل استعراض هذين المؤلفين، بودي أن أشير إلى ما تركه استرداد لهذه الجزيرة من طرف النصارى من أثر في نفوس المسلمين، وأعتقد أن استمرار التحرش المسيحي الإسباني على سواحل المغرب الإسلامي وما نتج

1- إننا لا نستطيع الحكم بضعف حركة التأليف التاريخي من خلال افتقارها إلى الحس الوطني فالمعروف أنه في تلك الفترة لم يكن هناك مفهوم وطني للدولة مثلما هو الشأن حاليا في عصر الدولة الوطنية الحديثة، فالشرق بالمعنى الحضاري لم يكن الانتماء فيه تحدده الجغرافيا ورموز الدولة الرسمية بل إن نشأة الانتماء السياسي على أسس اجتماعية ودينية تلعب فيه القبيلة أو الطريقة وازعا رئيسيا، ولهذا لا يمكن الحديث عن نظرة شمولية وطنية آنذاك. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ج. 2، ص324.

2- يعد مؤلف، نفح الطيب... للمقري أقرب مؤلفات العصر للتاريخ العام ويليه: "الحلل السندسية في ما جرى بالعدوة الأندلسية" لأبي راس الناصر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ج. 2، ص324.

3- عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص97.

عنه من صراع[1]، هو ما جعله محورا من محاور التأليف التاريخي عند الجزائريين، فضلا عن مكانة الأندلس في الحضارة الإسلامية بشقيها الفكري والسياسي. وفي هذا السياق تندرج مؤلفات المقري وأبو راس الناصر، فالأول ضمن كتابه: "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، الذي خصه ترجمة للقاضي عياض أخبارا عن الأندلس وأهلها[2]. كما أن القسم الأول من كتاب: "نفح الطيب.. . "، الذي ألفه بناء على رغبة علماء الشام حيث كان مقيما، قد احتوى ثمانية أبواب كلها تتعلق بالأندلس ومظاهره الحضارية، إذ خص الباب الأول لطبيعة الأندلس ومناخها وعمرانها، وفي الباب الثاني تتطرق إلى الفتح الإسلامي لها، كما تحدث عن عصر الولاة، وفي الباب الثالث تحدث عن المظاهر الحضارية للأندلس الإسلامية، وقد خص الباب الرابع لأخبار مدينة قرطبة حاضرة الإمارة الأموية، ووصف معالمها وصفا دقيقا، ثم تحدث عن أعلام الأندلس الذين هاجروا إلى المشرق في الباب الخامس، وفي الباب السادس تحدث عن أعلام المشرق الذين أقاموا بالأندلس، أما الباب السابع تضمنه حديث عن صفات أهلها بنوعيتهم العلمي والأدبي، وجعل الباب الثامن للحديث عن الصراع الإسباني الإسلامي، وما نتج عنه من غلبة النصارى[3].

ويعد هذا المؤلف من أهم ما كتب في التاريخ الإسلامي. إذ لا غنى عنه لمن يدرس تاريخ الأندلس، ويقابله أبو القاسم سعد الله من حيث أهميته بالنسبة للأندلس طبعا بتاريخ ابن خلدون بالنسبة للمغرب الإسلامي[4]، وأن يؤهل صاحبه -المقري- ليكون محل اعتراف لكونه آخر أعلام الثقافة الإسلامية الذين فرضوا وجودهم الفكري في المشرق والمغرب[5]. والملاحظ أن حركة التأليف التاريخي العام، قد انقطعت إلى غاية ظهور أعمال المؤرخ أبي راس الناصر مع أنها لا ترقى إلى مستوى سابقتها، ومهما يكن فالتجربة تجددت في إطار الأندلس والمغرب، إذ وضع أبو راس الناصر كتابا في تاريخ الأندلس، وعلاقة أهلها بالمغرب العربي، وما جرى بين المسلمين والإسبان من نزاع إلى غاية فتح وهران الثاني، أي إلى عصر المؤلف[6]، ومما لا شك فيه أن دافع المؤلف إلى ذلك هو حادثة فتح وهران، ونشوة انتصار الجزائريين، بدليل

1- النزاع الجزائري الإسباني على وهران استمر إلى غاية العقد الأخير من القرن 12م في حين لا يزال مستمرا مع المغرب، والذي يهمنا هو الحديث عن الجزء الخاص بالأندلس من كتاب: "نفح الطيب..."، أما الجزء الثاني فسنتحدث عنه في العنصر الخاص بالتراجم.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج. 2، ص330.

3-أنظر: أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1988م.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج. 2، ص330.

5- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي...**، مرجع سابق، ص335.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج. 2، ص331.

أن المؤلف خصص وهران في كتابه عنوانا ومضمونا. إذ سمى مؤلفه: "الحلل السندسية في الأخبار وهران والجزيرة الأندلسية"، وكما كان هذا العمل ذا طابع أدبي أكثر منه تاريخي باعتباره قصيدة شعرية، أضاف صاحبه إليه تبسيط في شروحه الثلاثة "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان"، "الغرض المعرب عن الأمر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب"، ولعل: "عجائب الأسفار في لطائف الأخبار" هو أهم وآخر شرح لقصيدته السينية الذي أتمه في ظرف سنة بطلب من الباي محمد الكبير، وذلك عام 1792م[1].

وقد قسم أبو راس الناصر مؤلفه إلى قسمين لكنه لم يلزم بذلك لاعتماده على الذاكرة[2]. ويشتمل كتاب: "عجائب الأسفار..." على جزأين، فالجزء الأول في إنشاء وهران وما دهاها من الأمور العظام والطوائم، والنوائب العظام ومدة الكفر وأهل السلام، وخصص الجزء الثاني للفتح العظيم والفخر الجسيم، ومدح فاتحها سيدي محمد بن عثمان[3].

وضم الجزء الأول أخبارا متفرقة حول بلاد المغرب من حدود مصر إلى مراكش وأنساب قبائلهم وأخبارهم، وركز على أخبار قبائل وهران ومعاناتهم أيام حكم النصارى، مع ذكر أهم بايات بايليك الغرب وذكر علماء وأولياء وهران، ثم تطرق إلى فضل «الأتراك» في الجهاد ضد النصارى. أما الجزء الثاني فقد وسع المؤلف في إطار عمله نحو الصحراء، وبلاد السودان والمغرب الأقصى، وتلمسان وأخبار الأندلس، ثم ختم بحديث عن الباي محمد الكبير فاتح وهران[4]. أما العمل الثاني لأبي راس مما يمكن أن نعده تاريخا عاما مؤلف: "در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة"[5]، وقد تطرق فيه إلى الحديث عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

وهكذا يتجلى بوضوح تأثير المظاهر السياسية الكبرى في توجيه حركة التأليف التاريخي. إذ يتحدى الصراع المسيحي الإسلامي أو بالأحرى الإسباني الجزائري، مكانة بين محاور الفكر التاريخي آنذاك.

1- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمؤرخين**...، مرجع سابق، ص-ص. 462-463.

2- أنظر: المخطوطة نفسها في: مخ. م. و. لج، رقم 1632، و. 5. ظ. فيها التقسيم، وعندما نغوص فيما ورد في الصفحات المتبقية نجده لم يلتزم بهذا التقسيم.

3- محمد أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار** ...، مصدر سابق، ق95.

4- محمد سي يوسف، "دراسة مخطوطة عجائب الأسفار لأبي راس الناصر"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع: 2، 1986م، ص-ص. 137-138.

5- أخذنا العنوان نقلا عن سعيدوني ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص462.

أما أبو القاسم سعد الله فقد ذكره على النحو التالي: "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة". ينظر: **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص331.

1-1-2-2- التاريخ المحلي:

كنا قد تطرقنا في موضع سابق إلى كثرة مؤلفات التاريخ المحلي، مقارنة بالتاريخ العام. والحقيقة أن التواريخ المحلية ضمن حركة التأليف التاريخي عموما ذات كم ونوع معتبرين، ولكن تبقى قليلة بالنسبة لتاريخ الحوادث[1].

فالتاريخ المحلي عند العرب لم يكن وليد العهد العثماني، فمنذ بداية التشتت وعصر الانفصال الذي عرفته البلاد الإسلامية بدأت أعمال التأليف التاريخي تتجه نحو المحلية، إذ أصبحت المدن والأقاليم محل اهتمام المؤرخين، خصوصا عندما تكون المدينة عاصمة لسلطة سياسية ما، أو مركز شعاع، وقد مر عصر صارت فيه المدن تمنح سكانها هويتهم وانتماءهم، مثلما تفعل القبيلة تماما فتصبح بيئة لها هويتها المستخدمة في الماضي والحاضر المشتركين.

وفي هذا السياق تندرج الكتابات التاريخية المحلية الجزائرية في العهد العثماني، ويمكن أن نعدد كتابات التاريخ المحلي في إطار موضوعنا بستة مؤلفات من دون المشاريع التي لم تكتمل، ويأتي في مقدمة هذا النوع العمل التاريخي المعروف باسم: "كتاب العدواني"، لصاحبه محمد بن محمد بن عمر القسنطيني العدواني السلمي، وهو مدونة ضخمة لأخبار الحروب التي جرت بين قبيلتي طرود وعدوان[2]، والحياة الاجتماعية والدينية في القرنين 9 و10 الهجريين في منطقة سوف وغرب ليبيا وتونس[3].

ويعد كتاب محمد بن قاسم البوني: "التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف"[4]، أحد مؤلفات التاريخ المحلي أيضا، فقد تعرض في كتابه هذا إلى جزء مهم من تاريخ مدينة عنابة، كما أنه ترجم لبعض العلماء، ويعتبر هذا الكتاب أيضا بمثابة رد على العبدري الذي وصف عنابة على أساس أنها مدينة منكوبة.

1- يمارس بعض الدارسين لحركة التأليف التاريخي خلط واضح بين التاريخ المحلي وتاريخ الأحداث، ومن خلال البحث سنضع الأسس المعتمدة في تصنيف المؤلفات بين التاريخ المحلي والتاريخ للأحداث.

2- طرود وعدوان هما قبيلتان من قبائل المغرب وقد كانت بينها عداوة، وطرود من قبائل المغرب السلمية التي تقيم قرب قابس في اتجاه شمالي غربي إلى ناحية عنابة والمغرب الأوسط. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، ج. 1، الرباط، 1968م، ص433.

4-يعتبر هذا الكتاب نموذجا لصنف الكتابات التي تسجل تاريخ المدن وعلمائها من خلال أحد الأولياء الصالحين.

ويمثل كتاب ابن بابا حيدة في تاريخ إقليم توات والمدي سماه: "القول البسيط في أخبار تمنطيط"، قمة المحلية في التأريخ، ذلك أنه لم يخرج عن الإطار المكاني لعنوانه مبتدءا بذكر نزلاء تمنطيط بناة قصورها، ثم ذكر مشاهيرها من أعلام القبائل والرجال العلماء[1].

و يختص كتاب: "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر"، لأبي المكارم عبد القادر المشرفي الغريسي المعسكري، بقبائل وهران المتعاونين مع الإسبان، ويؤرخ لمدينة وهران ومحلها من الصراع الجزائري الإسباني[2].

وهناك مؤلف آخر خاص بمدينة وهران هو: "خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر" لمسلم بن عبد القادر الوهراني، وقد خصت هذه الخاتمة لتاريخ بايات وهران لمدة تستغرق نحو 37 سنة، ابتداء من 1778م كما ضمنه حديثا عن ثورة درقاوة[3].

وتبقى بعض أعمال التاريخ المحلي التي تذكرها بعض المصادر لم تصلنا مفصلة مثل ما ذكره أبو العباس أحمد المقري عن نفسه، أنه بدأ في تأليف كتاب عن تاريخ تلمسان سماه: "أنواء نيسان في أنباء تلمسان"، وأنه كتب بعضه عندما كان في المغرب لكن الأقدار كما يقول حالت دون إتمامه[4].

بالإضافة إلى ما أورده فيرو في المجلة الإفريقية عن كتاب: "عنوان الأخبار فيما مر على بجاية.. . "،" وهو مؤلف يعود إلى القرن العاشر الهجري، أرّخ ببجاية تحت حكم الحفصيين إلى غاية السيطرة العثمانية عليها كما تعرض لغزوها من طرف الإسبان"، فهو إذن عمل هام يسلط الضوء على تاريخ بجاية في مرحلة تعج بالأحداث الهامة. ومؤلفه هو أبو علي إبراهيم المريني[5].

1-1-2-3-أهم الأحداث التاريخية الجزائرية في المؤلفات المصدرية

أ-التأريخ للأحداث:

ربما لم تعتمد الدراسات الأكاديمية السابقة عبارة: "التأريخ للأحداث"، لتحديد نوع من أنواع المؤلفات التاريخية، ومن أجل تحليل هذه الظاهرة كجزء من حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني يقول: أن ذلك النشاط العلمي في الحقيقة. لم يكن بالنسبة لمن مارسه تأريخا بقدر ما كان أدبا أو

1- أنظر: محمد الطيب بن بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج (تابع لأطروحة إقليم توات خلال القرنين 18 و19 ميلاديين)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

2- أنظر: أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **مصدر سابق**.

3- مسلم بن عبد القادر الوهراني، **مصدر سابق**، ص43.

4- أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب**...، مصدر سابق، ج. 8، ص94.

5-Charles FERAUD, « Conquête de Bougie par les espagnols d'après un manuscrit arabe », **R. A.** N. 12, 1868 P-P. 245-256.

شيء يمكن تسميته اليوم بالكتابة الصحفية، ولكننا ننظر إليه الآن أنه تأليفا تاريخيا اهتم بالوقائع في أوان حدوثها. من أجل ذلك لم نجد أنسب من هذه العبارة، وقد قام الدكتور سعد الله بالإشارة إلى أهمية الأحداث في تنشيط التأليف التاريخي في الجزائر العثمانية لكنه ضم تلك الأعمال إلى قائمة التواريخ المحلية[1].

وقد تميز هذا النوع من التأليف بأسلوب شعري غالبا؛ لأنها ألفت خصيصا لتمجيد الحدث[2]، ولكن كثيرا ما تكون تلك الأرجوزات الشعرية محل شرح سواء من طرف ناظمها نفسه أو من طرف مؤلف آخر.

وإن كانت الشروح أهم من القصائد لاستعمالها الأسلوب النثري، فإن الأراجيز نفسها وإن لم يكن الهدف المقصود منها هو التأليف التاريخي بالمعنى الحقيقي للكلمة، فإنه يصب غير بعيد عن ذلك، ففي الغالب ما تكون غاية الناظم هي تمجيد الحدث وتقليده، وكان الشعر وسيلة لتدوين شتى المعارف والعلوم، فمثلما يستعمل الشعر في علوم اللغة، يستعمل في علوم الدين أيضا، وكذلك استعماله في تدوين أخبار الأحداث والوقائع، إذ قلما نجد مدونة خالية من النصوص الشعرية، حتى في العلوم العقلية كالمنطق والفلك والطب.

هناك نقطة أخرى لا يجب إغفالها، تتعلق بالتاريخ للأحداث، فلكل حدث تأثيره على نفسية المؤلف، وعلى مشاعره وأحاسيسه والشعر كما هو معلوم، هو لغة المشاعر والأحاسيس، وربما تدخل ظاهرة الضعف كدافع لتوجيه التدوين نحو الأسلوب الشعري، إذ شاع بسبب الضعف الثقافي في البلاد العربية التنافس على قول الشعر، وكان يعتقد في كثير من الأحيان أن النبوغ العلمي أساسه الشعر، فنجد من ليست له ملكة شعرية ينظم الأراجيز، ويسعى إلى إسماعها في مجالس العلوم رغم ركاكتها.

ويأتي في مقدمة الأحداث الهامة التي كانت دافعا قويا للكتابة، حدث فتح وهران الثاني ويليه الفتح الأول ثم حملة أورلي الإسبانية على الجزائر، ودونت بعض الأحداث الأخرى مثل: ثورة ابن الصخري. وحول هذه الأخيرة كتب عيسى الثعالبي (أحد شيوخ الطريقة القادرية) عندما كان مرافقا للحملة التركية على المناطق الثائرة. مذكرة تصف أحداث الثورة وأرسلها إلى أستاذه علي بن محمد ساسي البوني بعنابة[3]، وتحدث صاحب الرسالة عن معركة كحال الشهيرة بين الثوار والترك، كما ذكر تجمع الثوار عند أبواب قسنطينة، ووصف خسائر الطرفين[4].

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص336.

2- تلك ميزة الثقافة العربية عموما منذ عصر الجاهلية فالشعر كان ولا يزال لغة التعبير عن المواقف الحساسة.

3-Veyssettes, **Ibidem**, P-P. 339-343.

4 -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص335.

وتعد مذكرة أحمد العنتري حول حملة أوريلي الإسبانية على الجزائر من أهم المصادر التي تعرضت للأحداث الكبرى التي عرفتها الجزائر في العهد العثماني برغم صغر حجمها، وكان العنتري شاهد عيان على الواقعة باعتباره موظف في إدارة بايلك قسنطينة،إذ رافق الباي صالح إلى مدينة الجزائر للدفاع عنها، ولسنا ندري هل كتب العنتري رسالته بناء على طلب صالح باي، أم هي مبادرة فردية[1]، على كل فقد وصف العنتري معسكر الطرفين ومواقعهما، وتحدث عن محمد باشا، وسير المعركة ونتائجها الوخيمة على الإسبان[2].

وحظيت حملة أوريلي بتأليف هام جدا، كتبه محمد بن رقية الجديري التلمساني سماه: "الزهرة النيرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، والذي انتهى من تأليفه حسب ما هو مسجل فيه في الرابع عشر من ذي الحجة سنة 1193هـ (1779م) بطلب من الباي محمد الكبير باي الغرب، و لم يكتف ابن رقية بحملة أوريلي. بل دون تسعة حملات قام بها الكفرة على حد تعبيره على مدينة الجزائر. « وبدأ بحملة ديغو دو فار"diégo de vara" في عهد عروج، ثم حملة هيغود مانكادا " hugude mancada" في عهد عروج، ثم حملة شاركان "charlesquint" في عهد حسن آغا، ثم حملة الإنجليز في عهد رمضان بولكباشي ... وآخر حملة كانت هي الحملة الإسبانية بقيادة أوريلي "orrilly" على عهد عثمان باشا 1189هـ، 1775م[3].

وألف مصطفى بن حسن خوجة رسالة بالتركية في ثلاثة عشر صفحة سماها رسالة: "مضحكات وعجائب"، حول علاقة الجزائر بإسبانيا، وقد خص جزء كبير منها حديثا عن حملة أوريلي التي كان شاهد عيان عليها، إذ شارك في الدفاع عن المدينة بصفة "علام الدار"، أو "حامل الراية"، ويبدو أنه قد أضاف إليها تأليف كتاب: "البتر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك"، الذي ضمنه أخبار العلاقات بين الجزائر وإسبانيا والحروب التي دارت بينهما[4].

---

1 -يرجح الدكتور سعد الله أن الرسالة كتبت بعد ثلاث سنوات من تاريخ الحملة.

2-L. Féraud, « Deuxième becit indigène de L'expédition D'oreilly en 1775 », in **R. A** , année 1865,P-P. 180-192.

3- سميت الحملة الأولى باسم قائدها الإسباني "ديغو دو فارا"، وقد كانت هذه الحملة بناحية باب الوادي غربي العاصمة وذلك في أواخر سبتمبر 1516م، وهي الحملة التي انتصر فيها الأهالي على الإسبان. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، مرجع سابق، ج. 2، ط. 1، 1995، ص296. كذلك الحال بالنسبة لحملة هيغو دو مانكادا فقد كانت ضد الجزائريين، وأما حملة شارلكان فقد وقعت في عهد حسن باشا، وانتصر فيها حسن باشا بعد أن كابد شارلكان العناء، وانهزم ثم غادر إلى اسبانيا. ينظر: **تاريخ الجزائر العام**، المرجع نفسه، ص216.

- لمن أراد أن يطلع على هذه الحملات فليعد إلى محمد بن رقية الجديري، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخ. م. و. لخ، رقم 2523.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص340.

والحادث الأخير الذي ألفت حوله التواريخ، وكان محل تمجيد هو فتح وهران الأول من طرف الداي محمد بكداش، فبالإضافة إلى عمل ابن ميمون: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية[1]"، ألف مفتي تلمسان الشيخ محمد بن أحمد الحلفاوي رجزا طويلا احتوى على 72 بيتا قسمه إلى خمسة فصول خصص الفصل الأول لذكر دولة محمد بكداش، إما الفصول الأخرى فذكر فيها أخبار تجهيز الجيش الجزائري، وسير المعركة ونتائجها، وبناء على طلب تلميذه قام عبد الرحمان الجامعي بشرح الأرجوزة، وقد أضاف الجامعي إليها فصلا آخر في ذكر السلطان العثماني آنذاك[2]، ومن خلال شرح أرجوزة الحلفاوي نستطيع أن نتحدث عن مؤلف آخر حول هذا الحادث. إذ يذكر الجامعي أنه استفاد في شرحه من تاريخ الفلالي، لأنه (أي الجامعي) لم يحضر الفتح، نورد عبارة الجامعي كما هي؛ إذ قال متحدثا عن الفلالي: "اعتنى بتدوين هذا الفتح الكريم وجمع من سيرة المجاهدين بين نثر ونظم[3] "، فالعبارة تدل على أن الفلالي قد ألف كتابا في تاريخ فتح وهران، معتمدا على مشاهدته الشخصية وأضاف إليها شهادات الآخرين الشعرية منها والنثرية[4].

ومثلما تدلنا عبارة الجامعي على عمل أحمد الفلالي، فهي تدلنا أيضا على مدونات أخرى، كان قد اعتمد عليها الفيلالي في تأليفه، وتنقسم بين النثر والشعر. ومثلما كان الشعر الفصيح أسلوبا لتدوين الأحداث كان الشعر الملحون كذلك، وقد خص الشعر الشعبي (الملحون) في أحداث كثيرة؛ كهجومات الأجانب والثورات ضد الحكم «التركي»، فالشاعر لخضر بن خلوف ألف قصيدة في واقعة مزغران الشهيرة، التي انتصر فيها الجيش «التركي» بقيادة حسن باشا بن خير الدين بربروس على الجيش الإسباني بقيادة الكونت دالكادوت، في مرسى مستغانم[5]، وما يجعل هذه القصيدة نصا تأريخيا هو ذكره فيها لجهاد المسلمين في الأندلس، وتفصيله لأحداث المعركة.

وسجل شاعر آخر الحملة الدانماركية على الجزائر سنة 1184هـ. وصف فيها ضرب مدينة الجزائر بالقنابل من قبل الدانمركيين، كما وصف النصر الذي حققه الجزائريون على الحملة بفضل بركات الأولياء والصلحاء المدفونين بالمدينة[6]. وألف أحد الشعراء قصيدة أخرى في وصف حادثة استيلاء «الأتراك» على

1- فضلنا تصنيف هذا المؤلف في قسم السير والتراجم لأن ابن ميمون ترجم فيه لسيرة الداي بكداش.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص337.

3- **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ص339.

4 -يعد هذا العمل في قائمة المؤلفات الضائعة إذ لم تذكره حتى الكتابات الفرنسية التي اهتمت بجمع كل شاردة وواردة حول الجزائر العثمانية، وكل ما وصلنا منه هو ما ذكره الجامعي فقط.

5-أحمد ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص23.

6 -لم يذكر الشاعر اسمه في القصيدة كعادة أغلب شعراء الشعر الملحون، لمزيد من المعلومات حول هذه القصيدة ينظر:

مورية في عهد السلطان أحمد الثالث[1]، وتحتوي القصيدة على أكثر من 570 بيتا، وصف فيها الشاعر حيثيات الحادثة وسير المعركة، كما أعطى أخبارا مهمة عن قوات الطرفين.

وهناك مؤلفات شعرية أخرى، لم تهتم بانتصارات «الأتراك» العثمانيين كما جرت العادة. بل اهتمت بتدوين انتصارات الثورات الأهلية على العثمانيين. مثل قصيدة ابن السويكت التي سجلت انتصار السويد على الجيش «التركي» ببايلك الغرب. ونفس الغرض تصب قصيدة بوعلام بن الطيب السجراوي، الذي لم يتوان في تخليد حادثة انتصار الدرقاويين على «الأتراك» بقيادة ابن الشريف[2].

فالتأريخ للأحداث كان ظاهرة غالبة في حركة التأليف التاريخي في الجزائر العثمانية، لكن أهم ما يميزها هو الطابع الشعري، فأغلب تلك المؤلفات كانت أراجيز كما ذكرنا سابقا، وما سنفصل فيه في الفصل الخاص بقيمة المؤلفات التاريخية.

ب- التأليف لحادث وهران الثاني:

حظي فتح وهران الثاني بنشاط تأليفي كبير فاق نظيره في الفتح الأول، ولعل الداعي إلى ذلك هو تشجيع الباي محمد الكبير للعلوم والكتابة عموما والتاريخ بصورة أخص، فضلا عن أهمية الحدث باعتباره فصل لامع من فصول النزاع الجزائري الإسباني. إن لم نقل الإسلامي المسيحي.

فالمؤرخ أبي راس الناصر عندما كتب: "الحلل السندسية" وشروحها. بما فيها "عجائب الأسفار.. . " كان فتح وهران هو دافعه في ذلك، لكن ثقافته التاريخية جعلته يتوسع في المؤلف الأخير، ولذلك تحدثنا عنه في قسم التواريخ العامة، لكن الجزء الثاني من "عجائب الأسفار.. . " خصص لفتح وهران، مع بعض الاستطرادات الهامة عن بلاد السودان وحياته وتنقلاته[3] (أعني المؤلف).

ويأتي عمل ابن سحنون الراشدي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بالنسبة لمؤلفات فتح وهران، فكتاب: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" يمتاز بكونه يميل إلى التراجم أكثر منه إلى التاريخ، بدليل أن أحد معاصري المؤلف قد اقترح "الدر والعسجد في مناقب الباي محمد"[4]، ومهما كان مضمون الكتاب من اهتمام سيرة الباي محمد الكبير، فإن الفتح هو الدافع والمحور في آن واحد - ويبقى أن الباي هو الفاتح -.

ويأتي ابن زرفة في المقام الثالث بالنسبة لمؤلفات فتح وهران، وإن كان مؤلفه: " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" يبدو من خلال عنوانه من كتب الرحلات، ومن يطلع عليه يجد غير ذلك، كما أن عنوانه

« Un chant Algérien du XVIIIe siècle » , in **R. A** ,No 38,1894, P-P. 325-345.

1 -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، ج. 2، ص-ص. 113-114.

2 -أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص، ص. 34، 38.

3- محمد سي يوسف، **دراسة مخطوط عجائب الأسفار**...، ص143.

4 -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص343.

قد يدل على أنه من التراجم والسير؛ لكن مضمونه ومنهجه يبينان أنه كتاب تاريخ، فقد تحدث عن الفتح مبتدءا بالحصار إلى غاية الاستيلاء على وهران مستعملا أسلوب المذكرات. إذ رتب الأحداث على الشهور القمرية[1]. وألف في أحداث حملة محمد الكبير نفسه على جنوب بايلك الغرب لإخضاع قبائله واقتطاع الضريبة منهم، وصاحب التأليف هنا هو محمد أحمد بن هطال التلمساني كاتب الباي آنذاك[2]، وهذا المؤلف سنتحدث عنه في قسم مؤلفات الرحلة.

1-2- كتب التراجم:

إن أعمال التراجم من أقرب الفنون إلى التاريخ، كونها ترصد أخبار الأعلام ممن لهم شأن شاع في قومهم، أو ذكر لهم في عصرهم.

فتحيط خلال ذلك بواقع العصر في شتى ميادينه، وتنقل في سياق ذلك كثير من مظاهر الماضي وأحداثه، إذ نستطيع القول أن الذي يكتب ترجمة عالم ما، فهو يكتب التاريخ من خلال ذلك الشخص.

وكنا قد تطرقنا في موضع سابق إلى كثرة الاهتمام بهذا الفن من طرف المسلمين، ومرد ذلك كما تحدثنا سابقا حركة التصوف وتأثيرها، خصوصا في بلاد المغرب. وهو من الأوائل الذين أثروا حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني، بمؤلفات معتبرة في ذلك الغرض بين تراجم عامة تشتمل على أكثر من ترجمة في إطار قبيلة أو مدينة أو عصر أو قرن أو طريقة، وتراجم خاصة تعرف شخصا بعينه.

1. 2. 1-التراجم العامة:

يعتبر عمل ابن مريم المديوني التلمساني من أهم مظاهر حركة التأليف في الجزائر في بداية الحكم العثماني، فمؤلفه: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، الذي انتهى من وضعه سنة (1603م-1011هـ) مضمنا إياه، جمع أولياء تلمسان وفقهائها[3]، الأحياء منهم والأموات، وجمع ما كان بها وبأحوازها وعمالاتها، ولم يكتف ابن مريم بتلمسان. بل فاضت به نزعته الدينية وسعيه إلى التبرك بالصلحاء، وترجمته لعلماء فاسيين وقيروانيين ومصريين وتونسيين وأندلسيين[4].

وللمقري مؤلف يعتد به في مجال التراجم لرجالات العلم المغاربة عنوانه: "روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، ضمنه تعريفا لبعض علماء المغرب الأقصى الذين كان قد التقى بهم وهو في المغرب، والبعض لقيهم في المشرق بعد هجرته[5].

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص342.

2-ينظر: أبو العباس أحمد بن هطال، **مصدر سابق**.

3- أبو عبد الله محمد بن مريم، **مصدر سابق**، ص. 2.

4 -محمود بوعياد، "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، مجلة **الأصالة**، ع: 26، 1975م، ص. 265.

5 -أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب**...، مصدر سابق، ج. 1، ص324.

وفي نفس القرن (11هـ) عرفت حركة التأليف في الجزائر، نشاطا آخر في قسنطينة كان من روادها عبد الكريم بن الفكون، الذي ألف كتابا في التراجم عنوانه: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، يدل عنوانه على مضمونه والهدف من تأليفه، إذ يضم 75 ترجمة لأعلام من حاضرة قسنطينة وعمالتها[1]، ويشتمل منشور الهداية على أربعة أصناف من التراجم لكل صنف فصل خاص به، فصل أول لتراجم أربعة وعشرين عالما وصالحا التقى بهم أو سمع عنهم، أما الفصل الثاني فقد أفرده لمن تولوا المنصب الشرعي من غير أهلية له، وعددهم باثنان وعشرون، وأفرد الفصل الثالث لمن ادعى الولاية من الدجاجلة والمبتدعة الضالين، وهم خمسة عشر وأخيرا تطرق إلى بعض أصحابه وأحبابه، من بعض رجالات العلم في فصل أخير[2]، وينحى المؤلف في كتابه منحا إصلاحيا؛ متحصرا على مجتمعه، الذي انتشر فيه الجهل والفساد والبدع والشعوذة[3]، ويقدم عمل الفكون هذا، معلومات مهمة تتصل بالحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة[4]، كما يلقي الضوء على الصراع المحتدم بين الفقهاء، والمتصوفة وبين السلطة والعلماء[5].

ومن الضروري أن نذكر تلك التراجم التي كتبت بلغة شعرية، ونبدأ بتأليف عبد الله بن محمد المغوفل – الذي عاش في بداية العهد العثماني– المشهور باسم: "الفلك الكواكبي وسلم الرواقي إلى المراتب"[6]. ترجم القصيدة لأولياء وصلحاء منطقة الشلف، على مدار أربعة قرون (من القرن 6هـ إلى القرن9هـ)، وقد عكس في تراجمه الواقع السياسي والعسكري للقلعة الراشدية[7].

وقام أحمد بن القاسم البوني بترجمة عامة لعلماء وأولياء مدينة عنابة وأحوازها، سماه: "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة"، في نظم يتكون من ألف بيت عرف فيها بشيوخه وعلماء عصره في موطنه، كما ترجم فيها العلماء من باجة وتونس والقيروان، وكذلك المغرب الأقصى. ويرجع الدكتور أبو القاسم سعد

---

1 -ينظر: عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**.

2- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين...**، مرجع سابق، ص356.

3- أبو القاسم الحفناوي، **مصدر سابق**، ج. 1، ص143.

4- المهدي البوعبدلي، " عبد الكريم الفكون والتعريف بتأليفه منشورَ الهداية"، **مجلة الأصالة**، ع: 51، 1977، ص23.

5- أبو القاسم سعد الله، "مجتمع قسنطينة من خلال منشور الهداية"، **المجلة التاريخية المغربية**، (عدد خاص بالحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني الجزء 1 و2)، 1988م، ص393.

6- ينظر: عبد الله بن محمد المغوفل، **مجموعة قصائد**، مخ. م. و، لج، رقم 2259.

7- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص351.

لله أن يكون البوني قد قام بعمل أهم في ميدان التراجم فيما يعرف بالألفية الكبرى وهي مفقودة[1]. وترجم البوني أيضا للنحاة وعلماء اللغة العربية في مؤلفه: " فتح المتين بتراجم بعض مشاهير النحاة واللغويين". وهو ما يدل على الإسهام الكبير لعالم بونة في فن التراجم، كما ترك عيسى التوجيي؛ أرجوزة عنوانها: "بغية الطالب في ذكر الكواكب"، ترجم فيها لمعاصريه من أهل القرن العاشر[2].

"وكانت منطقة غريس بالغرب الجزائري دافعا قويا وميدانا خصبا لتراجم بعض المؤلفين لعلمائها وأعيانها، إذ قام بوزيد بن عبد الرحمان التجاني[3]"، في القرن 11هـ، بتراجم قصيرة لبعض أشراف غريس[4]، فيما يعرف: "بعقد الجمان النفيس قي ذكر الأعيان من أشراف غريس"، هذا المؤلف متنا لشروح قام بها محمد الجوزي، وأضاف إليه في خاتمته تراجم للخلفاء الراشدين وبعض مشاهير السياسة والحكم في الإسلام، سماه: " فتح الرحمان في شرح عقد الجمان"[5]،"ولعل أهم شرح لعقد الجمان النفيس هو ذلك الذي قام به أبو راس الناصر في مؤلفه: "إيضاح الغميس وأنوار البرجيس في شرح عقد الجمان النفيس"، وتكمن أهميته في متنه واعتماد ه على مصادر أخرى"[6].

ويبقى أن نأتي على ذكر بعض أسماء الأعمال في التراجم العامة التي لم نعثر على شيء منها الآن، إلا مسميات وعناوين أتت على ذكرها بعض المصادر المعاصرة، مثل أعمال أبي راس الناصر في التراجم لملوك المغرب الأقصى، ومنها: "ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس"، "والغر نباهة الغمر، من أبناء العمر،بأبناء ملوك ورؤساء، من أحسن منهم ومن أساء"و"الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلوية" و"الزهرة الوردية في الملوك السعدية"، وكذلك مؤلف: "الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم"، هذا الأخير يبدو أنه ترجم فيه لبعض أشهر علماء المسلمين[7].

1- تحتوي هذه الأرجوزة على ثلاثة آلاف بيت. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص352.

2- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص67.

3- اعتمادا على ما قدمه أبو القاسم سعد الله يكون اسم هذا المؤلف كالآتي. عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التجاني، ونحن فضلنا الاعتماد على المصدر الأساسي الذي نقل عنه الدكتور سعد الله نفسه، للتحقق. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص353.

4-Guin (L) « De La Suppression du Manuscrit », in **R. A** ,No 31, 1868, P. 72.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، مرجع سابق، ج. 2، ص353.

6-Guin (L), **Ibidem**, P75.

7- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**...، مصدر سابق، ص180.

1-2-2-كتب التراجم الخاصة:

تحدثنا فيما سبق عن التراجم العامة، التي كانت ذات عدد لا بأس به مقارنة بالتراجم الخاصة، التي كانت قليلة، ولا يهمنا هنا إحصاء عدد هذه المؤلفات. فالذي يهمنا هو معرفة ما إذا كان مؤلفوها قد التزموا فيها بالترجمة للشخص بعينه، أم أنهم حشوها بالأخبار المتفرقة.

فقد ذكر أبو القاسم سعد الله مجموعة من الكتب الخاصة بهذا القسم؛ ومن بينها كتاب محمد الصباغ القليعي، الذي قام بترجمته شيخ والده، أحمد بن يوسف الملياني، وقد كتب عمله هذا وسماه: "بستان الأزهار"، ويخبرنا الدكتور سعد الله أن هذا العمل عبارة عن موسوعة خاصة بحياة الملياني، فيها الغث والسمين الحقيقي، والأسطوري المقبول والمرفوض علميا، فكان كتابه كأنه نوع من الذكريات والحكايات المتفرقة عن الملياني، وفي الكتاب أخبار هامة عن أحوال العصر والمجتمع.

وفي هذا الصدد يعتبر أحمد المقري من أبرز الذين أجادوا الترجمة الخاصة، لتتبعه لحياة وأخبار المترجم حتى قبل ولادته، ويذكر شيوخهم ومؤلفاتهم وعلاقتهم بالسلطان ثم وفاتهم وآراء الناس فيهم، ويقال بأنه متأثر في ذلك بمنهج لسان الدين بن الخطيب في كتابه: "الإحاطة بأخبار غرناطة"، غير أن ابن الخطيب كان أقل استطرادا من المقري.

وقد كان للمقري الفضل الكبير في التعريف بالقاضي عياض، ولسان الدين بن الخطيب، فقد تناول في كتابه: "أزهار الرياض في أخبار القاض عياض وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض" جميع جوانب حياة القاض عياض تقريبا، وقد قسم المقري كتابه هذا إلى رياض وليس إلى فصول أو أبواب، وكان يدرك أنه لم يسبقه أحد إلى هذه الطريقة، وقد جاء كتابه هذا في ثمان رياض على النحو التالي: روضة الورد في أولية هذا العالم الفرد، وروضة الأقحوان في ذكر حاله في النشأة والعنفوان، وروضة البهار في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار، وروضة المنثور في بعض ما له من منظوم ومنثور، وروضة النسرين في تصانيفه العديمة النظير والقرين، وروضة الآس في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجرحه آس، وروضة الشقيق في جمل من فوائده ولمع[1]. من فرائده المنظومة نظم الدر والعقيق، وروضة النيلوفر في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر[2]. أما في ترجمته للسان الدين بن الخطيب فقد رجع عن طريقته السابقة الذكر ففي كتابه: "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، خص القسم الثاني من هذا الكتاب لترجمة لسان الدين بن الخطيب، وقد قسم هذا القسم إلى ثمانية أبواب تكلم في الأول عن أولية وأسلاف بن الخطيب، وفي الثاني عن نشأته

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص-ص. 359-361.

2- **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع نفسه، ج. 2، ص262.

وترقيته ووزارته وما لقي من ذلك من أيام عز وأيام هوان، وقصوره وأمواله وتقلبات الزمان ضده، وفي الثالث عن مشائخه وثقافته وما يتصل بذلك، وفي الرابع عن مخاطبات الملوك والأكابر الموجهة إليه وثناء أهل العصر عليه، وفي الخامس في جملة من نثره وشعره وأزجاله وموشحاته. وفي السادس عن تلاميذه، وأخيرا عن أولاده ووصيته لهم[1]. وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والأمداح النبوية. ورغم كثرة الاستطراد لأحمد المقري وترجمته لبعض الشخصيات الهامة مثل: القلصادي وتكراره لما في: "أزهار الرياض"، إلا أنه كان أكثر منهجية(ثم إن كثرة الاستطراد كان من السماة البارزة لذلك العصر).

ويعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله كتاب: "كعبة الطائفين". هو ترجمة للشيخ موسى بن علي اللالتي، ذلك أن تلميذه محمد بن سليمان قد قام بترجمة لشيخه خلال شرحه لهذه القصيدة[2].

ومن مؤلفات التراجم الخاصة أيضا هناك مجموعة كبيرة من الكتب التي تحدثت عن الباي محمد الكبير، وقد أوردنا بعضها سابقا رغم أنها تميل إلى التراجم، فكتاب محمد بن ميمون الجزائري، الذي تطرق فيه للداي محمد بكداش من خلال ما كتبه إلى حياته وأعماله، كما تطرق أيضا لقضية فتح وهران الأول، وقد وضع هذا الكتاب تحت عنوان: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية.. . "[3]، ناهيك عن عدد لا بأس به من الأعمال الخاصة بسيرة الباي: " كرحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب "لأحمد بن هطال. وغيرها من الأعمال الخاصة بسيرة هذا الباي.

وفي هذا الصدد أيضا نذكر كتاب: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، لابن سحنون، حيث اقترح عليه أحد معاصريه أن يسميه: "الدر والعسجد في مناقب الباي محمد[4]". ولابن سحنون أيضا مؤلف آخر في سيرة الباي محمد يبدو أنه ديوان أدب، وقد وقال عنه بـــأن الظروف لم تسمح له بتقديم هذا الكتاب إلى الباي حيث يقول: "وقد كنت ألفت باسمه كتابا في الأدب سميته: "عقود المحاسن*". فلم تسمح الأيام بإيصاله إليه[5].

ويمكن أن نشير هنا أيضا إلى كتاب أبي راس: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، والذي قسمه إلى خمسة أبواب فكان الباب الأول متعلقا بحياة المؤلف ونسبه وسماه: "في ابتداء أمري".

1-ينظر: أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب...**، مصدر سابق، ج. 1.

2- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ج. 1، ص164.

3-ينظر: محمد بن ميمون، **مصدر سابق.**

4- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**...، مصدر سابق، ص-ص. 15-17.

*- وهذا الكتاب في حكم المفقود فقد بحثت عنه و لم أجده، وحتى الدكتور سعد الله أشار إلى ذلك.

5- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص146.

والباب الثاني في ذكر شيوخه وسماه: " في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي: شريعة وحقيقة وقرأنا، وطريقة".

في حين خصص الباب الثالث للحديث عن رحلته، وهو بعنوان: "في رحلتي في المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام". وكان الباب الرابع خاصا بالمواضيع التي نوقشت في مجلس العلم التي حضرها، ولقاء العلماء قد سماه: " في الأسئلة وما يتعلق بها". أما الباب الأخير فهو في تعداد الكتب التي ألفها، مع وصف مختصر لها، وعنوانه: "العسجد والإبريز، في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز"[1]. ويبدو أبو راس أكثر منهجية من سابقيه، عندما عرض على القارئ علل تأليفه في هذه المواضع، وذلك في فاتحة كل باب. وإذا كان هذا المؤلف هو سيرة ذاتية كتبه صاحبه مقتديا في ذلك بمن سبقه من العلماء كالسيوطي فهو يعد ترجمة خاصة لجوانب من حياته.

1- 3- كتب الرحلة:

إن أهمية مؤلفات الرحلة من حيث رصدها لأخبار الأقوام التي مر بها مؤلفها، ونقلها لوقائع الزمان والمكان ومظاهره الحضارية، وكذلك أحداث عصرها في كثير من الأحيان- تلك الأهمية- هي التي جعلتنا وجعلت كثير من الدارسي للتاريخ يعدونها من مصادر التاريخ. إن لم تكن من التأليف التاريخي ذاته لتوفرها على مادة قصيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير[2].

ومثلما اهتم المسلمون بتدوين الرحلة ابتداء من القرن الثالث الهجري، فعل خلفهم في المغرب والجزائر على وجه الخصوص خلال العهد العثماني لتوفر أسبابها وازدياد الحاجة إليها. لاسيما خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م)، وكانت رحلاتهم إما حجازية نتيجة لمقصد الحج فيها، أو علمية في لغاية في طلب العلم عند المرتحل[3]. ولا يهمنا نوع الرحلة بقدر ما يهمنا أسلوبها، بين نثرية وشعرية، وهو الأساس الذي يفضل اعتمادنا في دراسة الرحلة، تسهيلا للإفادة ما دام موضوعنا يهتم بالفعل التأليفي.

1.- 3.- 1-الرحلات النثرية:

تعدد مؤلفات الجزائريين إبان الفترة العثمانية في رحلاتهم بالأسلوب النثري، مما جعلها أكثر أهمية من غيرها، فضلا عن ضخامة حجمها وسهولة أدائها الإخباري.

ولعل أولى الرحلات النثرية الجزائرية المدونة التي تستدعي اهتمام موضوعنا، هي رحلة أبو العباس أحمد المقري التلمساني الشهيرة بعنوان: "رحلة في المشرق والمغرب"، وقد اهتم المقري في تأليفه بذكر المحطات

1- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته...**، مصدر سابق، ص-ص. 15-17.

2- حسن محمود حسن، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، ط. 2، بيروت، 1983م، ص6.

3 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص381.

التي زارها، أثناء ارتحاله؛ من مدينة فاس مارا بالجزائر وتونس والإسكندرية، إلى جده حيث أعاد أدراجه إلى القدس، ورصد أخبار تلك المدن ومسالكها، كما خص تأليفه بجزء كبير عن علاقته بالعلماء والأدباء، الذين التقى بهم. ولم يستثن مراسلاته ومحادثاته إليهم[1].

وتعد رحلة المقري موسوعة تاريخية لحال الثقافة والأدب في المشرق العربي. وصورة واضحة لوضع سياسي، مثلما تعد سيرة ذاتية؛ لرجل من أكبر رجالات العلم والأدب، اعتبارا لرصده لأهم جزء من حياته، التي قضاها متنقلا بين مدن المغرب والمشرق حيث استقر إلى أن توفي.

وقد ألف أحمد ساسي البوني رحلته: "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، حسب ما أورده هو بنفسه في إحدى نصوص فتواه في الحضانة، بقوله: ".. . ولي أشياخ عدة.. . وقد ذكرتهم في تأليفنا المسمى بالروضة الشهية في الرحلة الحجازية.. . "، ويؤكد ذلك نصيحة نجله في تعليقه على الفتوى بقراءتها في قوله: ".. . فعليك به فإن فيه ضرفا (كذا) وطرفا[2]". ويدرج هذا المؤلف؛ في عداد المؤلفات المفقودة، وهو ما يصعب من معرفة مضمونها ومحتواها، ولكن يبدو من خلال نص الفتوى المذكور سابقا أنه تطرق فيه للحديث عن شيوخه الذين تلقى عنهم وأجازوه، وقد عددهم بعشرين شيخا، ولعله قد ذكر أيضا إجازاته لبعض علماء تونس ومصر والحجاز، خاصة وأن الجبرتي قد ذكر إجازة البوني للشيخ حسن بن سلامة الطيبي[3] في القاهرة. حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله الذي تساءل عن محتوى الرحلة[4].

وألف الطبيب الرحالة عبد الرزاق بن حمادوش مُؤَلف في الرحلة، إذ يرجح الدكتور أبو القاسم سعد الله أن يكون مؤلف ابن حمادوش: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"؛ هو في الأصل مدونة كبيرة لرحلته إلى المشرق والمغرب فقد جَزَّءَهَا إلى ثلاثة أجزاء[5]، ويدعم رأي سعد الله كثرة أسفار ابن حمادوش، وذهابه إلى الحج مرتين، وانتقاله إلى المغرب الأقصى مرتين أيضا مع اهتمامه بالتأليف والتدوين، إذ من المُستبعد أن يغفل عن تدوين أسفاره إلى الحجاز المهم أن الجزء المتبقي من التأليف - إذ أخذنا برأي

1- ينظر: أبو العباس أحمد المقري، **رحلة إلى المشرق والمغرب**، مخ. م. و. لج، رقم 3191.

2 أحمد الزروق، **تعليق على فتوى الحضانة**، مصدر سابق، ق. 6. ظ.

3- من شيوخ مدينة رشيد وقد توفي هذا الشيخ سنة 1176هـ. ينظر: عبد الرحمان الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، 1980م، ص115.

4- يتساءل الدكتور سعد الله عن مضمون رحلة البوني ما إذا كانت مثل رحلة أبي راس التي عدد فيها تنقلاته وشيوخه والمسائل العلمية التي عرضت له، أم هي مثل رحلة الورثلاني يسجل فيها مسالكه ومنازله ودراساته وأخبار المرافقين له، والحوادث التي جرت له ومشاهداته ونحو ذلك. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص-ص. 390-391.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص391.

سعد الله - هو رصد لرحلته إلى المغرب الأقصى على مدار أربعة سنوات، ونفضل أن نتطرق إليها في قسم السير والتراجم لأن ابن حمادوش صاغ مؤلفه بطريقة تجعلها أقرب إلى السيرة الذاتية منها إلى أدب الرحلة[1]، ونرجح أن يكون في الجزائريين الآخرين من اهتم برحلته الحجازية الأولى والثانية، خاصة وأن رحلته إلى المغرب تتوسطهما زمنيا. ولا يمكن إنكار إسهام ابن حمادوش في أدب الرحلة، وقد جاء في مؤلفه: " لسان المقال. .. " درايته وإتقانه لَفنِّ الرحلة

ومن الذين أسهموا في تدوين الرحلات أيضا أحمد بن عمار ويعتبر من فقهاء مدينة الجزائر، ومن الذين تولوا الفتوى بها، وقد دون رحلته إلى الحجاز في مؤلف سماه بـــ: " نحلة اللبيب بإخبار الرحلة إلى الحبيب"، ولا يهمنا هذا، والذي يهمنا من هذا العمل الجزء الخاص بوصف الرحلة والذي سماه: "الغرض المقصود" وهو الجزء المفقود من المؤلف، ومن خلال حديثه عنه يظهر أنه عرض لما يحدث له أثناء سفره من ذهابه إلى غاية عودته[2] حيث أنه تحدث عن رحلته من الجزائر عبر تونس وطرابلس ومصر إلى الحجاز مثلما فعل مرافقه الورثلاني كما أن خاتمة الرحلة مفقودة أيضا، وقد ضمنها ما نشأ عن السفر وما انضم إليه"[3]. ويبدو من خلال شهرتها بين علماء العصر وأدبائه، أنها مفيدة وهامة إذ يذكر أبي راس الناصر بـــ: "مؤلف الرحلة، الجمة الفوائد حلوة الموائد، عذبة الموارد"[4].

وألف محمد بن الحسين الورثلاني في القرن الثاني عشر الهجري، رحلة حجازية نثرية تعتبر من أهم مؤلفات العهد العثماني، خصوصا لقيمتها التاريخية والجغرافية للبلاد العربية. وقد اختار الورثلاني لمؤلفه عنوانا: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"[5]، وقد بين الورثلاني في مقدمة عمله أنه كان ينوي كتابة رحلة عظيمة تكون مفخرة له، وفائدة لمن يريد معرفة، ولكنه سرعان ما أصابه الفتور؛ لأسباب ذكر منها ضياع دفتر منه في ليبيا كان قد ضمنه ما يخص تونس[6]، ورغم ذلك فعمل الورثلاني هذا لا يمكن أن نغفل أهميته، ومكانته في حركة التأليف التي عرفتها الجزائر في قرونها العثمانية. إذ تحدث فيه عن خط سير ركب الحج من الجزائر إلى مكة والمدينة، وتوقف عند كل حاضرة من حواضر المسلك وأريافه. وأطرد في

1-ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق.**

2- ينظر: أبو العباس أحمد بن عمار، **نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة بير فونتانه، الجزائر، 1902

3- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص392.

4- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته...**، مصدر سابق، ص181.

5- من المشجع أن هذا المؤلف حفظت منه نسخ عديدة، استطاع من خلالها محمد بن أبي شنب أن يقدم لطبعها دون تحقيق، ينظر: الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق.**

6- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **المصدر نفسه**، ص3.

الحديث عن المدن المقدسة في الحجاز وعن أحوالها الثقافية والعلمية، كما لفت الانتباه إلى مظاهر اجتماعية وفكرية عرفها عصره مثل: انعدام الأمن وكثرة قطاع الطرق، وانتقاده لأسلوب حكم «الأتراك» العثمانيين، وانتشار الظلم وقلة العلم والاستيلاء على الأوقاف، كما ناقش قضية شرب القهوة وممارسة التدخين، وسماع الموسيقى، واستطاع أن يعقد مقارنة بين الجزائر وتونس في أحوال الاقتصاد والمعيشة، وأثار قضية عدم اهتمام معاصريه بالتاريخ وبين فضله. ومن خلال محتوى الرحلة نستطيع الجزم بأن مؤلفها واع بشروط التأليف وراغب فيه[1]، إذ أنه جمع حصيلة ثلاث رحلات حج بواسطة التدوين والتسجيل، ليقوم بعد عودته واستقراره في بلدته بجمعها وترتيبها معتمدا على بعض النقول من الناصري والعياشي[2].

وتوج القرن الثالث عشر الهجري بمؤرخ جاد، استطاع أن يقدم كثير في ميدان التأليف، مثلما لم يفته أن يسهم في تدوين الرحلة، خصوصا أنه كان كثير الترحال إلى المشرق والمغرب، ذلك هو محمد بن أبي راس الناصر، ومؤلفه: " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "، وإن كنا نعتبره مؤلف سيرة ذاتية مثله مثل كتاب: "لسان المقال.. . "لابن حمادوش، فإن بابه الثالث قد ضمنه رحلته إلى المشرق والمغرب مثلما بدى لنا مضمونه، وحتى العنوان الذي اختاره له هو: " في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"[3].

والحق أن مدونة أبي راس في رحلته يختلف كثيرا عن الرحلات المذكورة فرغم كونها تتناول موضوع الرحلة إلى الحجاز، فهي تبدو علمية أكثر منها. إذ اهتم المؤلف بالعلم والعلماء، وغفل الجغرافيا وأحوال السياسة، عدا ما يتعلق بحديثه عن حركة محمد بن عبد الوهاب في الحجاز، وربما ذلك ما جعل الدكتور أبو القاسم سعد الله يوافق أحد المؤرخين الفرنسيين في التقليل من أهمية رحلة أبي راس ورجح أن تكون الرحلة قد تضمنها كتاب: "عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي".

وفي ذلك اختلاف وشك، وإن كان بعض الباحثين يعتبرون هذا الكتاب هو الباب المخصص للرحلة في فتح الإله، أو هو عنوان آخر لفتح الإله نفسه[4]، فإن ابن سودة المرى ذكر أنه اطلع على كتاب: "حلتي

1- أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى رغبة الورثلاني بكتابة التاريخ وقراءته بعبارة بليغة، وقد كان له شعور قوي بالتاريخ خلافا لبعض علماء عصره.

2- الرحلتين هما: **الرحلة الناصرية لأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، ورحلة أبو سالم العياشي المسماة بالرحلة العياشية: ماء الموائد.**

3- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته...**، مصدر سابق، ص114.

4- من بين هؤلاء المؤرخين المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني في كتابه: **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين...**، ص464.

ونحلتي في تعداد رحلتي"[1]، ومن خلال ذلك نستطيع الميل إلى موقف سعد الله بأن يكون شرحا للباب الثالث من فتح الإله خاصة وأن المؤرخ أبي راس قد أكثر من الشروح.

ويختلف عمل ابن الدين الأغواطي[2] في مضمار الرحلة عن غيره، ذلك أنه اهتم بالرحلة في الجزائر وقد قام بتدوين تنقلاته ووصف مشاهداته في صحراء الجزائر، مضيفا بعض الحديث عن صحراء شنقيط وصحراء شبه الجزيرة العربية وبعض مدن تونس، ويبدو أنه اعتمد على ما سمع أيضا، وما يجعلها تختلف عن سابقاتها والدفاع عن تأليفها، فحسب سعد الله يكون الأغواطي قد قام بعمله بناء على طلب قنصل أمريكا في الجزائر (وليام هوديسون)، الذي كان له الفضل في حفظ جزء منها بترجمته لها ونشرها[3].

1-3-2-الرحلات الشعرية:

تعرضنا إلى المؤلفات في الرحلة المدونة نثرا، وبقي لنا أن نتعرض للرحلات المنظومة وكنا قد بينا في موضع سابق. ما اعتاده أهل العصر من ولع بنظم الشعر والمباهاة به رغم ضعفه، وكثرت مدونات الرحلات بأسلوب الشعر، حيث كان من الإفادة أن تنثر فيسهل أداؤها، وقد تقل أهميتها بالنسبة إلى موضوعنا، وهو ما جعلنا نوجز في ذكرها قدر الإمكان، إذا لم يكن الداعي إلى اعتبارها إحدى مظاهر التأليف التاريخي. إلا لما كان فيها من أخبار عن المسالك وأحوال الأرض ومظاهر العمران والثقافة.

وأول ما يثير الاهتمام في موضوعنا موضوعنا ذلك العمل الذي قام به عبد الرحمان المجاجي. الذي دون رحلته إلى الحج، انطلاقا من بلدته مجاجة في قصيدة طويلة تضم 225 بيتا مكتوبة في 11ورقة، وهي موجودة في المكتبة الوطنية تحدث فيها عن ركب الحج وحظ سيره، وذكر كثير من المواطن التي مر بها، كما اهتم بذكر المعاطن والآبار، اهتم بذكر الصلحاء والعلماء[4] وبعض الأعيان وعلاقاتهم بالسلطة. في كل من الجزائر وتونس وطرابلس ومصر.

وكتب محمد بن محمد بن منصور العامري قصيدة فرغ منها سنة 1152هـ، وقد سميت قصيدته بالهمزية نسبة لرويها الذي هو الهمزة، وهي تبدأ بقوله:

أزمع السير إن دهت أدواء § لشفيع الأنام فهو الدواء

1- عبد السلام بن سودة المرى، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الكتاب، ج. 2، ط. 2، المغرب، 1960م، ص390.

2- هو الحاج ابن الدين الأغواطي ويبدو أنه لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته - حسب ما أورده مترجمه - ويقال أنه من عائلة ابن الدين التي مازالت موجودة إلى الآن، وأنه كان قليل التعلم كثير الاطلاع، وقد تعرف هذا الحاج على هوديسون بين سنوات (1825-1829م) وهو من طلب منه أن يدون هذه الرحلة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص-ص. 244-245.

3- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ج. 2، ص-ص. 243-267.

4- ينظر: عبد الرحمان المجاجي، **الرحلة المجاجية**.

وقد وصف في قصيدته هذه. رحلته من تازة موطنه، إلى الحرمين الشريفين ثم منهما إلى الشام[1]، ويقول ابن سؤدة أنه يحتفظ بنسخة منها في خزانته الخاصة[2]، وليست لدينا أي معلومات عن هذه الرحلة إلا ما ذكره ابن سؤدة.

وأسهم محمد بن مسايب التلمساني في نفس القرن -القرن12هـ - قصيدة ملحون سجل فيها رحلته من تلمسان إلى مكة عبر مدن وقرى الجزائر، ثم تونس وطرابلس عبر مسلك البر حتى مصر، "وقد ذكر ابن أبي شنب الذي أورد نص القصيدة كاملا. أن ابن «التركي» والزياني الذين رافقا ابن مسايب في رحلته ألف كل واحد منهما قصيدة في نفس الغرض، وقال عن عمل الأخير أنه أكثر وضوحا وأتقن نظما من عمل ابن مسايب"[3].

وإذا كان الدكتور سعد الله، قد أرجع أسباب ضعف حركة التأليف التاريخي إلى الموقف السلبي الاستقرائي لمجتمع العصر من التأريخ[4] استنادا إلى حكم الورثلاني في قوله: "علم التاريخ منعدم فيه وساقط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني. أو من المضحكات المنهي عنها"[5]، وكذلك مقولة ابن المفتي بأن: "تلك الأخبار رسمها بالجزائر مندرس وما كتبه ذوو الرحلة في شأنها وشأن العلم فيها غير مقتبس"[6].

فنحن نتساءل ماذا قدم هؤلاء الذين عرفوا قيمة كتابة التاريخ وأهدافه؟ هنا لا يمكن فهم واقعي لماهية الفكر التاريخي عند الجزائريين دون الإحاطة بدوافع التأليف التاريخي، ومحاوره وفروعه.

2- دوافع التأليف التاريخي:

ارتأيت في هذا المبحث أن أبدا بقول كارل بروكلمان في حركة التدوين في العهد العثماني: " كانت حياة العثمانيين العلمية خلوا أو تكاد من الأصالة والإبداع وسبيلها في مجال التقليد، والإتباع الثابتة ذلك أن العلم عندهم لم يكن يعني اكتساب معرفة جديدة، بل التمكن إلى أقصى حد مستطاع من المادة التي أنتجتها

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص-ص. 398-399.

2- عبد السلام بن سودة المرى، **مرجع سابق**، ص433.

3-Bencheneb, **ibidem**, P286.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص-ص. 221-222.

5- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص597.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج. 2، ص222.

الأجيال السالفة، وكان أعظم القدر والاعتبار يخلع على النفقة في الدين والشرع الإسلامي الذي لم يكن ليفصل عن القانون المدني.. . "[1].

ومن خلال هذا القول نستشف أن كارل بروكلمان حاول أن يقول إن العثمانيين لم يكن لهم دافع لتدوين غير العلم بأمور الدين، وتقليد سابقيهم، وهذه حقيقة حتى عند الجزائريين – وقد تحدثنا عن ذلك سابقا– في ذلك العهد، فالعلماء الجزائريين خلال العهد العثماني كانوا في الغالب يحفظون ويلاحظون ويقومون بإدراج الخبر، ولا يتعداه كما ينقلون الروايات الشفوية دون أي ملاحظة أو تمحيص أو تحليل. لكن إذا أتينا للبحث في حركة التأليف عند الجزائريين خلال العهد العثماني نجدها ارتبطت أساسا بموضوعين هما:

الأول: اتجاه أنظارهم نحو وهران ومعاركهم ضد الإسبان ومآثر قادة جيوشها، والحديث عن تاريخها.

الثاني: التأثير الديني (كالمذاهب الفقهية: الحنفي والمالكي)، والروح الصوفية ووصف طرق الحج ورحلات طلب العلم.

وقد حفزت دوافع متباينة الطموح عند الكثيرين. لممارسة العلم ووضع الكتب على أن الإمكانيات كانت دائما محدودة، وكان عرض أعمال النخبة المثقفة أكبر من الطلب عليها. ويلاحظ؛ أن هناك أصوات شاكية من شح سوق العلم، ومن الطلب القليل على بضائع المعرفة وقلة تقدير العلم. غير أن أغراض التأليف تختلف من مؤلف إلى آخر فمنهم من يرغب من خلال مؤلفه (كتابه) في الحصول على إجازة من أحد العلماء المحليين أو من الدول العربية، ومنهم من يؤلف بغرض التقرب إلى السلطة ومحبته فيها، أو بطلب من السلطة[2]، أو من أجل نيل رضاها. ومنهم من يؤلف من أجل تشجيع الحاكم على الجهاد، ومنهم من يؤلف من أجل إزالة غموض أو تبيين حقيقة أو ليرد على مؤلف آخر. لكن بالرغم من هذا يبقى السؤال مطروح. فما هي دوافع التأليف في عصر غاب فيه الاهتمام بالعلماء والمؤلفين العهد العثماني؟.

1- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: نبيه أمين فارس منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط. 5، بيروت، 1968م، ص412.

2- إن الحكام المشجعين على التأليف يعدون على الأصابع ذلك أن السلطة التركية جاءت لتحمي البلاد وإن صح القول فمحمد الكبير وصالح باي هما اللذان شجعا على التأليف وخاصة محمد الكبير الذي في عهده نشطت الحركة العلمية، وذلك بتشجيعه للعلم، وحثه على تدوين الأخبار، وقد قال عنه ابن سحنون: "... وأما حبه للعلم وإحسانه فقد شاع منه ما يغني عن الأخبار وكم من تأليف نشأ بأمره ونال به مؤلفه وافر بره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة بجمع فتاوى العلماء ... وفي أيامه السعيدة شرحت العقيقة شرحا عجيبا". ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص146.

إن المؤلفين الذين ألفوا في العهد العثماني جلهم كان يحفزهم العامل الديني على التأليف؛ فهو مبدأ أساسي في عقيدة المسلم – بصفة عامة، والمؤرخ بصفة خاصة. فالمؤلفون يعدون جميع الظواهر التي تبدو في الكون هي من خلقة الرحمان – وجب عليهم النظر إليها تبصرة وذكرى لهم – وقد حث القرآن الكريم الناس على النظر إليها في أحوال الأمم السابقة قال تعالى: " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إلى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[1]، أو كما ورد في قوله: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"[2].

فالعامل العقائدي للتأليف في الجزائر خلال العهد العثماني بدا واضحا، وتلك النظرة المميزة للظواهر الكونية التي كانت لدى المؤلفين، هي التي كانوا يعبرون عنها في مقدمات مؤلفاتهم التي وضعوها في مختلف ميادين المعرفة، وذلك بأن يبدأ والمؤلف العالم منهم كلامه بحمد الله والثناء عليه، ثم يبين بعض مظاهر القدرة الإلهية في الظاهرة التي يريد دراستها في الكتاب، ثم يوضح الهدف من تأليفه لذلك الكتاب.

وكأمثلة على ذلك كتب ابن مريم (ت1611م) في مقدمة مؤلفه مبينا أن هدف تأليفه لكتاب: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، كان استجابة لشخص كان يحظى لديه بالتقدير، وسعيا لكسب الثواب ونيل الأجر في الآخرة، وذلك بتعريفه للعلماء والأولياء الصالحين بتلمسان وذكره لمحاسنهم وأفضالهم، وهذا ما نفهمه من محتوى كلامه: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين... فقد اطلعت على ما أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان.. . فأسعفتكم فيما طلبتم.. . والذي ألهمتم إليه أيها الأخ من أفضل ما يبذل فيه العمر كله.. . إذا كان مجرد حب الأولياء ولاية تشبث أن المرء مع من أحب فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه، وخدمتهم ظاهرا وباطنا بتسطير أحوالهم ونشر محاسنهم في أقوالهم، وأفعالهم وأحوالهم نشرا يبقى على مر الزمان.. . للإقتداء بهم بحسب الإمكان"[3].

وكتب الفكون (ت1073هـ) في مقدمة مؤلفة: "منشور الهداية..."، الذي عرف فيه بالعلماء الصالحين والمتشبهين بالصلحاء والمبتدعة، وقد كان في معظم ما كتبه مستنكرا للبدع والشعوذة والخرافات، فجاءت دعوته سلفية ضد الذين حادوا عن سبيل الشرع الصحيح ومسلك الجماعة، فكان تدوينه لمؤلفه بهدف إصلاحي إذ يقول في مقدمة مؤلفه: "الحمد لله الذي فتح لنا بصائر أوليائه بأنوار الهداية، ونشر

1- سورة"ق"الآية: "6-7".

2- سورة "لقمان" الآية: "31".

3- أبو عبد الله محمد بن مريم، **مصدر سابق**، ص–ص. 5-6.

عليهم ألوية القبول لما سبقت لهم سابقة العناية، وأقامهم بين عباده لردع من جلب عليه الشيطان بخيل الغواية،... وتلك سيرته سبحانه ما أظهر بدعيا إلا طمس وجوده بشهاب حجج أهل المعرفة والدراية... من جعلهم شمسا يستضيء بنورها أهل الغباوة والعماية". وقد اعتبر الفكون أن ما كتبه واجبا إذ يقول: "هذا الجهاد الذي هو أحد من السيف في نحور أعداء الله ناهيك بهم أعداء .... فعظم الباعث بهذا التقيد ... فالبر بتأليفه أردت، وإرشاد الأمة ونصحها قصدت.... "[1].

وكتب أحمد بن القاسم البوني (ت1139هـ) في مقدمة كتابه: "التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف"، أن هذا الكتاب بمثابة رد على ما أورده محمد العبدري البلنسي في كتابه: "الرحلة المغربية"، فيه أخبار عن المدن التي زارها المؤلف أثناء القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي. ووصف العبدري يوحي أن بونة - حوالي سنة 688م-1289م- كانت مدينة منكوبة فكريا[2]، فاعتبر أحمد بن القاسم البوني أن العبدري أخل بالتعريف ببلد البوني، وذكر لها نقيصة فعقب في مؤلفه: " التعريف ببونة..."، على ما قاله العبدري معتمدا على مؤرخ عاش القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي (أبي الحسن علي فضلون)، الذي صنف كتابا في تاريخ المدينة بعنوان: "الكلل والحلل".

وركز أحمد بن أبي قاسم البوني بعد ذكره لشخصيتين من القرن الخامس الهجري والحادي عشر ميلادي على شخصيات من القرن السابع الهجري إلى الخامس عشر ميلادي. فأحمد بن قاسم البوني يؤكد أن للمدينة شخصياتها العلمية التي زامنت الدولة الحفصية مثلما هو الشأن بالنسبة لمدن المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط والأدنى أثناء حكم المرنيين والزيانيين أي أثناء المرحلة التاريخية التي عاشها العبدري[3].

وكتب محمد بن ميمون (ت. بعد 1194هـ) موضحا هدف تأليفه: " للتحفة المرضية..." وذلك لتقديره ومحبته للداي محمد بكداش ورغبته في التقرب إليه، وهذا ما صرح به في المقدمة بقوله: " نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشم، وقلد أجياد البلغاء قلائد العقيان في النثر والنظم... وبعد: فإنني لما رأيت

1- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص، ص. 31-33.

2- وصف العبدري بونة كما يلي: "... ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النواب مطوية مخبونة تلاحظ من كتب فحوصات ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومده وتغازلها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر عن حلولها، فلم أقض وطرا من دخولها، ومن أغرب المسموعات أننا صادفنا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حاصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للغداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير ينظر: محمد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تح: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، ص33.

3- ينظر: أحمد بن القاسم البوني، **التعريف ببونة** ...، مصدر سابق.

مولانا الإمام الذي أنام في ظل الأمان...عالم الأمراء وأمير العلماء فخر الدولة العثمانية ...أبو النصر محمد بكداش أثارت أنواره جميع البلدان ...أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه المحتوي على ما نشر من السيرة المحمدية عليه... فوسمته باسمه وكسوته نور وسمه ...وسميته بـــ: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية "[1].

وكتب عبد القادر المشرفي (ت1192هـــ) الجزائري كتابه: " بهجة الناظر..." للتعريف بالمتعاونين من اللأعراب مع الإسبانيين حيث يقول في مقدمة مؤلفه: "الحمد لله وحده حق حمده... وبعد: فهذا التقيد سميته: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.... فمن جملة جند الإسبانيين الذي بوهران من الأعراب، بطن زناتة..."[2].

وكتب محمد بن رقية الجديري التلمساني[3] (ت. بعد 1194م) مبينا هدف تأليفه: "الزهرة الثائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة". من أنه كتبه استجابة لطلب الباي محمد الكبير باي الغرب، وترغيبه وحثه على الجهاد حيث يقول: "الحمد لله الذي وعد الموحدين بالغلبة والنصرة، وجزى المشركين بالخذلان[4]... وبعد فهذه أوراق تحرض على الجهاد... وسميتها بالزهرة النايرة... وسبب تحريره هذه الأوراق خير الخلق على الإطلاق... عن إذن الأمير... سيدي محمد باي نجل...عثمان"[5].

ومن المؤلفين الذين كتبوا مؤلفاتهم بدوافع ذكر بايات بلادهم، أو بسبب طلب هؤلاء البايات من المؤرخين بتسجيلهم للأحداث. فابن سحنون الراشدي مثلا كتب مؤلفه: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، تخليدا لمآثر الباي محمد الكبير وإشادة بمكانته وشجاعته وحبه للعلم والعلماء إذ يقول في ذلك:

1- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص-ص. 111-113.

2- أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **مصدر سابق**، ص-ص. 8-16.

3- محمد بن عبد الرحمان بن الجيلالي بن رقية الجديري التلمساني لا يعرف شيء عن حياته، سوى أنه عاش في نهاية القرن 12هـ. وتوفي سنة 1194هـــ، وكان يعتبر من العارفين بالعلوم الفقهية واللغوية، زيادة على محبته للباي محمد. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي**...، مرجع سابق، ص425.

4- يعتبر الدين العامل المشترك بين جميع المؤلفين نستشف ذلك من بين مقدمات مؤلفاتهم وذلك بتغنيهم بالظواهر الكونية؛ إلا أن دوافع تأليفهم تختلف من كتاب إلى آخر، فأبو راس الناصر مثلا ألف"عجائب الأسفار ..." لذكر فتح وهران والتغني بفاتحتها وأعماله، أما كتابه: "فتح الإله ..." فقد ألفه ليعرف بنفسه وشيوخه والبلاد التي زارها مقلدا في ذلك من سبقه من المؤرخين وخصوصا السيوطي فقد قلده حتى في العنوان -كتاب السيوطي عنوانه "**نزول الرحمة في التحدث بالنعمة**"-وقد ترجم أبو راس لنفسه حيث يقول: "... وإنما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب إقتداء بالمحدثين، وممن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر والسيوطي وياقوت الحموي...". ينظر: محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله**...، مصدر سابق، ص16.

5- محمد بن رقية الجديري، **الزهرة النايرة**...، ق، ق. 1. ظ، 2. و.

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... قصدت بذلك تخليد مآثره، وتدوين بعض محامده ومغافره... فقد أسدى الإسلام يدا بيضاء توجب له الإحسان من كل إنسان، وتقضي له الشكر من الأحرار وتعيب من عاب مادحه بالاشتغال بذكر محاسنه لما جعل هذا الواجب أو عجز عن الورود من قراح مدحه، وكيف يعاب من مدحه... وقد سميت هذا الصوان المحتوى على لبابه المليح المشتمل بثيابه: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، ولما وقفت على البيدري سماه: "الدر والعسجد في مناقب الباي محمد"[1].

وقد أخبر مؤلف: "الثغر الجماني.. . "، أن مصطفى بن زرفة[2] كلفه الباي بتسجيل الحوادث- يعني أنه ألف كتابه بطلب من الباي- لما نزل الطلبة بيفرى (محل الرباط)، فابن زرفة كان مساعد لرئيس الرباط بوهران آنذاك فيقول ابن سحنون: "ولما أنزل الطلبة بيفرى أمر السيد مصطفى بن عبد الله وهو آنذاك معهم بتقيد الحوادث فيما يتعلق بالجهاد ..."[3]. ويقول ابن زرفة في مؤلفه: "وانتدبت لإملاء تلك السيرة المحمدية وترحيل قمرها بدر السعادة الأبدية وتحرير منازله القمرية وسيرته مع العدو... معلما أن الرحلة لا تحتمل التبويب والتفصيل... وسميتها بالرحلة القمرية في السيرة المحمدية"[4]، وقد كتب ابن زرفة مبينا دافع تأليفه للكتاب بقوله: "... وبعد فإن أولى ما أقتني من المحامل... إجابة ولي الأمر نبيل المجهود في تحصيل موجب المالك المعبود بامتثال أمره اللازم... إذ طاعته كما قيل من طاعة الله..."[5].

أما أصحاب الرحلات فالدافع الأول لتدوينهم لمؤلفاتهم - سواء ابن عمار الورثلاني أو أبي راس ...الخ - هو أنهم بعد قيامهم برحلاتهم إلى الحج، وإطلاعهم على اهتمامات المشارقة، يقومون بتقليدهم في تدوين تاريخهم، ومآثرهم وثوراتهم ضد العثمانيين، ومعاركهم ضد الإسبان كما أنهم قاموا أيضا بالتعريف بالحركة العلمية في المشرق[6]، وذلك عن طريق الحديث عن العلوم المنتشرة، والعلماء الكبار الذين برزوا هناك،

1- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص-ص. 92-93.

2- هو محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان ومساعدا لرئيس الرباط بيفرى، ولا نعلم متى ولد وكل ما نعرفه هو ما ذكرناه سابقا زيادة على أنه تتلمذ على يد أبي راس الناصر شارك في فتح وهران الثاني سنة 1792م، وعين قاضيا بها حتى توفي بوباء الطاعون عام 1215هـ (1800-1801م). ينظر: يحي بوعزيز، **أعلام الفكر** ...، مرجع سابق، ج. 2، ص236.

3- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص65.

4- مصطفى بن عبد الله بن زرفة، **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية**، مج. م. و. لج، رقم 3322، ج. 1، ق. 2. و.

5- المخطوط نفسه، ق. 1. ظ.

6- جل المؤرخين الذين دونوا رحلاتهم وصفوا لنا الحالة العلمية بالمشرق، والعلماء الذين التقوا بهم، والذين أخذوا عنهم العلم، وكأمثلة على ذلك: أحمد المقري، والمحاجي، وابن مسايب، والورثلاني...الخ، فالمحاجي مثلا وصف لنا رحلته من بداية خروجه من بلدته بحاجة إلى أن وصل إلى مكة، وذلك بوصفه للأماكن التي مر بها والمسالك الصعبة، والشيوخ الذين التقى معهم، ويبدأ رحلته بقوله: نشق الفيافي فدفد بعد فدفد § جبالا وأوعارا وأرضا وطية

وتدخل ترجمة الرحالة لنفسه وشيوخه في هذا السياق، حتى يوثق أسانيده وعلومه، فيأخذ طلبته من بعده وكذلك الترجمة لغيره من العلماء الذين أخذوا عنه، واجتمع أثناء السفر فيشبع بهذا كله فضول الطلبة والعلماء في بلده إلى معرفة ما يحدث في المشرق من العلوم التي يهتم بها العلماء في المغرب، ومن المواضيع التي تثير جدالهم لهذه الديار آنذاك، وكذا المتداولة حتى ذلك الزمان.

فهذا أحمد بن عمار يكتب في مقدمة مؤلفه – رحلته – " نحلة اللبيب بأخبار رحلة الحبيب " موضحا هدف تأليفه لرحلته إذ يقول: "... وبعد فيقول العبد الفقير... الراجي عفوه سبحانه أحمد بن عمار ... لما دعتني الأشواق النافقة الأشواق إلى مشاهدة الآثار، والأخذ من الراحة بالثار، وأن أهجر الأهل والوطن. وأضرب في غرض البيد بعطن... فأحببت أن أدخل ذلك في خبر الرحلة تتميما للفائدة وزيادة في النحلة. ولما شرعت في التقيد والجمع لما يجتلبه البصر ويتشنعه (كذا) السمع، عزمت على تسميت ما أسطره وأثبته في هذه الأوراق وأحرره بنحلة اللبيب ..."[1].

وكتب أحمد بن هطال التلمساني موضحا هدف تأليفه: "لرحلة محمد الكبير..."، والتي ذكر فيها غزوة الباي محمد الكبير للأغواط وعين ماضي وشلالة، وغيرها من بلدات النواحي الغربية، وكان يريد من تأليفه هذا إظهار قوة الباي، ومدى استطاعته في التغلب على القبائل التي كانت ناشزة عن الحكم العثماني – على حد تعبيره – وهذا ما صرح به في المقدمة بقوله: "الحمد لله فالق الأصباح، وجاعل الليل سكنا ومخترع الأرواح... أما بعد: فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدرا ..... "، وقد أردت أن أذكر نبذة، أخدم بها حضرة قامع المبغضين ومدوخ المارقين... مقتصرا على ذكر خروجه إلى جهة القبلة أنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة، إلا أنها لم تنلها أيدي السلطة... فشمر بها عن ساعد الجد عازما على رد ما بها من النفار والصد فجمع جموعه وقواده..."[2].

وكتب محمد بن أبي راس الناصر موضحا هدف تأليفه لكتاب: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". الذي يعتبر شرح لقصيدة: " نفيسة الجمان في فتح ثغر الجمان"، وقد ذكر بأن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو الإشادة بالباي محمد وبالجهاد والنصر،

ينظر: عبد الرحمان المحاجي، **الرحلة...**، ق. 1. و.

–وهذا أبو راس الناصر وصف لنا رحلته إلى المشرق كما أنه عدد لنا تنقلاته وشيوخه، والمسائل العلمية التي عرضت له.

1– أبو العباس أحمد بن عمار، **مصدر سابق**، ص–ص. 3-4.

2– أبو العباس أحمد بن هطال، **مصدر سابق**، ص–ص. 34–37.

وبفتح وهران العظيم إذ يقول: "...الحمد لله الذي خلق الإنسان نطفة أمشاج، وأنشأه من تركيب ماء ومزاج... أن الغرض من هذا... الكتاب هو ذكر فتح وهران، ومدح الفاتح بها وهو نادرة الزمان... سيدي محمد بن عثمان باي الزحل (كذا) من الملوك... النور الباهي..."[1].

وهذه بواعث التأليف في العهد العثماني بالجزائر، وهناك دوافع ثانوية فردية أو جماعية مثل: الرغبة في القصص[2]، والوعظ لما له من أثر في إيجاد الرغبة في تلك الأخبار وهناك من ألف بدافع تقليد المؤلفين السابقين.

وقبل أن نختم هذا الفصل أود أن أشير إلى أن كل من كتب عن الجزائر في تلك الفترة – يعني العهد العثماني – حكم بالضعف على مستوى المثقفين في الجزائر وعلى إنتاجاتهم الفكرية، فهذا كاثكارت يقول عن العلم والعلماء: ".. . والمعلمون متساوون هنا أكثر من أي مكان آخر في العالم من حيث المستوى. فالتعليم ضعيف وكل ما يوفره من مقدرة لا يتجاوز القراء والكتابة.. . وحفظ السور وبعض التفاسير والتعليق عليها، ومعلومات عن بعض المؤلفين الدينين[3].. . ".

وهذا الورثلاني كذلك يتفقد الحالة الثقافية من خلال رحلته فقد لاحظ قلة العلم وأربابه في الجزائر[4]، وهذا ما لاحظه أيضا أبو سالم العياشي في رحلته.

فبالرغم من أن هؤلاء (شو، كاثكارت، الورثلاني، العياشي) جاءوا في فترات مختلفة إلا أن أفكارهم تطابقت على أن الجزائريين تميزوا بالضعف الثقافي والجميع أرجع ذلك لطبيعة حكم «الأتراك» العثمانيين، وإذا أمعنا النظر فإن دوافع كل هؤلاء تختلف، فإذا كتب شو بدوافع علمية فإن كاثكارت لم تكن له دوافع علمية بل كان يكتب مذكرات فقط، أما الورثلاني فهو جزائري ولو لم تكن الحقيقة لما كتبها.

هذا وهناك من أشار إلى كثرة المراكز الثقافية بالجزائر غداة الاحتلال بل إن جل الفرنسيين قد ذكروا ذلك، وذلك لدهشتهم وتعجبهم منها فهذا موريس فاغنر[1] يشير إلى كثرة المدارس في الجزائر. غير أننا لا

1- محمد أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار**...، مصدر سابق، ق. 3. و.

2-ومن المؤرخين الذين ألفوا كتبهم بقصد قص أخبار مدينة الشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن حيدة من فقهاء توات في القرن 19م. ولد سنة1184هـ بمدينة تمنطيط ونشأ في بيئة علمية، أما غرض تأليفه لكتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط فيقول: "... هذا التأليف أردت أن نجمع فيه بعض أخبار وقصص مدينة تمنطيط على ما بلغني عن ذلك، وعلى ما فهمته من أخبارها، وقصص مدينة تمنطيط على ما بلغني من ذلك...". ينظر: حيدة بن بابا، **مصدر سابق**، ص، ص. 6، 13.

3- كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص99.

4- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص–ص. 109–111.

نستطيع أن نحصر الوضع الثقافي في الجزائر بجميع أبعاده إلا من خلال التطرق إلى الإنتاج الفكري لمؤرخي الجزائر خلال العهد العثماني، لأن وجود عدد هائل من هذه المؤلفات لا يعني أن مستواهم الثقافي عال، فلا يهمنا الكم بقدر ما يهمنا الكيف، وسنرى في الفصل الثالث المستوي اللغوي لبعض هذه المؤلفات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**، م. و. ك، الجزائر، 1989م، ص82.

الفصل الثاني

تدوين المؤلفات التاريخية ونشرها

المبحث الأول: تدوين المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

1. تدوين المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني من جانب المؤرخ
2. تدوين المؤلفات التاريخية من جانب الطلبة وغيرهم

المبحث الثاني: نشر المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

1. صناعة الكتب خلال العهد العثماني
2. نشر الكتاب وسعره

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تدوين المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

يعتبر الكتاب الوسيلة الأكثر أهمية لتراكم وحفظ وانتقال التجربة المعبر عنها عبر الكلمة، وقد كان للجزائريين ولع كبير بالكتب، الأمر الذي كان أحد أهم الملامح المميزة لهذه الثقافة؛ وعلى الرغم من أن نسخ الكتب كان يدويا، فقد أعدت الكتب بأعداد هائلة[1] خلال العهد العثماني، ولما كانت السيادة في هذا العهد للعلوم الدينية، فإن محتوى المكتبات كان أغلبه لا يخرج عن هذه العلوم، فأغلبها كان من كتب التفاسير والقراءات والأحاديث وشروحها ... [2] ونحو ذلك، فزاوية الهامل[3] مثلا تظم العديد من الكتب المؤلفة في العهد العثماني وغيره، ولما اطلعت على فهرس مخطوطات المكتبة وجدت أغلب الكتب الموجودة في الفهرس هي كتب دينية، أما الكتب التاريخية فقد كانت قليلة جدا.

لقد عرفنا في الفصل السابق أن هناك من الجزائريين من اهتم بحركة التأليف، وألفوا في ذلك كتبا عديدة في شتى العلوم، ومن هؤلاء: ابن الفكون، أحمد المقري، ابن عمار، أبو راس الناصر، ابن حمادوش... ووجود هذا الكم الهائل من الكتب يجعلنا نتساءل عن كيفية تدوين هذه الكتب؟ ومن الذي يقوم بتدوينها؟ هل المؤرخون هم أنفسهم الذين يقومون بتدوين مؤلفاتهم أم طلبتهم؟ أم أنهم كانوا يكلفون أشخاص آخرين لتدوين هذه المؤلفات؟

لقد كانت مرجعيتي للإجابة على هذه الأسئلة، هي دائما العودة إلى المؤلفات نفسها؛ سواء المخطوطة منها أو المطبوعة، ومن خلالها وجدت أن التدوين إما يكون من جانب المؤرخ أو غيره.

1- تدوين المؤلفات التاريخية من جانب المؤرخ:

إن أغلب الكتب التاريخية التي كتبت في العهد العثماني، بالأحرى جميعها تكون النسخة الأولى منها مكتوبة بيد المؤلف- فالمؤلفون أنفسهم يذكرون ذلك - فالعبارات الموجودة في المؤلفات نفسها مع

1- مولاي بلحمسي، **مرجع سابق**، ص36.

2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، م. و. ك، ج. 4، الجزائر، 1984م، ص126.

3- زرت هذه الزاوية، وألقيت نظرة على فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة الزاوية، فوجدت أن أغلب الكتب الموجودة في هذه الزاوية دينية، أما التاريخية فهي قليلة جدا، وتوجد بهذه الزاوية نسخة من كتاب: **نزهة الأنظار**... للورثلاني، وكتاب ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية**، ثم إن هذه الزاوية تظم كتب في مختلف العهود، ليس في العهد العثماني فقط، ومن بين هذه الكتب: **كتاب الشمائل**" للترميذي (، 824-ت 892م)، **وكتاب المسعودي** وكتاب الإسكندر المقدوني للمسعودي (ت 957م)، وكتاب القاضي عياض...الخ من الكتب.

اختلافها تساعدنا على فهم ذلك فهذا يقول: "قيدت" وذاك "ألفت" والآخر "دونت"، إلى غير ذلك من العبارات التي تشير إلى أن المؤرخين هم من قاموا بتدوين مؤلفاتهم.

ففي كثير من الأحيان نجد الناسخين أنفسهم يقولون نقلت من مسودة المؤلف، أو يذكر اسم المؤلف في بداية المخطوط أو في نهايته، ثم يذكر اسمه ويشير إلى أنه كان مجرد ناسخ، والأمثلة على ذلك كثيرة، فابن مريم مثلا كتب في مقدمة مؤلفه: "البستان..."، "... أما بعد السلام عليكم أيها الأخ ... فقد طالعت ما أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها... فأسعفتكم فيما طلبتم[1] ... "ويورد المؤلف في خاتمة كتابه تاريخ الانتهاء من هذا التأليف فيقول: "وهنا انتهى الغرض مما قصدناه... وفي سنة عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه ... وسألني ولدي عما وقع لي من التأليف يكتب ذلك فأمليت عليه[2]... "، فلو لم يكن المؤرخ هو الذي دون مؤلفه لقال مثلا: "... انتهى الغرض مما قصدناه ... وقد أمليته على فلان"، ثم إنه يبين لنا في خاتمة كتابه أنه لم يدون هذا المؤلف فقط بل دون كتب أخرى. مما يدل على أن ابن مريم اشتغل في التأليف إلى جانب احترافه التعليم، والنص السابق يبين لنا أنه لابن مريم ابن[3] يهتم بتدوين مؤلفات والده.

ويخبرنا أحمد المقري في مؤلفه: "رحلة إلى المشرق والمغرب "بأنه ألف قصيدة لتاج العارفين تصل إلى ثلاث وأربعين بيتا[4]، وألف لأبي القاسم القيرواني إجازة قصيرة ذات ثمانية أبيات[5].

وكتب ابن الفكون في مقدمة كتابه يقول: "... فلما رأيت الزمان بأهله تعثر وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر ...وأسواق العلم قد كسدت..... فشرح الله صدري في أن أعتكف على تقييد يبدي عوارهم.... ورتبته على ثلاث فصول وخاتمة ..... وسميته منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"[6]، فالمؤرخ يصرح بنفسه أنه هو من قام بتدوين هذا المؤلف فيقول: "... اعتكفت على التقييد..."[7]، مما يدل على أن المؤرخ قد انكب على تدوين مؤلفه بنفسه، فلو لم يكن هو من الذي ألفه

1- أبو عبد الله محمد بن مريم، **مصدر سابق**، ص5.

2- أبو عبد الله محمد بن مريم، **المصدر نفسه**، ص314.

3- لابن مريم ولد قام بإعادة نسخ بعض مؤلفات والده بالإضافة إلى اشتغاله بالتأليف هو أيضا.

4- أبو العباس أحمد المقري، **رحلة**...، مصدر سابق، مخ، ق. 40. و.

5- **رحلة**، المصدر نفسه، ق. 47.

6- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر السابق**، ص-ص. 31-34.

7- عبد الكريم بن الفكون، **المصدر نفسه**، ص32.

ودونه لقال مثلا: أمليت هذا التقييد على فلان، أو كلفت فلان بتقييد هذه الأوراق، إلى غير ذلك من العبارات.

ويعتبر كتاب: "التعريف ببونة إفريقيا..." من تدوين أحمد بن قاسم البوني[1]، فمن خلال قراءتنا للمؤلف، نجد في بعض الفقرات ما يوحي بأن هذا المخطوط من تدوين أحمد بن قاسم البوني فهو بنفسه يصرح ذلك، فيقول البوني: "وقد أخل ببلد العبد الضعيف... وسأفصل ذلك تفصيلا حسنا... وإن كنت في كثير من الاشتغال وسميت هذه الأوراق التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف.... وقد كتبت عليه ما يرده (يقصد الرد على العبدري)..."، ثم إن الناقل للمخطوط يقول عند انتهائه من النسخ: "...أن ما يوجد من الخلل في هذه الأوراق المباركة - يقصد ما نقله على المخطوط الأصلي - فإنه من الكاتب لا من صاحبها الأول لأنها كتبت من المسودة ..."[2]، وهذا خير دليل على أن أحمد بن قاسم البوني هو من قام بتدوين مؤلفه ثم جاء بعد ذلك من قام بنسخ هذا المؤلف وهو ولده محمد بن أحمد بن قاسم البوني.

وكتب ناسخ قصيدة لخضر بن مخلوف: "صلوا على النبي وأرضوا على العشرة" في البداية، ما يؤكد على أن هذه القصيدة من تدوين ابن مخلوف "... هذه قصيدة الشيخ الأكحل بن مخلوف في التواريخ نفعنا الله به وبأمثاله ... صلوا على النبي وأرضوا على العشرة ..."[3]، وفي آخر الكتاب يقول: "...أتممت بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبها... محمد بن أحمد النجدي(كذا)...انتهى منها عام 1259هـ"[4]، فناسخ القصيدة يذكر لنا في البداية صاحب القصيدة، وفي نهاية الكتاب يذكر اسمه، وتاريخ فراغه من نسخها وبأنه كان مجرد ناسخ.

كذلك الحال بالنسبة لمحمد بن ميمون، فهو من دون مؤلفه وذلك واضح من العبارات الواردة في متن الكتاب إضافة إلى أن الناسخ يخبرنا في مقدمة الكتاب، بأن هذه المقامات من تأليف محمد بن ميمون، وفي الخاتمة يقول: "...كان الفراغ من نسخه من مسودة بخط مؤلفه...".[5]

1- لأحمد بن قاسم البوني ولدين اشتغلا بالتأليف إلى جانب اهتمامهما بالعلم، وبنسخ مؤلفات والدهما فإذا كان محمد قد نسخ مؤلف والده: "التعريف ببونة إفريقيا..."؛ فأخوه أحمد زرق نسخ مؤلف: **التعليق على فتوى الحضانة**، لكننا لا نعرف عن هذين الولدين سوى ما ذكراه في هذين المؤلفين عند انتهائهما من النسخ.

2- أحمد بن قاسم البوني، **التعريف ببونة إفريقيا...**، مصدر سابق، ص، ص. 42، 44، 28.

3- لخضر بن مخلوف، **قصيدة صلوا على النبي وأرضوا على العشرة**، مخ. م. و. لج، رقم 1635، و. 1. ظ.

4- لخضر بن مخلوف، **المصدر نفسه**، و. 8. ظ.

5- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص264.

ولم يكن المؤرخ يدون ما ألفه فقط بل إن هناك من المؤرخين من يقوم بنسخ كتب لغيره، ويشتغل بالتدوين فابن حمادوش مثلا كان كثير التأليف في شتى العلوم، وهذه المؤلفات هو الذي دونها بنفسه، إضافة إلى أنه قام بنسخ العديد من المؤلفات، وقد كان يقوم بذكر تاريخ بدئه بنسخها وتاريخ فراغه منها. فعند نسخه لوثائق الغرناطي مثلا يقول: "إلى عشرين من شهر ذي الحجة نسخت وثائق الغرناطي، ويوم الأحد الموالي تممتها، فبها استعنت عما كنت شرعت فيه من تقييد تم ذي الحجة بثلاثين يوما.... "[1]. ويقول أيضا: ".... إلى يوم الخميس آخر ربيع الثاني الموافق للرابع عشر أبريل تممت المقالة السادسة -سبق وأن نسخ خمس مقالات- من إقليدس إلى يوم الاثنين رابع ربيع الثاني الموافق رابع عشر أبريل تممت المقالة السابعة من إقليدس، وعدد صفحاتها 185 وجملة صفحات الكتاب 453 إلى تاسعه تممت المقالة الثامنة من إقليدس... "[2]، كما أنه قام بنسخ كتب لابن سينا وغيره، وقد أوردت هذه الكتب بالرغم أنها لم تكن لها صلة بالتاريخ، وذلك حتى أبين أن التدوين كان موجود، وأن المؤرخين كانوا ينسخون لأنفسهم فمن الكتب التاريخية التي نسخها ابن حمادوش كتابه عن السيوطي: "من أجداد المصطفى صلى الله عليه وسلم" وغيرها من الكتب.

كذلك الحال لابن سحنون فهو يذكر بنفسه أنه دون كتابه: "الثغر الجماني..."، وذلك بقصد الإشادة بأعمال محمد الكبير. إذ يقول: "...إذ قصدت بذلك تخليد مآثره وتدوين بعض محامده ومفاخره..."[3]، ثم يبين لنا أن مؤلفه هذا يحتاج إلى شرح حتى يبين ألفاظ القصيدة ويحل غموضها، فأخذ يشرح كل بيت بما يناسب من البديع، ثم يحل الألفاظ ويشرح المعاني إذ يقول: "ثم علمت أن لسان النظم حصور، وأن مؤداه لابد فيه من قصور، والنثر أشد منه بيانا، إذ به يصير الخبر عيانا، وبتذليل النظم به تزداد عباراته تبينا، فعزمت على أن أشرح تلك القصيدة شرحا... وهاأنا أشرع فيه ... بأني أصدر المسودة بتفسير ألفاظ الأبيات التي أشرحها، ثم أبين معناها ثم ألخص القضية التي أشرنا إليها ثم أختمها بذكر ما تحتوي عليه الأبيات من أنواع البديع والجناس وقد سميت هذا الصوان ...بـــ: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني".

ويروي لنا مؤلف الثغر الجماني أن الباي محمد الكبير أمر مصطفى بن عبد الله بتقيد الحوادث المتعلقة بالجهاد، وما يصل من رزق فيقول ابن زرفة: "... وعقدت لتقييد الرحلة حيال النطاق، ودخلت إلى مجلسه الرحيب ... فكان من فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله بطول عمره..."[4].

1- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص252.

2- عبد الرزاق بن حمادوش، **المصدر نفسه**، ص254.

3- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر السابق**، ص92.

4- أحمد بن سحنون الراشدي، **المصدر نفسه**، ص-ص. 94-95.

ويعرف ابن زرفة في مقدمة كتابه برحلته فيقول: "... أنها لا تحتمل التبويب والتفصيل، ولا يبرهن على صحة ذلك بدليل فأردت إذا فاتني أن أترجمها بشهور السنة القمرية..."[1].

وهناك بعض الإجازات التي تمنح لمؤلفي الجزائر في العهد العثماني يذكر فيها العلوم التي أجيز فيها ذلك المؤلف، أي العلوم التي تلقاها عن شيخه، وما إذا كان يدون ما أملي عليه.

فهذا الشيخ الحسين الورثلاني صاحب كتاب: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" يذكر بأنه دون هذه الرحلة بنفسه، وقد نسخ أحد الطلبة هذه الرحلة ليقوم بالتقرب إلى الورثلاني، وقد حصل الشيخ الورثلاني على معارف عدة في علوم الفقه من الشيخ علي الصعيدي الذي أجازه بكل العلوم، كما أجازه بالتأليف بعدما تأكدت له قدرة الورثلاني على ذلك[2].

وهذا أحمد بن هطال مؤلف رحلة محمد الكبير يشير ناسخها في آخر المؤلف أن ابن هطال انتهى من تقييد هذه الرحلة حيث يقول: "... وكتبه فقير ربه وأسير ذنبه... أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال... "[3]. ثم يذكر ناسخ المخطوط اسمه بعد أن ذكر أحمد بن هطال. فكل صيغ النساخ وإن اختلفت فمقصودها واحد، وهي أن النسخة الأصلية للكتاب دونت من طرف المؤرخين أنفسهم. والظاهر أن المؤرخين كانوا يكتبون مؤلفاتهم في مسودات، ثم يقومون بتبييضها أو نقلها وتصحيحها من جديد، فهذا ابن حمادوش يروي عن نفسه كيفية تأليفه ومعاناته في التأليف والتصحيح فيقول: "...ويوم الأربعاء ابتدأت أنسخ وأخرج الدرر على المختصر من مبيضة شرحا عجيبا علقته على مختصر السنوسي في المنطق..."[4].

وهناك من المؤرخين من يترك مؤلفه دون أن يقوم بتصحيحه، فهذا ناسخ "التحفة المرضية..." يقول بأن هذه النسخة قد نسخها مباشرة من مسودة المؤلف[5].

وقد عانى المؤرخون كثيرا أثناء تدوينهم لهذه المؤلفات من الحسد والغيرة[6] التي كان أغلب مؤرخي العصر يشتكون منها خصوصا فيما بينهم، أو من الظروف المحيطة بهم، ومع هذا فهم يتحدون ويؤلفون.

1- مصطفى بن زرفة، **الرحلة القمرية...**، مصدر سابق، و. 2. و.

2- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص-ص. 286-287.

3- أبو العباس أحمد بن هطال، **مصدر سابق**، ص101.

4- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص-ص. 114-115.

5- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص108.

6- أغلب مؤرخي العهد العثماني يشتكون من الحسد والغيرة سواء كان ذلك من المؤلفين فيما بينهم أو من عائلاتهم وكثيرا ما يشيرون إلى ذلك في مؤلفاتهم فهذا ابن حمادوش مثلا-وغيره كابن عمار الورثلاني...-كان يشتكي من الحسد كثيرا إلى درجة أن وصل هذا الشعور إلى أخيه وأمه حيث قال: "...أخرجت الدرر على المختصر ...إذ بأخي وأمي في قلوبهم الضغائن فتحركوا للخروج من عندي". ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص115.

وعن معاناة التأليف القريبة من فهمنا وإحساسنا في الزمن الحاضر، يمكن أن نستحضر ما قاله عماد الدين الأصفهاني (ت 1200هـ) في هذا الصدد: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، وترك هذا لكن أفضل، وترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

فهناك من المؤرخين من قام بتدوين الكتب لكنه بعد تدوينها اكتشف خطأه، فقام بتصحيحها. يقول ابن حمادوش: "وفي يوم السبت ابتدأت تصحيح تأليفي: "الدرر على المختصر للسيد محمد السنوسي في المنطق..."، ولم يكتف بتصحيح مؤلفه بل أنه لجأ إلى الشيخ الورززي قائلا: "... فأصلحنا ما يحتاج إلى الإصلاح... وهو الآن يصلح للإقراء والمذاكرة..."[1].

2- تدوين المؤلفات التاريخية من جانب الطلبة وغيرهم:

عرفنا في المبحث السابق أن المؤلفين كانوا يقومون بتدوين مؤلفاتهم بأنفسهم، ومع هذا فلم أعثر على مخطوطة مكتوبة في العهد العثماني بخط مؤلفها، عدا مخطوطة أحمد المقري: "رحلة..."، فيرجح أن تكون هي المسودة الأصلية للمؤلف لما وجدناه في وسطها من كلام للأديب المصري عبد الرحمان الملاح، وهو مكتوب بخط مغاير لخط المخطوط الغالب، وأثبت الكلام على ظهر الورقة (51 ووجه 52)، ونص تعليق المقري على ذلك: "وكتب لي بخطه كما هنا وهي قوله حفظه الله..."[2]، كما نجد توقيع الملاح في آخر المخطوط، فلو كان المخطوط منسوخا من قبل ناسخ غير المؤلف لما اختلف الخط ولما وجد توقيع صاحب الخط الجديد، وبقية المخطوطات التاريخية المكتوبة في العهد العثماني، سواء التي اطلعت عليها، أو التي حققها الباحثون الجزائريون هي نسخ للمؤلفات الأصلية[3].

1- عبد الرزاق بن حمادوش، **المصدر نفسه**، ص-ص. 258-259.

2- أبو العباس أحمد المقري، **رحلة...**، مصدر سابق، ق. 51. و.

3- فالنساخ أنفسهم يشيرون إلى ذلك في مقدمة هذه المؤلفات التي يرجعونها إلى صاحبها، وأقرب هذه النسخ إلى نسخة المؤلف هي النسخة التي نقلت مباشرة من مسودة المؤلف، "كالتحفة المرضية..."، وكذلك الحال بالنسبة لرحلة ابن عمار. وأغلب هذه النسخ فيها ما يسمى بتعبيرنا الحالي بالتقديم، أو التصدير الذي يتراوح بين الثلاثة أسطر وحد أقصى صفحة يعرف فيه الناسخ عادة بالمؤلف والمؤلف، أو بالمؤلف فقط ثم ينقل ما ورد في المخطوط، ومثال ذلك ما ورد في رحلة محمد الكبير، فهذا ناسخ الرحلة يقول في بدايتها: "...قال الشيخ الفقيه، النحرير النبيه، لسان الدولة وفارس الجولة - أبو العباس السيد أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال -كثير العلم، وصحيح الأقوال رضي الله عنه"، وبعد كلام الناسخ مباشرة يأتي كلام المؤلف، الذي عادة ما يبدأ مؤلفه بذكر بعض الظواهر الكونية، والمقدرة الإلهية، ثم يبين سبب تأليفه، وبعدها اسم مؤلفه ومثال ذلك أيضا أحمد بن هطال - اتخذناه كمثال فقط لتتضح الصورة- إذ يقول: "الحمد لله فالق الصباح، وجاعل الليل سكنا، ومخترع الأرواح.... أردت أن أذكر نبذة - قصده نبذة من التاريخ - أخدم بها قامع المغضبين ومدوخ مرفين ... لسيد محمد ذي ... ميتا مدهمه ومنزله ... "، وعند انتهاء الناسخ من نقل المخطوط يذكر اسم مؤلفه ثم اسمه

ولا نكاد نجد مؤرخا من المؤرخين الذين سبق ذكرهم؛ إلا وأنه اشتغل بالتدريس إلى جانب التأليف، وقد أنتج هؤلاء المؤرخين عددا لا بأس به من الكتب عن طريق الإملاء على الطلبة الذين كانوا في مرحلة متقدمة من التعليم العالي، ولكن الكتاب في أغلب الأحيان بهذه الطريقة يتغير. فالعالم في إطار الإملاء يتطرق إلى شرح بعض المسائل الواردة في كتابه، وذلك بتوضيحها والاستشهاد بها، وكلما طالت المسائلة زاد الكتاب، كما أنه يختم الإملاء عادة بخلاصات فينسخونها.

ونجد أحيانا المخطوط مرفقا بحواشي وتقاييد وتعاليق[1]، بعضها عميق ومفيد تستفيد منه الأجيال اللاحقة، وبعضها كان مجرد تكرار لما سبقه، أو اختصار للمطولات. أو يكلف، أو يوصي المؤرخ أحد طلبته بشرح مؤلفه، وعلى كل حال فإن بعض التآليف المنسوبة إلى عدد من المدرسين، كانت لا تخرج عن هذه الخاصية[2]، ونعني بها الإملاءات والشروح ونحوها. وقد أفرزت هذه الإملاءات والشروح كتب جديدة، لكنها تبقى منسوبة إلى مؤلفيها بخط طلبتهم.

فابن مريم يذكر في آخر مؤلفه؛ أن ولده قد سأله على عدد مؤلفاته ليقيدها، فأملاها عليه، مما يدل على اهتمام الابن بمؤلفات والده، وربما يكون قد نسخ بعضها[3]، وليس ببعيد عن هذا ابن أحمد بن قاسم البوني الذي نسخ بعض مؤلفات أبيه كـــ: "التعريف ببونة إفريقيا..."، ثم يخبرنا بأنه إن وجد أي خلل فمن

وتاريخ نسخه ثم توقيعه – نفس الكتاب.السابق فقد أوردت هذا المثال للتوضيح فقط وقس على ذلك – فيقول: "كمل تقييد هذه الأوراق عشية يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة اثنتين بعد المائتين والألف على يد...محمد بن البشير بن محمد أقراي.... "، ثم يوقع في آخر المخطوط، والبعض الآخر من النساخ لا يذكر اسمه إنما يكتفي بنقل المخطوط فقط كما هو الحال بالنسبة لرحلة المجاجي الموجود منها نسختين في المكتبة الوطنية، ولا وجود لاسم الناسخ ولا لتقديم فيها أم التقديم للكتاب والمؤلف والشيء الوحيد الذي جعلنا ننسبها للمجاجي هو وجود عنوان الرحلة –الرحلة المجاجية– أما فيما ما يخص العبارات الواردة في المخطوط، فأحيانا يستعمل النساخ للتعريف بصاحب المخطوط الأصلي لفظة (سيدي)، وأحيانا أخرى لفظة(السيد)، وتارة يستعمل لفظة الشيخ وتارة لفظة(شيخنا)...الخ، وهذه الاستعمالات لها دلالتها اللفظية.

1- تعتبر التقاليد والحواشي والتعاليق الموجودة في مؤلفات العهد العثماني خاصة أو ميزة من ميزات مؤلفات العهد العثماني، ومن أمثلة تلك التعاليق والتصحيحات الواردة في مخطوط "التحفة المرضية..."، فعند تصفحي لهذا الكتاب أثارت انتباهي تلك الشروح، لدرجة أنني أقرأها هي قبل حتى أن أقرأ المتن.: ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ق. 72. ظ، 81. و، 82. و.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 1، ص345.

3- أبو عبد الله محمد بن مريم، **مصدر سابق**، ص314.

الناسخ لا من المؤلف[1]، الشيء الذي يهمنا هو معرفة الذين اهتموا بالتدوين ،أو بالأحرى من يقوم بنسخ ،أو شرح المؤلفات التاريخية بعد تأليفها.

فمحمد بن سليمان الجزولي[2] شارح قصيدة: "حزب العارفين"؛ يخبرنا بأن شيخه موسى بن علي بن موسى الملالي قد أوصاه بشرح هذه القصيدة، وقد وصف الشارح شيخه بكل أوصاف التجلة والاحترام، مما يدل على محبته له فيقول: "الشيخ العارف بالله وبرسوله شيخنا وبركتنا... "، ويروي الشارح عن نفسه أنه كان ملازما لشيخه منذ صباه، وأنه نادم على الأوقات التي قضاها بعيدا عن شيخه، وقد سمى شرحه: "كعبة الطائفين وبهجة العاكفين، في الكلام على قصيدة حزب العارفين"[3].

أما عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التجاني، فقد ألف مختصرا في التراجم سماه: "عقد الجمان النفيس في ذكر أعيان من أشراف غريس". يتناول هذا المؤلف الأولياء والصلحاء والعلماء الأشراف في ناحية أغريس بالذات، وقد شعر مؤلفه أن عمله يحتاج إلى تبسيط وبيان فأشار على تلميذه محمد الجوزي الراشدي بشرحه فرحب بالفكرة، وشرحه شرحا طويلا تجاوز الألف ورقة وسماه: "فتح الرحمان في شرح عقد الجمان"، وأخبر محمد الجوزي أنه قد وشح شرحه بأحاديث رائقة وقصص لائقة، وختمه بتكميل ذكر فيه الخلفاء الأبرار والملوك والثوار في كل النواحي والأقطار، ولعل تلك الاستطرادات هي التي ضخمت الكتاب فضاعت الفائدة من المتن والشرح معا[4].

ولعل قصر الشرح وطول المتن، هو الذي حمل أبا راس على وضع شرح آخر لـــ: "عقد الجمان النفيس"، وقد سار فيه أبو راس سيرة شروحه الأخرى، التي جعلها على العقيقة*[5]، ولم يكن "عقد الجمان"، وحده الذي تعرض إلى الشرح عدة مرات بل هناك تآليف كثيرة تعرضت إلى الشرح عدة مرات[6].

1- أحمد بن قاسم البوني، **مصدر سابق**، ص28.

2- لا نعرف عنه كثير فقد ترعرع في أحضان عائلة ثرية وعلمية، وقد كان كثير النقل عن والده الذي أخذ عن بعض شيوخ المشرق ولربما يكون أصله من تلمسان. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ج. 1، ص162.

3- **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع نفسه، ص159.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 2، ص353.

*-العقيقة هي القصيدة التي ألفها المنداسي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي موجودة بالمكتبة الوطنية -الحامة- رقمها 1859، كما أنها منشورة ضمن ديوان المنداسي (ص.ص. 31-51) الذي حققه رابح بونار توزيع الشركة الوطنية.

6- فأبو راس مثلا يتميز بشروحه الكثيرة والمتعددة فالمؤلف الواحد يشرحه عدة مرات، وبتسميات مختلفة، وقد اطلعنا على أحد هذه الشروح وهي شرحه على مقامات الحريري والذي سماه: **الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية**،

وهناك من المؤرخين من شرح مؤلفه بعد تدوينه بنفسه وذلك ليبين ألفاظها ويحل غموضها فهذا ابن سحنون مثلا بعد أن نظم أرجوزته قام بشرحها إذ يقول: "...تبين من أن القصيدة في حاجة إلى شرح يبين ألفاظها، ويحل غموضها، وأن النثر أشد بيانا من النظم"[1].

وقد قام أبو راس الناصر بعمل شبيه بما قام به ابن سحنون فقد كتب قصيدة في فتح وهران ثم شرحها بطلب من الباي نفسه، وسمى القصيدة: "نفيسة الجمان في ثغر وهران"، أما شرحه لها فقد سماه: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"[2].

وعلى هذا فالمؤلفون كانوا إما يقومون بشرح مؤلفاتهم بأنفسهم أو أنهم يطلبون ذلك من طلبتهم. وهناك نوع آخر من التدوين التأليفي يكتبه الطلبة بغرض الحصول على إجازة أي أن الطالب يعيد كتابة المؤلف حتى يحصل على إجازة من مدرسة،أو يقوم بكتابة مؤلف المؤرخ حتى يتقرب منه، أو أن الطالب يريد أن يدرس عند مؤرخ ما فيقوم بنسخ كتابه حتى يتقرب إليه أكثر، ونساخ هذه المؤلفات أنفسهم يشيرون إلى ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة، فهذا سعيد بن أحمد القلعي عند انتهائه من نسخ كتاب الورثلاني: "نزهة الأنظار..."، بقوله: "انتهت الرحلة المباركة تأليف الشيخ الصالح...سيدي الحسين بن محمد بن سعيد الشرف الورثلاني...نسختها للشيخ المذكور عن مسودته مريدا التقرب إليه والتزلف لديه، والاغتراف من بحر علمه وسره ونوره...عساه أن يذوقنا من ذواقه..."[3]

وتدوين المؤلفات لم يكن يقتصر فقط على العالم المؤرخ وطلبته؛ بل أنه هناك من المؤلفين من يكلف بعض الخطاطين بنسخ كتابه أكثر من مرة، وذلك من أجل أن يهديها إلى العلماء، أو من أجل التقرب بها إلى رجال السلطة أو أن يتبادل بها مع عائلة أخرى بمؤلف آخر[4].

فوجدناه قد مهد لشرحه بمقدمة هامة عن حالة الأدب في عصره، وعن دافعه لشرح المقامات وبعد المقدمة يأتي بكلام المؤلف للمقامات ثم يتبعه بشرحه له مرتبا حسب المقامات. ومع إعطاء لمحة عنها وهي خمسة وعشرون مقامة. ينظر: محمد أبو راس الناصر، الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية، مخ. م. و. لج، رقم 1894 (عدد أوراقه 257، والأوراق من147-151 بيضاء، ينتهي الجزء الأول عند الورقة 146 ويبدأ الجزء الثاني من الورقة 151)، وقد ذكر أبو راس الناصر في كتابه: **فتح الإله** ...، أن له شرحين من هذه المقامات، وهي الكبير والأكبر

-إضافة إلى شرحه للعقيقة الذي وصل إلى سبعة شروح وبعناوين مختلفة. ينظر: محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله**...، مصدر سابق، ص181.

1- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص94.

2- محمد أبو راس الناصر، **عجائب** ...، مصدر سابق، ق. 1. ظ.

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص713.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج. 1، ص290.

ومن أشهر المسؤولين الذين شجعوا على حركة النسخ والاستنساخ الباي محمد الكبير فقد شجع الطلبة وكتابه الخصوصيين، على اختصار الكتب المطولة ونسخ بعض الكتب الأخرى له، وكان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده، فقد طلب من بعض المؤلفين أن يجمعوا له فتاوى العلماء في جوائز الملوك في كراسة، وجمع كلام شرح السلوانية[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- تاريخ الجزائر الثقافيK المرجع نفسه، ص292.

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع نفسه ، ص292

المبحث الثاني: نشر المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

1-صناعة الكتاب خلال العهد العثماني:

ارتأيت في هذا المبحث أن أبدأ بقول شو: "إن الجزائريين لا يستعملون الأوراق، وإنما لكل واحد لوحة من الخشب سهلة المسح"[1]. فمن خلال هذا القول نستشف بأن صناعة الكتاب عند الجزائريين منعدمة، وقد كنت أظن أن الورق المستخدم في الكتب التي ألفها الجزائريون خلال العهد العثماني، إما أنه ورق مجلوب من بلاد المشرق أو أن المؤرخين الجزائريين ألفوا كتبهم بالمشرق[2] على اعتبار أن أغلبهم رحل إلى المشرق، إما لطلب العلم أو الحج. ثم إن العثمانيين[3] لم يهتموا بالثقافة ولا بوسائلها، زيادة على ذلك فهذه الصناعة لا تجلب المال ومستعمليها فئة قليلة.

ومن خلال هذه القناعة بدأت البحث في مضان المصادر المكتوبة في العهد العثماني، حتى أدعم رأي وبعد اطلاعي على بعض هذه المصادر، وجدت أن فيها ما يشير إلى أنه كان بالجزائر خلال هذا العهد بعض المشتغلين في صناعة الكتب عموما؛ من وراقة وتجليد ونسخ وخط، فقد جاء في منشور الهداية أن الطالب محمد النقاوسي كان سمسارا في الكتب في قسنطينة[4]، وفي تلمسان اشتهر تجيرست بالاشتغال بالوراقة، وروى ابن حمادوش نفسه أنه كان يشتغل بالكتب تجليدا ونسخا[5]، وأنه يملك دكانا خاصا لهذا الغرض قبالة الجامع الكبير، وقد وجد في بعض نواحي الجزائر أسواق خاصة يتجمع فيها الخطاطين، وهناك

1-Show, **Voyage de Mons show. M. D dans plusieurs province de la barbarie et du la vant**, traduit jean Neauline. t. 1. la haye. 1743, P338.

2- ظهرت صناعة الورق في الصين ومنها انتقلت إلى سمرقند في بلاد ما وراء النهر، ولما فتح المسلمون هذه البلاد تعلموا تلك الصناعة ثم أدخلوا عليها تحسينات جوهرية فاستخرجوا الورق من الكتان والنباتات، ومن الخرق القطنية، ونقل المسلمون الصناعة إلى بغداد، وتمكن الفضل بن يحيى البرمكي من تأسيس أول مصنع في بغداد سنة 734هـ، ثم حل محله الكاغد الذي انتقل من الصين إلى البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ينظر: حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، ج. 3، بيروت، القاهرة، 1991م، ص332.

3- في الحقيقة أن الدولة العثمانية لم تهتم بالتدوين ولا بالحركة العلمية إلا أن هناك حقائق يجب أن لا نتغاضى عنها منها أن العثمانيين جاءوا إلى البلاد الإسلامية عامة ومجتمعاتها، قد نخر في أساسها الضعف والتدهور. ينظر: عبد الحميد سليمان، "الحياة الفكرية في الولايات العربية"، **المجلة المغربية**، ع: 58. 57، زغوان-تونس، ص46.

أضف إلى ذلك أن الدولة العثمانية في الجزائر دولة عسكرية ومقوماتها في الحكم ثلاث: حفظ الأمن، حماية الحدود، جباية الضرائب. ينظر: عميراوي احميدة، **دور حمدان** ...، مرجع سابق، ص62.

4- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص55.

5- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص 114.

سوق يدعى بسوق الوراقين*، ومن هذه الأسواق[1] برز الخط كحرفة يمارسها الجزائريون، ومن أشهر الخطاطين في ذلك الوقت حسين الجزائري[2].

وإذا كانت هذه المصادر قد أشارت إلى بعض المشتغلين بصناعة الكتب، فهي من ناحية أخرى سكتت تماما عن أسس هذه الصناعة، وعن الوصف البيبليوغرافي لهذه الكتب، فيا ترى ما هي أشكال هذه الكتب وما هي أسس صناعة الكتاب خلال العهد العثماني؟ وما هي نوعية الورق المستعمل في هذه الصناعة؟ وما نوع الحبر والخط المستعمل في كتابة هذه المخطوطات؟ هل قام الجزائريون خلال العهد العثماني بتسفير الكتب؟ إذا كان كذلك فأي تسفير استخدموا. العادي أم الفني؟

للإجابة على هذه التساؤلات رجعت إلى المخطوطات الموجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والمكتوبة خلال العهد العثماني، واعتمدت في دراستي لهذه المخطوطات على المشاهدة المباشرة وتصفحها، زيادة على استعانتي ببعض عمال المخبر بالمكتبة الوطنية، وعلى رأسهم مهندسة الدولة حلاوة عديلة والتي أفادتني كثيرا في هذه الدراسة.

وقد توزع المنهج الذي سرت عليه عقب الاطلاع على بعض المخطوطات المؤلفة في العهد العثماني على خطوتين:

1. 1- وصف ببليوغرافي لبعض مؤلفات العهد العثماني:

قمت في هذا العمل بالوصف الشكلي لكل مخطوط، مع ذكر ما يتسم به، وجعلت ترتيب الكتب حسب التسلسل التاريخي للمؤلفين.

-ابن مريم المديوني ووصف لمؤلفه "البستان في ذكر مناقب الأولياء والعلماء بتلمسان". رقمها: 1736، هذا المؤلف موجود بالمكتبة الوطنية. وعدد أوراقه (58ورقة)، نسخ هذا المخطوط من طرف أحمد

---

* ثم إنه من خلال تتبعنا لتاريخ صناعة الورق نجد أن هذه الصناعة انتقلت إلى الأندلس عام 1150م، حيث أن المسلمين قد أسسوا مصنع للورق في مدينة شاطبة بالأندلس، وكما نعلم أن الفتوحات الإسلامية كانت قد انتقلت من الجزائر إلى الأندلس، مما يعني بأن الجزائريين، قد يكونوا عرفوا هذه الصناعة قبل الأندلسيين. ينظر: **الطاهر مكي أحمد**، دراسة في مصادر الأدب، دار المعارف، ط. 3، القاهرة، 1976م، ص43.

-زيادة على ذلك فقد أشار جودت عبد الكريم في مؤلفه إلى انتشار صانعي الورق في أنحاء متفرقة من المغرب الأوسط. ينظر: يوسف جودت عبد الكريم، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري**(9-10هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص349.

1-ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر**، ج. 4، ص32.

2-محمد خليل بن علي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية**، مج. 1، ط. 3، بيروت-لبنان، 1988م، ص55.

بن شقرون بن الحسن بن أحمد بن شقرون، وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين قبل الزوال جمادى 1049هـ، عدد أسطر المخطوط تتراوح بين (28 و29 سطرا)، أما قياس الورقة فيبلغ (23. 0سم×17. 7سم).

كتب المخطوط بخط مغربي بمداد بني وأحمر وأصفر مع تكرار للتعقيبة في أعلى كل ورقة، أما ورقه فيه آثار أرضة وزخرفة على الكعب مع وجود للسان، وحالة المخطوط على العموم لا بأس بها ثم إن الخط مقروء.

والنسخة الثانية لهذا المخطوط والتي تحمل رقم: 1737 [1] كاملة غير ناقصة، وعدد أوراقها (155 ورقة)، وهذا المخطوط نسخ من طرف محمد ولد بن علي بن رسطان، وكان الفراغ من نسخة صحوة الاثنين 9ربيع الثاني 1273هـ. عدد أسطره (20سطرا)، وقياس ورقته (28. 8سم×19. 5سم). كتب المخطوط بخط مغربي بمداد أسود وأحمر وأزرق، ورقه به آثار أرضة ورطوبة تتكرر التعقيبة في أعلى كل ورقة، والمخطوط به زخارف داخل النص في بدايته ونهايته أما تسفيره فقد كان بالورق المقوى والكعب بالقماش. به آثار وأرضة. ويذكر فانيان أن تسفيره أوروبي.

-أبو العباس أحمد المقري وصف لمؤلفه "رحلة في المشرق والمغرب"[2]. رقمها: 3191. هذه الرحلة موجودة بالمكتبة الوطنية، ولا تحمل أي إشارة إلى اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ويبلغ عدد أوراق المخطوط المكتوبة (66ورقة)، وتتراوح أسطره ما بين(36-38سطرا)، أما قياس الورقة فيبلغ (21. 5سم-15. 3سم).

كتب المخطوط بالخط النسخي المغربي وبمداد أسود وأحمر، وهو غير مجلد، ومثبت بالشكل التام وتتكرر التعقيبة (الحمد لله) في أعلى الورقة، والمخطوط مبتور الأول والآخر وبه آثار أرضة ورطوبة، وآثار المياه في بعض أوراقه، كالورقة (21 و22). وتبدوا حالة المخطوط سيئة تصعب قراءته في كثير من المواضع لوجود تشطيبات كثيرة، وكتابة صغيرة ومتراصة.

ولنفس المؤرخ عثرت على أربع نسخ أخرى بالمكتبة الوطنية تحمل عنوان: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب".

1- تم تبادل هذا المخطوط مقابل كتاب لأبي راس الناصر -لم يذكر عنوان الكتاب- مع خوجة المحافظة لمدينة تلمسان بتاريخ 20 أوت 1857م، وكتب هذه العبارة بالفرنسية بخط بير بروجر على ظهر الدفى اليمنى لغلاف المخطوط.

2-عنوان هذه الرحلة مأخوذ من الفهرس المكمل للمخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، أهدته حفيدة المستشرق الفرنسي (G. DELPHIN)، أستاذ اللغة العربية بجامعة الجزائر في القرن 19م، أهدته هذه الحفيدة إلى السفارة الجزائرية بباريس، ونقل المخطوط بعد ذلك إلى المكتبة الوطنية.

النسخة الأولى رقمها: 1730، لم يذكر في هذه النسخة لا اسم الناسخ ولا تاريخ نسخها وقد ذكر فانيان أن تاريخ نسخ هذه النسخة هو (القرن 11هـ)، ويبلغ عدد أوراق المخطوط (215ورقة)، وعدد أسطر كل ورقة (27 سطرا)، أما قياس الورقة فيبلغ (27. 2سم×19. 5سم).

كتب المخطوط بالخط النسخي المغربي، بمداد أسود مع استعمال للأزرق والأحمر والبني والمخطوط مجلد تجليد فني ذو لسان مع وجود زخرفة بتذهيب على الورقة الأولى، وإطار بالأحمر حول النص، وعلى الورقة الثانية والثالثة إطار بتذهيب، وتسفير هذا المخطوط بالجلد وبه آثار أرضة، وتتكرر التعقيبة في أعلى الورقة، والمخطوط مبتور الآخر (إلى غاية الباب الخامس من القسم الأول). وحالة المخطوط لا بأس بها، كما أن خطه مقروء وجميل مع ضبطه بالشكل.

أما النسخة الثانية من المخطوط والتي رقمها: 1731، وعدد أوراقها (335ورقة)، ومسطرها مختلفة ما بين (34 و35 سطر) وقياس ورقتها (34. 6سم×22. 5سم)، فهي تختلف قليلا عن النسخة الأولى سواء من حيث التنظيم أو من حيث الحجم.

وقد كتبت هذه المخطوطة بالخط المغربي بمداد بني داكن مع وجود الأسود والبنفسجي والأزرق، مع بعض الضبط بالشكل، زيادة على وجود زخارف في بداية النص ونهايته، وناسخ المخطوطة هو الحاج عبد الله بن جسوس، وتاريخ نسخه لها أوائل جمادى الثاني 1124هـ، في حين أن المقري فرغ منها عام 1039هـ، والمخطوط يبدأ بالباب الثامن من القسم الأول، وورقة بها آثار أرضة ورطوبة وترميم، وتسفير المخطوط بالورق المقوى والكعب بالجلد به آثار أرضة وهذه المخطوطة تتكرر فيها التعقيبة.

وفي النسخة الثالثة من نفس المخطوط والتي تحمل رقم: 1732، فلا وجود لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ، ويرجع فانيان أن تاريخ نسخ "نفح الطيب..." هو القرن 11هـ[1]، وعدد أوراق هذه النسخة (234 ورقة)، وعدد أسطر الورقة الواحدة مختلف ما بين (22 و23 سطر)، أما قياس الورقة فيبلغ (31. 0سم×22. 5سم).

وكتب هذا المخطوط بالخط المغربي وبمداد أسود وأحمر، وهو مجلد تجليد فني ذو لسان مع وجود زخارف بغلاف اللسان، وفي هذا المخطوط التعقيبة تتكرر في أعلى كل صفحة وورقة به آثار أرضة ورطوبة وترميم مبتور الأول والآخر، وبه نقص بعد الورقة 191، وتسفيره بالجلد به آثار أرضة.

أما النسخة الرابعة فهي لا تختلف عن سابقتها كثيرا حتى في عدد الأوراق، وتحمل هذه النسخة رقم: 1733، وعدد أوراقها (240ورقة)، وعدد أسطرها (25 سطرا)، ولا وجود لا لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ سوى ما أورده فانيان، من أن تاريخ نسخ المخطوط هو القرن 11 هـ أيضا.

1-Edmond Fagnan, **Catalogue général des manuscrits, de la bibliothèque nationale d'Algérie**, première tranche,p 482.

أما قياس ورقة المخطوط فهي (27. 9سم×18. 6سم)، وهو مكتوب بخط مغربي وبمداد أسود وأحمر وبنفسجي، وورقة بها آثار أرضة ورطوبة وترميم مبتور الأول، مع تكرار التعقيبة في أعلى كل صفحة، أما تسفيره[1] فهو بالورق المقوى ومغلف بقماش أسود والكعب بالجلد وبه آثار أرضة ورطوبة.

-المجاجي عبد الرحمان بن محمد بن الخروب وصف لمؤلفه "الرحلة المجاجية". توجد من هذه الرحلة نسختين بالمكتبة الوطنية الأولى تحمل رقم: 1564، وتضم (11ورقة)، ولا وجود لاسم الناسخ فيها ولا تاريخ النسخ، ويذكر فانيان أنها نسخت في القرن 12هـ، عدد أسطرها مختلف ما بين (20 و24 سطرا)، وقياس ورقتها (24. 6سم×17. 9سم)، وهي مبتورة الأول أوراقها بها آثار أرضة ورطوبة وترميم، كتبت الرحلة بخط مغربي مع ضبط الشكل، ولون مداد الكتابة بني يميل إلى السواد مع استعمال للأحمر، وفي النص زخارف في نهايته وفي داخله مع وجود التعقيبة التي تتكرر في أعلى كل ورقة، أما تسفير الرحلة فهو حديث (وهو تسفير بالورق). والنسخة الثانية من الرحلة والتي تحمل رقم: 1565، فهي تقع أيضا في (11ورقة)، وبدون ذكر لاسم ناسخها، أما تاريخ نسخها فكان في 30ذي الحجة 1267هـ، وعدد أسطرها (22سطرا) وقياس ورقتها (21. 5سم×16. 7سم)كتب بخط مغربي جميل بمداد بني وأحمر مع بعض الضبط بالشكل. زيادة على وجود إطاران بالأحمر حول النص، وخطان متوازيان بالأحمر بين شطري كل بيت. مع وجود التعقيبة، ورقها بها آثار أرضة ورطوبة والرحلة مبتورة الأول أيضا.

-الورثلاني الحسين بن محمد السعيد "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار". توجد هذه النسخة في زاوية الهامل تحت رقم: 30، ولا يوجد بها أي إشارة لا لاسم الناسخ ولا لتاريخ نسخها عدد أوراقها (251ورقة)، أما عدد أسطرها فهو مختلف ما بين (11 و12 سطر)، وقياس ورقتها (25. 7سم×17. 5سم)، كتبت هذه الرحلة بخط مغربي ومداد بني يميل إلى السواد، مع وجود زخارف في البداية مع كتابة بعض العناوين بالخط المغربي المذهب، وتجليد هذه الرحلة جيد وحالة المخطوطة حسنة، وهو محفوظ في ظروف جيدة.

-ابن ميمون محمد الزواوي "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية". رقمها: 1625. عدد أوراقها (80ورقة)، لا وجود لاسم الناسخ بها، أما تاريخ نسخها فكان في أواخر جمادى 1121هـ ،وعدد أسطر الكتابة (12سطرا)،وقياس الورقة (20. 3سم×15. 1سم)، كتبت بخط مغربي بمداد أسود وأحمر وأخضر وأزرق، مع بعض الضبط بالشكل.

وجود إطاران بالأحمر وآخر بالأزرق، وورق المخطوط به آثار أرضة ورطوبة وترميم، وقد رقم فانيان المخطوط بالصفحات -بقلم الرصاص- وهناك نقص ما بين 15 و16 (من ص29-42 حسب ترقيم

1- يخبرنا فانيان بأن تسفير المخطوط رقم (1730، 1732، 1733) محلي.

فانيان)، وما بين 56 و57 (من ص121-138 من ترقيم فانيان)، وتسفير هذا المخطوط محلي حسب ما ذكره فانيان[1].

أبو راس الناصر محمد بن أحمد بن عبد القادر: "الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية"، توجد من المخطوط نسختان في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة الأولى تحت رقم: 1893، وعدد أوراقها (257ورقة)[2]،لا وجود لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ، يذكر فانيان أن هذه النسخة حديثة، وأن تاريخ نسخها هو القرن 13هـ، أما أسطر المخطوط فهو مختلف ما بين (19 و20 سطرا)، وقياس ورقته (27. 5سم×19. 1سم)، كتب المخطوط بخط مغربي بمداد أسود وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر مع بعض الضبط بالشكل، ورقة آثار أرضة ورطوبة، وهذا المخطوط به زخارف على الغلاف واللسان وداخل النص الذي أحيط بإطارين بالأحمر وآخرين بالأزرق تسفير هذا المخطوط كان بالجلد مع وجود آثار أرضة عليه وهو تسفير محلي حسب فانيان.

-النسخة الثانية من الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية. رقمها: 1894. عدد أوراقها (190ورقة)، ولا يوجد بها لا تاريخ نسخ ولا اسم للناسخ ويذكر فانيان أن هذه النسخة الحديثة أيضا ترجع إلى القرن 13هـ، وعدد أسطر المخطوط (21 سطرا) وقياس ورقتها (27. 8سم×21. 3سم) مكتوبة بخط مغربي بمداد أسود وأزرق وأحمر وأصفر وأخضر وبنفسجي، أوراقها بها آثار ورطوبة، بها تذهيب مزخرف على الغلاف واللسان وزخارف داخل النص، وإطاران بالأحمر حول النص وبالأصفر والأحمر على الورقة 1 ووجه الورقة 2،وتسفير المخطوط بالجلد وبه آثار أرضة مع وجود التعقيبة التي تكرر في أعلى الورقة وعلى العموم حالة المخطوط جيد.

-أبو راس الناصر ووصف لمؤلفه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". يوجد من هذا المخطوط نسختين بالمكتبة الوطنية الأولى تحت رقم: 1632[3]، وعدد أوراق هذه النسخة (165 ورقة)، ناسخها هو عبد الله بن الربيع بن عبد الرحمان الشريف، فرغ من نسخها يوم الاثنين 2 شعبان 1243هـ، وعدد أسطر الكتابة (22سطرا)، وقياس ورقة المخطوط (21. 8سم×15. 6سم)، كتب المخطوط بخط مغربي وبمداد أسود وأحمر وأخضر، مع وجود التعقيبة التي تكرر في أعلى كل ورقة، ووجود زخارف داخل النص وفي نهايته، وتسفيره حديث بالجلد مع وجود اللسان وورقه به آثار أرضة ورطوبة وترميم.

1- الأوراق من 147-151بيضاء حيث ينتهي الجزء الأول عند الورقة 146 ويبدأ الجزء الثاني من الورقة151.

2- ينظر: فانيان، **مصدر سابق**، ص452.

3- الظاهر أن الورقة الأولى من المخطوط كتبت حديثا وبالورقة الثانية تمزيق أتلف بعض العبارات.

النسخة الثانية من المخطوط تحمل رقم: 1633[1]، عدد أوراقها هو (164ورقة)، وناسخها هو عبد الرحمان بن أحمد بن الربيع الشريف، فرغ منها في آخر شعبان 1262هـ، عدد أسطر كتابتها مختلف ما بين (22 و23 سطرا)، وقياس الورقة (21سم×16. 4سم).

كتب المخطوط بخط مغربي وبمداد أسود وأحمر، وورق المخطوط به آثار أرضة ورطوبة وترميم مع وجود زخارف في بداية النص وداخله، ووجود التعقيبة التي تكرر في أعلى الصفحة، وتسفير المخطوط يظهر أنه حديث.

- محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجديري التلمساني ووصف لمؤلفه "الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة". رقم المخطوط: 1626.

يوجد هذا المخطوط بالمكتبة الوطنية، ولا يحمل أي إشارة لاسم الناسخ أما تاريخ الفراغ من نسخه فقد كان حضوة يوم الخميس 11جمادى الثانية 1194هـ، عدد أوراقه (16ورقة)، وأسطره (19 سطرا)، أما قياس ورقته فهو (24. 8سم×19سم).

كتب المخطوط بخط مغربي وبمداد أسود وأحمر وأزرق وأخضر وبنفسجي وأصفر مع بعض الضبط بالشكل، وهذا المخطوط كامل أما أوراقه ففيها آثار أرضة ورطوبة وترميم، وفي هذا المخطوط زخارف على الغلاف واللسان وفي بداية المخطوط ونهايته، وأحيط النص بإطارين بالأحمر وعلى ظهر الورقة1 إطار بالأصفر وآخر بالأسود، أما تسفيره فهو بالجلد وبه آثار أرضة، ويقول فانيان بأن هذا التسفير محلي.

-ابن هطال أحمد بن محمد "رحلة الباي محمد بن عثمان إلى جنوب الأغواط". يوجد من هذا المخطوط نسختان في المكتبة الوطنية الأولى تحت رقم : 1643، وعدد أوراق هذه النسخة (27ورقة)، ولا يوجد بها لا اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ غير أن فانيان. يرجع تاريخ نسخها إلى 1202 هـ أما عدد أسطر الكتابة فهي مختلفة ما بين 17 و 18 سطرا. وقياس الورقة (17.8 سم X 13.6 سم)كتب المخطوط بالخط المغربي بمداد أسود وأحمر وأزرق، وتكرر التعقيبة في أعلى كل ورقة والمخطوط كامل مع ضياع ورقتين (25 و 26)وأوراق المخطوط بها آثار ورطوبة مع وجود زخارف على الغلاف وعلى اللسان، إضافة إلى تذهيب مزخرف وزخارف داخل النص وإطارات بالأحمر . وتسفير هذا المخطوط بالورق وبالجلد.

النسخة الثانية من المخطوط رقمها: 1644، وعدد أوراقها (21ورقة)، وناسخها هو محمد بن البشير بن محمد أقراي التلمساني دارا ومنشأ فرغ من نسخها عشية يوم الخميس 22 ذي القعدة 1202هـ، عدد أسطر الكتابة مختلف ما بين (16 و19 سطر)، وقياس ورقتها (19. 8سم×14سم)، كتب المخطوط بخط مغربي

1- تنقص الورقة الأولى من المخطوط.

وبمداد أسود أوراقه عليها آثار وأرضة ورطوبة، وهي غير مرممة، وتسفير هذا المخطوط بالورق المقوى ومغلف بقماش أخضر، وحالة المخطوط على العموم جيدة.

-ابن عبد القادر أبو عبد الله مسلم وصف لمؤلفه "أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر". موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 1634[1].

تضم هذه المخطوطة (13ورقة)،ولا يوجد بها لا تاريخ النسخ ولا اسم ناسخها ويرجع فانيان تاريخ نسخها إلى القرن 13هـ. واسطر كتابة المخطوط هي (23سطرا)،أما قياس ورقته فهو (21. 2سم×15. 5سم)والمخطوط مبتور الأول والآخر.

كتب المخطوط بمداد أسود وأحمر وأصفر وأخضر، مع وجود زخارف داخل النص، وعلى ظهر الورقة 13، وتسفير المخطوط بالورق المقوى مغلف بقماش أخضر به آثار أرضة، مع وجود للتعقيبة التي تتكرر في أعلى كل ورقة.

2. 1-أسس صناعة الكتاب:

لقد أفادتني دراستي السابقة كثيرا في التعرف على أسس صناعة الكتاب - معرفة نوع الورق، الحبر، الخط، التجليد - زيادة على استعانتي ببعض المراجع.

1. 2. 1-الورق:

إذا كان الورق يشكل الخامة الأساسية في تكوين الكتب، ومعظم المخطوطات فمم يتكون هذا الورق؟ وهل يوجد ورق مقاوم وورق غير مقاوم؟ أي نوع من الورق استخدم في المخطوطات المؤلفة في العهد العثماني؟

حتى نتعرف على الورق المستخدم في مؤلفات العهد العثماني يجدر بنا أولا أن نتعرف على تركيبته. يتركب الورق من ألياف السيلوز التي تحدد دوام الورق[2]، فقد لوحظ أن الورق المصنوع يدويا من القماش (القطن أو التيل)، يعتبر أقوى أنواع الورق وأكثرها دواما، ومقاومة لعوامل الزمن بعكس الورق المصنوع آليا، والذي يدخل في تركيبه نشارة الخشب.

هذا عن الورق بصفة عامة، أما الورق المستعمل في مخطوطات العهد العثماني يبدو أنه ورق مقاوم لعوامل الزمن من جهة، ومن جهة أخرى يظهر أنه ورق مصنوع من القماش، وهذا الورق متنوع الأحجام والخشونة والملاسة - أوراق، كبيرة، صغيرة، ملساء، خشنة -فبخصوص أشكال الأوراق فالنوع الذي

1- على الورقة 1 من المخطوط كتب بالفرنسية بأن هذا المخطوط هدية إلى المكتبة من A. Rousseau بتاريخ 19 أكتوبر 1853م في تونس حيث كان يشغل منصب المترجم الأول بمصالح فرنسا بتونس.

2- محمد فريد محمود عزت، **قاموس المصطلحات الإعلامية**، دار الشروق، جدة، ص273.

عثرت عليه في هذه المخطوطات هو الذي يكون فيه ارتفاع الورقة أكثر من عرضها، وهذا النوع هو الشكل المألوف في جميع كتب العهد العثماني[1]. وهذه الأوراق لا تختلف في الشكل فقط بل حتى في الخشونة والألوان؛ فمن بين الكتب التي أوراقها خشنة كتاب: ابن زرفة "الرحلة القمرية..."فورقه خشن، وأحرش ومصفر في حين نجد نسخة من نسخ "نفح الطيب..." للمقري ملساء ناعمة صفراء[2] اللون ومصقولة، كذلك الحال بالنسبة لـــ: "عجائب الأسفار ..."، لأبي راس فهو أملس وأوراقه بيضاء، والظاهر أن الأوراق الملساء تغطى بالصمغ ثم تصقل وتلمع[3].

2. 2. 1-الحبر:

أغلب المخطوطات بل جميع المخطوطات التي اطلعت عليها يستعمل أصحابها في الكتابة الحبر الأسود لمخالفته بياض الورقة، وحتى يعطي منظرا جميلا للكتابة وعلى رأي القلقشندي

ربع الكتابة في سواد مدادها § والربع في صناعة الكتاب[4].

أما عن تراكيب الحبر فقد حاولت أن أعرفها من خلال الاستعانة بعمال المخبر في المكتبة الوطنية، والذين كانوا في هذه الأثناء يقومون بترميم المخطوطات، وإعادة استنساخ بعضها بنفس الشكل والورق والكتابة لكني لم أصل إلى نتيجة -لأن ذلك يحتاج إلى إختصاصيين في الكيمياء- وكان هدفي من ذلك هو معرفة ما إذا كان الحبر المستعمل في الكتابة خلال العهد العثماني، هو نفسه الحبر المستعمل حاليا، أم هو نفس الحبر المستعمل عند العرب قديما، ويذكر لنا محمد سعيد الشريفي طريقة لصنع الحبر عند العرب، ويقول بأن هذه الطريقة لا يزال البعض يستعملها الآن فيقول في ذلك: "...توجد تراكيب خاصة للأحبار لا يزال بعض الخطاطين يستعملونها، وأشهرها المتخذ من سواد بزر الفجل، والكتان حيث يوضع[5] دهنهما في مسارج توقد، ويجمع سوادهما ثم يخلط بالصمغ العربي والماء، ويدق لعدة ساعات". فلربما تكون هذه

1- وهذا الشكل يعرف بالفورمة الفرنسية. وهو الشكل المألوف في كل كتب العهد العثماني مع اختلاف في الأحجام ومن أمثلة ذلك: مخطوط أحمد المقري: **رحلة في المشرق والمغرب**، قياس ورقته (21. 5سم×15. 3سم)وكتاب أبو راس: **عجائب الأسفار...**، والذي توجد منه نسختين الأولى رقمها: 1633، قياس ورقتها (21. 8سم×15. 6سم)، والنسخة الثانية التي رقمها 1633، قياس ورقتها (21سم×15. 6سم)، فجميع المخطوطات مختلفة الأحجام (ارجع إلى الوصف البيليوغرافي للمخطوطات حتى تتضح الصورة).

2- بالنسبة للون الأوراق فالأوراق البيضاء لا يضاف إليها أي شيء أما الصفراء فيضاف إليها الشاي وذلك ليكسبها اللون الأصفر "وقد أخبرتني بذلك عديلة مهندسة بالمخبر". (أذنت لي)

3 لوسيان فاقر وهنري جان مارتان، **ظهور الكتاب**، ترجمة: اللواء محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، 1988م، ص46.

4- أحمد القلقشندي أبي العباس، **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية، ج. 1، القاهرة، 1922م، ص473.

5- محمد سعيد الشريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر**، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982م، ص247.

الطريقة هي نفسها الطريقة التي صنع منها الحبر الذي يكتب به في العهد العثماني. أو أنهم كانوا يستعملون حبرا آخر مصنوعا بطريقة أخرى. وعلى العموم سواء استعمل العثمانيون الحبر الذي كان يستخدمه العرب قديما أو أنهم استعملوا المصنوع بالطرق الحديثة، فالحبر المصنوع في المؤلفات المدونة في العهد العثماني لا ينحل حتى ولو أفرغ عليه الماء.

لم يكتف مؤرخي العهد العثماني في كتابة مؤلفاتهم على الحبر الأسود أو البني، وإنما كان البعض منهم يستعمل الألوان في كتابته[1]، حتى تعطي منظرا جميلا ومنظما ،ومن بين هذه الألوان: البنفسجي،الأصفر،الأحمر،الأخضر،الأزرق،وهذه الألوان عادة ما تستعمل في العناوين ،أو وضع النقاط بين الجمل كما هو الحال في رحلة ابن زرفة.

3. 2. 1-الخـــــــط:

يحتاج الخط -كأي فن- إلى مواهب واستعدادات وتمارين شاقة للحصول على نتائج جيدة في إتقانه فهل كان الجزائريون خلال العهد العثماني يتقنون خطوطهم؟ وهل هناك من اتخذ الخط كحرفة؟ وأي أنواع الخطوط استعملوا في كتاباتهم؟

ورد في بعض المصادر المؤلفة في العهد العثماني إشارات إلى أنه كان بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الخط، ومن هؤلاء عبد الله بن العطار، الذي عرف بجودة الخط وربما اشتهر به على ابن مقلة، ومن الذين اشتهروا بحرفة النسخ أيضا إبراهيم الحركاتي الذي كان مدرسا بالمهنة، وممن شهد له بذلك الفكون حيث قال: "... وممن تعاطى التدريس أبو إسحاق إبراهيم الحركاتي ببلد ميلة، وكان نساخا ذا خط وإتقان فيه...".

وذكر الورثلاني أن أحمد التليلي كان بديع الخط سريع اليد، وأنه كان ينسخ كراسا من القالب الكبير أثناء السفر، أما يوم الإقامة فكان ينسخ أكثر من ذلك. وأخبر عنه أنه كتب في برقة "رحلة الدرعي" وكتاب "الصباغ عن المليانى".

أما الخط الذي تأثر به كتاب مدينة الجزائر فهو الخط الأندلسي -وذلك لانحدار كثير من أهلها من أصل أندلسي-والذي قال عنه ابن خلدون: "...وغلبته على خطوط إفريقيا"[2].

فهذا يعني أن النسخ كان بالخط الأندلسي، زيادة على ذلك فقد تأثر الجزائريون بالخط العثماني الذي جاء مع أهل العلم الذين حلوا بالجزائر، كما جاء مع الخطاطين المختصين أيضا، كحسن بن عبد الله

1- هناك مخطوطات استعمل في كتابتها جميع الألوان كـــ: **الحلل الحريرية...**، **لأبي** راس الناصر فقد استعمل فيها جميع الألوان: المذهب، الأحمر، الأزرق، البنفسجي، الأصفر، الأخضر، زيادة على الأسود. وقد ذكرت ذلك سابقا في الوصف البيبليوغرافي لهذه المؤلفات.

2- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة **مصدر سابق**، ص. 321

الجزائري[1] الذي كان له الفضل الكبير في إدخال الخط العثماني[2] إلى الجزائر، فالجزائريين عرفوا إلى جانب الخط المغربي الخط العثماني[3]، وإن كان الخط المغربي في حد ذاته يختلف من مخطوط إلى آخر، فبعض هذه المؤلفات كتب بخط جميل ومنظم ومنسق، وبعضها عادي[4].

أما المادة اللماعة التي توضع فوق الكتابة وخاصة في بداية الكتاب أو في العناوين الرئيسية، فهي تزيد الكتابة رونقا وجمالا. أما محتويات هذه المادة لا نعرف عنها شيئا، وحتى عمال المخبر لا يعرفون محتوياتها.

4. 2. 1-التسفير:

ينقسم التسفير[5] إلى نوعين، التسفير العادي والتسفير الفني

أ-التسفير العادي وينقسم بدوره إلى نوعين تسفير بالكاغد حيث يقوم المجلد بضم عدة أوراق من الكاغد إلى بعضها البعض عن طريق النشاء أو الغراء ثم يغلف هذا الكاغد بغلاف[6] من ورق ملون أو ذو لون واحد، وقاعدته تكون من القماش ثم توضع فيه الأوراق ليصبح كراس. أما التسفير بالقماش فيتبع فيه

1- أسهم حسين في إدخال الخط العثماني إلى الجزائر، وكان اسمه الأصلي دولار، وهو رومي الأصل واشتهر بحسن الخطوط وإتقانها كان في الأصل رفيقا للدرويش على الكاتب القسطنطيني، وأخذ الخط بأنواعه عن سيده المذكور وأتقن الكتابة ثم فر هربا من القسطنطنية سنة 1125هـ من عند سيده إلى جزائر الغرب، فسمى نفسه حسين، ثم قدم القاهرة وأقام بها إلى أن مات. وما يهمنا من حياة هذه الشخصية هو مدى إسهامه في تعليم الخط العثماني للجزائريين، وقد بين لنا المرادي ذلك قائلا: "إن حسينا الجزائري أشتهرت خطوطه بين كثير من الناس وأخذ عنه الخط أناس كثيرون، وفاق أقرانه وشاع صيته ... وكان شهما خليلا له تصرف هام ومهارة في صناعة التوريق". ورغم أن المرادي لا يذكر المدينة التي حل بها حسين ولا حتى التلاميذ الذين تخرجوا على يديه ولا المدة التي قضاها بالجزائر، إلا أن أغلب الظن يكون قد أقام بمدينة الجزائر أو إحدى المدن الساحلية.

فحسين الجزائري اشتهر بخطه زيادة على إتقانه لصناعة التوريق. ينظر: محمد خليل بن علي المرادي، **مصدر سابق**، مج. 1، ص56

2- عرفنا أن حسين الجزائري كان له الفضل الكبير في نقل الخط العثماني، وتعليمه أبناء الجزائر لكننا لا نعرف أي أنواع الخطوط علمهم فهل يمكن أن يكون علمهم خط الفيرمة الذي يكتب به لتوفير السرية بسجلات الدولة المدونة أم علمهم خطوط أخرى؟. ينظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، **دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر**، مكتبة الخانجي، 1989م، ص84.

3- تضم مختلف مكتبات تركيا عدد من المؤلفات الخاصة بالجزائريين، والمدونة خلال العهد العثماني، لكن هذه المؤلفات منسوخة بالخط المشرقي فهل يمكن أن يكون الجزائريون دونوها، ونسخها عنهم المشارقة؟ وبماذا نفسر وجود العديد من المخطوطات بالخط المشرقي في اسطنبول هل هذا يعني أن العثمانيين تأثروا بالثقافة الجزائرية فنسخوا بعض الكتب؟

4- للتعرف على بعض نماذج هذه الخطوط. أنظر: ملحق.

5- التسفير: المقصود بالتسفير التجليد أي تغليف الكتب.

6- أبو العباس أحمد السفياني، **رسائل نادرة**، ص7.

نفس الطريقة السابقة مع أن الغلاف الخارجي يكون من القماش، وأغلب مخطوطات العهد العثماني مجلدة تجليدا عاديا.

ب- التسفير الفني: وهو قليل مقارنة بالتسفير العادي، في هذا التسفير أيضا يتبع فيه نفس الطريقة السابقة، وبدلا من أن يغلف الكاغد بالورق أو القماش يغلف بالجلد الناعم اللين، وأظن أنهم استخدموا أرقى أنواع الجلود بالإضافة إلى وجود زخرفة في الوسط تشبه الزخرفة الموجودة في الغلاف الخارجي للمصحف، وعادة ما يكون لون هذا الجلد بني أو بنفسجي أو أحمر يميل إلى السواد، زيادة على وجود لسان في أغلبها[1] وقد اهتم بعض مؤرخي العهد العثماني، بهذه الصناعة فهذا ابن حمادوش يخبرنا بنفسه بأنه كان يسفر كتبه فيقول: "...ابتدأت أسفر كتبي..."[2].

ونختم هذا الفصل بالقول إن الجزائريين لم يعرفوا الطباعة، وإنما كانوا يدونون مؤلفاتهم بأيديهم. ثم ينشرونها فيما بينهم، عن طريق الإعارة أو الإهداء أو الشراء...الخ، إلا أننا نتساءل عن المنهج الذي كان يدون به هؤلاء المؤرخون وعن طريق مصدرهم.

2-نشر الكتاب وسعره خلال العهد العثماني

2-1--نشر الكتاب:

عندما نسمع بكلمة نشر أول شيء يتبادر إلى ذهننا هو وجود دار لنشر الكتب أي: وجود طباعة وتسويق. فهل هذا يعني أن الجزائريين خلال العهد العثماني كانوا يعرفون الطباعة؟ وهل كانوا ينشرون كتبهم عن طريق دور النشر؟ أم هناك طريقة أخرى لتسويق كتبهم؟ قبل أن نجيب على هذه التساؤلات يتوجب علينا أولا التعريف بالمصطلحات الآتية: الطباعة؟ النشر؟ النسخ؟

- ما المقصود بالطباعة؟

الطباعة هي حرفة نقل النسخ المتعددة من الكتابة، أو الصور بالآلات، والمطبعة هي مجموع الآلات المستعملة في الطباعة[3].

-ما المقصود بالنشر ؟

1- من بين الكتب المجلدة تجليدا عاديا: كتاب **البستان**...لابن مريم -رقم: 1136- يحتوي على أربعة ورقات من الكاغد مغلفة بورق ملون ثم قطعة قماش في كعب الكتاب لونها بني ذو حجم كبير.

والنسخة الثانية من نفس المخطوط والتي رقمها: 1137، مكسوة بجلد بني رمم بالكاغد، وله لسان وهو مخطوط قديم جدا، أما كتاب **نفح الطيب**...-1730-فهو مكسو بجلد بني رطب لين من نوع جيد فيه زخرفة في الوسط وذو لسان وحجمه كبير

2- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص114.

3- صبري إبراهيم السيد، **المصطلح العربي**، دار المعرفة الجامعية، ج. 2، 1996م، ص338.

النشر خلاف الطي وإذاعة الخبر بنشره[1]، ويعني بالمصطلح عموما نشر شيء ما على الجمهور، أو أية مجموعة أوراق صادرة على مطبعة تعد مطبوعا الجرائد، والكتب...الخ.

فهي عملية إعداد عمل أدبي أو صحفي، وتيسيره لأفراد الجمهور عن طريق بيع نسخ منه[2].

-ما المقصود بالنسخ؟

نسخ الشيء ينسخه وانتسخه واستنسخه، والنسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفا بحرف، والأصل نسخة والكاتب ناسخ ومنتسخ، والاستنساخ كتب كتاب[3].

من خلال بحثي عن تعريف للمصطلحات السابقة الذكر-طباعة،نشر،نسخ-فانني لم أجد تعريف لكل الطباعة والنشر في القواميس القديمة في حين أنني وجدت تعريف للنسخ في لسان العرب لابن منظور مما يعني بأن الطباعة والنشر لم تكن معروفة قديما ،وهي مصطلحات حديثة.

لماذا نذهب بعيدا فحروف الطباعة اخترعت في الصين، وتقدمت صناعة الحروف المنفصلة في كوريا قبل أوروبا في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي، ثم انتشرت في أوروبا في القرن الخامس عشر ميلادي، و لم تعرف تركيا الطباعة إلا في عام 1728م، ومع هذا فقد حرم شيخ الإسلام استعمال الطباعة في القرآن الكريم، فكانت بذلك الطباعة مقتصرة على العلوم الأخرى دون العلوم الدينية، ثم إن «الأتراك» لم يعملوا على نشر هذه الصناعة في البلدان التي كانت تابعة لهم، بدليل أن أغلب الدول العربية التي عرفت هذه الصناعة عرفتها عن طريق الاستعمار (أي بعد انتهاء الحكم العثماني)، فمصر مثلا لم تعرف الطباعة إلا في عام 1798م مع الحملة الفرنسية، كذلك الحال بالنسبة لليمن والحجاز والكويت والأردن[4]...و لم يختلف الحال بالنسبة للجزائريين. فقد أدخل الفرنسيين الطباعة إلى الجزائر قبل دخولهم بأيام قليلة، وذلك لأهميتها بالنسبة لهم في الدعاية وهي المرة الأولى التي تعرف فيها الجزائر دخول مثل هذه الصناعة إليها، ليعرف بذلك الجزائريون الكتابة المطبوعة، وذلك من خلال الجرائد والمناشير التي تنشرها فرنسا[5].

هذا عن الطباعة مما يعني أن الجزائريين لم يعرفوا هذه الصناعة خلال العهد العثماني؛ أما عملية نشر الكتب فببساطة كانت تتم عن طريق النسخ، وغالبا ما تكون النسخة الأولى للمؤلف -وقد عرفنا بذلك

1- مجد الدين محمد الفيروز بادي الشيرازي، **القاموس المحيط**، صححه: مرتضى، المطبعة الميرية ببولاق المعزية، ج. 2، ط. 3، 1301، ص140.

2- محمد فريد محمود عزت، **مرجع سابق**، ص271.

3- محمد بن منظور، **لسان العرب**، إشراف: عبد العالي مهنا، دار الكتب العلمية، ج. 2، ط. 1، بيروت، 1993م، ص612.

4- محمد فريد محمود عزت، **مرجع سابق**، ص265.

5 -عميراوي احميدة، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2001م، ص-ص. 139-146.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2. 2-سعر الكتاب:

يعتبر السعر المظهر العملي الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي القائم على السوق أو التبادل النقدي. وهناك عدة اعتبارات تدخل في قياس هذه القيمة، فقد تقاس وفقا لفائدة الشيء وأهميته، أو وفقا لحجم المبذول من أجل إنتاجه.

يفيدنا الدمشقي أبو الفضل في معرفة القيمة المتوسطة للسعر فيقول: "...يبدوا أن السبيل إلى ذلك أن تسأل الخبيرين عن سعر ذلك في بلدهم على ما جرت به العادة في أكثر الأوقات المستمرة، والزيادة المتعارفة فيه والنقص المتعارف والزيادة النادرة، والنقص النادر وتقس ذلك ببعض "[1]، ويضيف ابن خلدون عاملا آخر لمعرفة السعر فيقول: "أن المصر كثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته"[2]، وذلك راجع لكثرة الناس وكثرة طلباتهم.

ومن المتعارف عليه أيضا أنه كلما كان العرض أكثر انخفض السعر وبالتالي يزيد الإقبال على تلك السلعة، أما إذا كان الطلب أكثر من العرض ارتفع السعر وبالتالي ينقص الإقبال

بعد أن تعرفنا على بعض المقاييس لتحديد أسعار الأشياء، فأي هاته المقاييس نستعمل لتحديد سعر الكتب؟ وهل كانت أسعار الكتب خلال العهد العثماني مرتفعة؟ أم أنها كانت أسعار منخفضة؟.

من الصعب أحيانا الإجابة على مثل هذه الأسئلة ذلك لأن تحديد سعر الكتاب أمر صعب من جهة. ومن جهة أخرى فالمصادر التي كتبت في الجزائر خلال العهد العثماني سكتت عن ذلك، إلا بعض الإشارات التي أشار إليها بعض المؤلفين مثل: ابن حمادوش الذي ذكر في مؤلفه أنه أشترى بعض الكتب حيث يقول في ذلك: "... ويوم الخميس اشتريت مقامات الحريري بخمسة أوراق موزونات..."[3]، وقوله: "... اشتريت شمائل الترميذي وشروحها لابن مخلص، واشتريت مفيد الأحكام لابن هشام ..."[4].

ومن الذين كانوا يهتمون بشراء الكتب الباي محمد الكبير (بل نشطت في عهده عملية الشراء). فقد روى عنه ابن سحنون بقوله: "أما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء الأخيار فقد شاع ما يغني الأخبار، وكم من تأليف نشأ بأمره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة سالفا بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك فجمع له من ذلك رسالة أثابه عليها سبعين دينارا، وجمع له بين كلام شارح السلوانية في البازي وصاحب التذكرة في أقل من كراسة فأثابني بمائة سلطاني..."[5].

1- جودت عبد الكريم يوسف، **مرجع سابق**، ص28.

2- عبد الرحمان بن خلدون، **مصدر سابق**، ج. 1، ص401.

3- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص70.

4- عبد الرزاق بن حمادوش، **المصدر نفسه**، ص71.

5- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص146.

فبالرغم من أن هذه الأسعار هي أسعار لكتب ليست تاريخية إنما أوردها لنعرف قيمة بعض الكتب، والكتاب الوحيد الذي ورد فيه سعره هو: "التحفة المرضية..."،فقد كتب على ظهر أول صفحة من مخطوط المكتبة الوطنية ما يلي: "هذا الكتاب اشتراه خليل بست ريالات دراهم صغار"[1]، وهي مجهولة الناسخ.

ولأنني لا أستطيع أن أحدد سعر الكتاب من خلال هذه المعطيات القليلة فسأقيس قيمة هذه الكتب وفقا لتكلفة الكتاب، والجهد المبذول من أجل إنتاجه -الفكري والعضلي- من جهة ومن جهة أخرى معرفة الإقبال عليه.

عرفنا في المبحث السابق أسس صناعة الكتاب، وكم كانت هذه الصناعة متعبة -جهد عضلي-، ومكلفة-مادة أولية- (تضييع) الورق، ثم صقله ثم تجميع الأوراق وضمها إلى بعضها البعض بعدها تجليد الكتاب الذي يكون إما من الكاغد أو من الجلد، ثم تأتي في الأخير عملية التأليف)، فمن خلال الجهد المبذول في صناعة الكتاب وبعدها تأليفه، وفي تأليفه يرجع المؤلف إلى مصادر وكتب أخرى، فكل هذا يجعلنا نحكم على أن سعر هذه الكتب من دون تأليف يكون مرتفع لتكاليفها ولصعوبة صناعتها التي تحتاج إلى جهد عضلي ووقت، وزيادة على سعر التكلفة يقاس سعر الكتاب بقيمة المؤلف، فإذا كان الكتاب ذا قيمة علمية وأدبية أو تاريخية، فإن سعره يكون مرتفع حتى ولو كانت صفحات الكتاب قليلة، أما إذا كان المؤلف ليست لديه أي قيمة علمية أو أدبية أو إخبارية، فإن سعره يكون منخفض ولو كان يضم ألف ورقة ثم إن سعر الكتاب يؤخذ فيه بعين الاعتبار جودته، فورقات الكتاب الملساء والخشنة والكتاب المكسو بالجلد يكون سعره مرتفع على الكتاب الذي ورقاته رفيعة ومكسوة بالكاغد، هذا من جهة ومن جهة أخرى نأخذ بعين الاعتبار عملية الإقبال على هذه الكتب، فكلما كثرت الكتب قلت أسعارها، والدليل على ذلك عهد الباي محمد الكبير -الذي شجع العلم وأغدق على المؤلفين بالأموال الكثيرة- الذي شهد انخفاض هائل في أسعار الكتب التي أصبحت في متناول الجميع، أما الفترات السابقة فقد كان التأليف قليل مقارنة بهذه الفترة، وكانت أسعار الكتب مرتفعة، وهي بذلك مقتصرة على فئة من المجتمع كالعلماء وبعض العائلات الثرية ورجال السلطة...

وهكذا فالكتب المؤلفة في العهد العثماني لم تكن موحدة في جميع الفترات، ففي بعض الفترات تكون أسعارها مرتفعة، وفي فترات أخرى تكون منخفضة، ثم إن سعر الكتاب يعود لتكلفته وقيمته مثلا لدينا: "الثغر الجماني..."

1- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ق. 1.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فكتاب ابن سحنون "التحفة المرضية..." لدينا منه نسختين لأولى مكسوة بالجلد ومكتوبة على **أوراق مصقولة وخشنة في حين أن النسخة الثانية مكتوبة على أوراق رفيعة وغير** مصقولة والكتاب مكسو بالكاغد.

فهذا يعني أن النسخة الأولى سعرها أغلى من النسخة الثانية، وذلك راجع إلى تكاليف المواد الأولية الغالية والمستعملة في إنتاج هذا الكتاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

التأليف وأهمية المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

المبحث الأول: منهج التأليف التاريخي خلال العهد العثماني

1. مصدر المعلومات للمؤلفات التاريخية
2. منهج وأسلوب التأليف التاريخي

المبحث الثاني: أهمية المؤلفات التاريخية في البحث في العصر الحديث

1. باحثون اعتمدوا على مؤلفات العهد العثماني
2. أماكن وجودها (حفظها)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: منهج التأليف التاريخي خلال العهد العثماني

1 – مصدر المعلومات في المؤلفات التاريخية خلال العهد العثماني

من الطبيعي أن يجري التساؤل عن مصدر معلومات المؤلفات التي ألفها المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، ومحاولة معرفة ما إذا كان هؤلاء المؤرخون قد لجئوا إلى الاقتباس؟ أم أنهم كانوا يعتمدون في نقولاتهم على الروايات الشفوية؟

فإذا كانت الأمانة مبدأ شرعيا أقره الشارع الحكيم حيث قال في كتابه العزيز : "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[1]، وقد رسخ هذا المبدأ في رسوله الكريم–صلى الله عليه وسلم– حتى سمي الأمين؛ فإنها في مجال البحث تعتبر أهم قاعدة منهجية يعبر بها الباحث عن توفر صفة الأمانة فيه، أي: "التوثيق"، ويقصد به ربط كل الأفكار والقضايا والمسائل الواردة بها بالمصادر والمراجع التي أخذت منها، وتدعمها بالاقتباسات والشواهد المأخوذة من تلك المصادر والمراجع[2]، وذلك يعني أن المؤلف إذا أصاب في قوله فتلك هي الحقيقة، وإذا أخطأ فلا يتحمل وزر خطئه، وفي كلتا الحالتين فانه يجعل قراءه يطمئنون إلى قوله. ويفتح في الوقت نفسه للباحثين باب مواصلة البحث في كتب.

وهذا يجرنا إلى طرح سؤال آخر عن الكتب المؤلفة في العهد العثماني، فيا ترى هل كان عمل المؤرخين قائما على مبدأ التوثيق؟ أم أنهم اكتفوا بذكر المعلومات دون الإشارة إلى المصادر التي أخذوا منها؟.

إن أساليب المؤرخين في ذكرهم للمصادر التي أخذوا منها تختلف من مؤرخ إلى آخر، فمنهم من يشير إلى الكتب التي أخذ منها في مقدمة مؤلفه ومنهم من يذكرها في وسطه، ومنهم من يذكرها في آخره، ومنهم من لا يذكرها أصلا، وسنحاول في هذا الموضع معرفة مصدر المعلومات في مؤلفات العهد العثماني –التاريخية– وقد قمنا بمحاولة معرفة مصدر المعلومات في كتب الرحلات، ومصدر المعلومات في الكتب التاريخية والمذكرات على حدى[3].

1– سورة "الأحزاب"، الآية: 72.

2–أحمد زقزوق، **موسوعة المفاهيم الإسلامية**، القاهرة، 2000م، (الإصدار الأول)، ص172.

3– اكتفينا بتقسيم المؤلفات هنا إلى كتب رحلات وكتب تاريخية ومذكرات–كتب سير، تراجم، تاريخ محلي، تاريخ عالمي، التاريخ لأحداث وهران...الخ– يتطلب منا عناوين كثيرة وكتابة، ووقت أكثر ونحن ملزومين. لذلك حاولنا التقليل بقدر المستطاع، وكان همنا هو إعطاء نموذج عن هذه المؤلفات بصفة عامة وتقريب الفكرة.

أ. أ- مصدر المعلومات في الكتب التاريخية:

لجأ بعض مؤلفي العهد العثماني إلى الاقتباس لأغراض مختلفة منها تحري الحقيقة والبحث عنها ومحاولة إثباتها، فالمؤلف لا يكتفي بما شاهده أو روي له فيبحث عما يستكمل به وصفه أو رؤيته، ويجد ذلك في الاقتباس من كتب ومصادر أخرى، وقد عمل هؤلاء المؤرخون بقاعدة التوثيق، وكانوا يذكرون مصادر مؤلفاتهم مثلما فعل ابن مريم في خاتمة كتابه: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " بقوله: "... وقد انتخبته من نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ أحمد بابا السوداني، ومن بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد، ومن روضة النسرين من مناقب الأربعة المتأخرين، ومن النجم الثاقب، ومن الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء والصالحين والقادة[1]، ومن كتب عديدة"[2].

أما عبد الكريم الفكون فقد اعتمد في ترجمته لشخصيات كتابه: "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية" على الروايات الشفوية، أو اللقاءات التي كانت تتم معهم، نستشف ذلك من خلال كتابه المذكور كقوله: "...سمعت شيخنا التواتي أن فقهاء من عاصروه ينكرون ما ينسب إليه ... "[3]، ويقصد هنا إنكار الولاية إلى جد قاسم بن أم هانئ، وقوله: "...ولقد حكي عن هذا الرجل المدعي ..."، "...عبد الكافي ومحمد ساسي ...وكثر اهتمامي به ... وخفت على المسلمين الهلاك ببدعته..."، وقال عن آخر: "... ومن أشنع ما حكي عنهم ... ولقد حكي لي ... ومنهم ... محمد البلدي ... "، فالملاحظ لكتاب "منشور الهداية... "، يجد أن عبد الكريم الفكون في ترجمته لهؤلاء الشيوخ كان يعتمد -كما قلنا- على السماع أو ما يروى له إذ كثيرا ما نسمع في كتابه لفظة: "حكي لي أو سمعت أو يروى أن ..."زيادة على معايشته للأحداث وتسجيله لكل ما يلاحظه، كما أنه اعتمد في شرحه لبعض المسائل والأمور المبهمة؛ على كتب ومصادر أخرى نذكر منها على سبيل المثال: الرسائل الكبرى لابن عياد، واطلاعه على أقوال السهروردي، بالإضافة إلى أنه نقل على الشيخ أحمد الزروق، زيادة إلى اعتماده على الاستشهاد ببعض السور، ونقله

1- أبو عبد الله محمد بن مريم، **مصدر سابق**، ص314.

2- ومن بين الكتب التي اعتمد عليها المؤلف و لم يذكرها في القائمة وإنما ذكرها في متن الكتاب هي: الإحاطة في أخبار غرناطة للسيد لسان الدين بن الخطيب، وكتاب العبر للعلامة ابن خلدون، والوفيات للفاضل بن الخطيب القسنطيني، والمعيار المعرب، والجامع المغرب في علماء إفريقيا والأندلس والمغرب للعلامة السيد أحمد الونشريسي، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب للسيد ابن فرحون. فمثلا في الصفحة 115 اعتمد في ترجمته لسيدي شعيب أحمد على الدرر بقوله: "قال في الدرر الكامنة رأيت..."، كما أنه نقل أيضا من كتاب **نفح الطيب**...وذلك موجود في الصفحة 114. من كتاب البستان...، ونقل عن المدونة، وذلك موجود في الصفحة 117، وغيرها من الكتاب.

3- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص118.

أيضا على كتاب (الرد على المبتدعة)[1] ... وعلى إبراهيم أدهم[2] ... وغيرها من المصادر التي ذكرها في متن كتابه خلال ترجمته.

ويعتبر أحمد بن قاسم من المؤرخين الذين ذكروا مصادر مؤلفاتهم في متن كتبهم، وقد صنف كتابه: "التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف" معتمدا على المؤرخ علي فضلون صاحب "الكلل والحلل"، مجادلا بذلك العبدري، الذي قدم صورة سلبية للمدينة -بونة- في كتابه الرحلة المغربية، كما أنه نقل أيضا على القرافي والأستاذ ابن الوردي والإمام النووي، وصاحب القاموس، والإمام عياض في كتابه المدارك كما أنه اعتمد على شيوخه أيضا من ذلك قوله: "... ذكر ... شيخنا ... سيدي محمد بن محمد[3] ..."وقوله في رده على العبدري: "وقد سمعت شيخنا ... سيد بركات بن باديس[4] وسيدي يحي الشاوي، يقول في درسه: أن ..."، فهذا لخير دليل على أن أحمد القاسم قد اعتمد على مصادر وكتب متنوعة زيادة على ما درسه من شيوخه في الرد على العبدري.

واعتمد محمد بن ميمون في كتابه: "التحفة المرضية..." على مجموعة من القصائد في مدح الداي محمد بكداش، وقد كان يذكر أصحابها في متن مؤلفه، ومن أمثلة ذلك قوله: "وهنأه أبو عبد الله محمد الملقب (بابن يوسف الجزائري)..."، ويورد القصيدة وهي تحتوي على أربعين بيتا ويقول أيضا: "... وهنأه عبد الله محمد المستغانمي ... بقصيدة سماها بـــ: الكواكب النائرة في مدح أمير الجزائر..."، وتحتوي على 28 بيتا ويقول أيضا: "... وممن مدح المولى ورفع على علم شعره عبد الرحمان الجامعي الفاسي ... من ذلك قوله ..." وقال أبو عبد الله محمد حفيد المهدي الجزائري، وقد نظمها سنة1116 هـــ (1704-1705م)"[5] إلى غير ذلك مما يدل على علمية المؤرخ وأمانته، فابن ميمون يصرح في كتابه بوجوب الصدق والأمانة فيما ينقل المؤلف ويذكر لنا الشروط التي يجب أن تتوفر فيه فيقول: "يجب أن يكون صادق الخبر وصحيحه من ألفاظ لغوية وأنواع بديعية وأخبار مستلمحة وكتابة مستملحة "[6]، كما أنه اعتمد في مصدره أيضا على اقتباسات

1- عبد الكريم بن الفكون **المصدر نفسه**، ص، ص. 125، 163، 172، 173.

2- إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي المتوفي سنة 161هـ، وهو من مشاهير الزهاد. كان أبوه غنيا، لكنه لم يبال بالمال. ينظر: خير الدين الزركلي، **مرجع سابق**، ج. 1، ص24.

3- أحمد بن قاسم البوني، التعريف ببونة إفريقيا، **مصدر سابق**، ص، ص. 39، 50.

4- ولد سيد بركات بن باديس بالجزائر وتوفي في طريقه إلى الحج سنة (1685م)، يعتبر من العلماء الأجلاء في ذلك العصر. ينظر: محمد أبو القاسم الحفناوي، **مصدر سابق**، ج. 1، ص90.

5- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص، ص. 177، 180، 184، 187، 285.

6- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **المصدر نفسه**، ص145.

من الذكر الحكيم والحديث الشريف كقوله: "... أبو النصر محمد بكداش ...التف ملكه التفاف الساق بالساق..."[1]،...وهكذا فقد كان المؤلف أمينا فيما ينقله وذلك بإرجاع نقوله إلى أصحابها.

واعتمد أبو راس الناصر في كتابة تأليفه: "فتح الإله ومنته ... "[2] على الروايات الشفوية والنقول من مختلف الكتب، فمن ضمن الكتب التي نقل عنها كتاب صاحب القاموس، وابن مرزوق، وابن خلدون، وابن جرير، و"نفح الطيب..." للمقري وغيرها من الكتب التي ذكرها في متن مؤلفه كقوله: "... سألني عن حد المغرب فقلت قال ابن خلدون: جده ..... " وقال: "... قال ابن جريري الطيري ..."، وفي وصفه لقسنطينة ذكر بعض علمائها فقال: "ولما دخلت قسنطينة ... من علمائها ... عبد الكريم الفكون ... والذي في نفح الطيب عالم قسنطينة..."، فقد نقل أبو راس من كتب كثيرة ومتنوعة -كتب دينية وتاريخية- كما أنه اعتمد على الروايات الشفوية في بعض المسائل. أو المشاهدة العينية، فعندما طلب منه أحدهم ذكر حكم الله في الأكل بالملعقة رد عليه قائلا: "... ذكر لي يعني الثقات أنه لا بأس بالأكل بها ..."، وأما حديثه عن تلمسان فهو يروي ما سمع عنها في السابق وما شاهده هو حيث يقول: "وأتى سلفهم لتلمسان ... وكنت سمعت أن بها من أضرحة العلماء آلاف ...و هاأنا أذكر نبذة في مدحها ... وأما الآن فهي كأمس الدابر والميت القابر..."[3].

1- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **المصدر نفسه**، ص172.

2-من خلال اطلاعي على مؤلفات العهد العثماني وذكرهم للمصادر التي استقوا منها الأخبار، أخذني الفضول لكي أتحقق ما إذا كان ما ذكروه عن نقولاتهم من تلك المصادر صحيح أم لا؛ وقد رجعت إلى بعض المصادر. فأبو راس الناصر مثلا: ذكر مجموعة من المصادر في مؤلفه ووجدت أنه اعتمد عليها فعلا، فالمعلومة التي أوردها بخصوص حديثه عن ابن خلدون موجودة فعلا في مقدمة ابن خلدون الجزء الأول، صفحة 46. وما أورده من أخبار عن الفكون ومراسلته مع المقري ومن أنه أخذ ذلك من **نفح الطيب**...صحيح أيضا، وقد تحققت من ذلك، وهذه المعلومة موجودة في "نفح الطيب..." الجزء الثاني في الصفحة 482 و483، كذلك الحال بالنسبة لما أورده عن جرير الطبري.

إلا أنني لم استطع أن أتحقق من جميع المصادر التي أوردها في مؤلفه هذا من جانب ومن جانب آخر، فما أوردته سابقا كفيل بأن يجعلنا نحكم بأن أبا راس قد نقل من المؤلفات التي ذكرها فعلا فلو لم ينقل لوجدت فيما تحريت عنه بعض الزيادة أو النقصان، ولا يختلف الحال بالنسبة للمقري أحمد أبو العباس فقد تحدث في كتابه عن حادثة وقعت لابن خلدون مع تيمورلنك وذلك في كتابه: **نفح الطيب**... في الجزء الثاني الصفحة 523، وقال بأنه نقلها من كتاب ابن خلدون وبالفعل لما رجعت إلى كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، روى ابن خلدون القصة كما رواها المقري وذلك في الصفحة 366، فصدق نقله لهذه الرواية وإرجاعها إلى أصحابها يدل على أن المقري كان صادقا في كل ما كتبه وكان ملتزما بالأمانة العلمية وبإرجاعه المصادر إلى أصحابها.

3- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**، مصدر سابق، ص، ص. 107، 98، 104، 109.

فكثيرا ما كنا نلاحظ في كتابة مؤلفه تكرار لفظة "سمعت، أو شاهدت أو نقلت"، وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على صدق المؤلف وأمانته بالإضافة إلى اعتماده على المشاهدة المباشرة لبعض الأحداث كأخبار تلمسان مثلا.

وهناك من المؤرخين من نقل واقتبس من مصادر عدة، ولم يذكرها في مؤلفه ومن الأمثلة على ذلك صالح بن محمد العنتري[1]، الذي لم يذكر المصادر التي اعتمدها إطلاقا وهنا نتساءل من حيث له كل تلك الأخبار، وذلك الحشد من المعلومات التي أوردها؟

فإذا كانت حوادث الحاج أحمد باي والفرنسيين معاصرة له وعاشها بنفسه، فإن أحداث القرن السابع عشر والثامن عشر بعيدة عنه، ولا بد أنه اطلع على عدة مصادر ومخطوطات، فمحمود بن الفكون كان موظفا مثله، فربما يكون قد استفاد منه، ومما تزخر به دار الفكون من مصادر، هذا إلى جانب تلك عائلات أخرى علمية قد يكون استفاد من تراثها العلمي.

2. 1- مصدر المعلومات في المذكرات:

هل اعتمد أصحاب المذكرات في كتابة مؤلفاتهم على مؤلفات غيرهم؟ أم أنهم اكتفوا بالروايات الشفوية ومشاهداتهم الخاصة؟ إذا لم يعتمدوا على مؤلفات غيرهم، فكيف كانوا يؤرخون للأحداث التي لم يعاصروها وخصوصا التي هي بعيدة عن عهدهم بسنوات عديدة؟ أم أنهم اعتمدوا على مصادر غير مباشرة؟

فنظرا لعلاقة التوثيق الوطيدة بالأمانة العلمية، فإن أهميته عند المؤلفين بلغت أن كان عدم الالتزام به يعد سببا كافيا لتعرض المؤلف للنقد، واتهامه بقلة الأمانة وانتحال ما ليس له من الأعمال، مما يحط من شأنه بين العلماء.

وقد وجد هذا المستوى العالي من التوثيق عند ابن خلدون في بعض المواضع من مقدمته، فكتب على سبيل المثال عند كلامه على حساب "النيم" عبارة مذكورة في آخر كتاب السياسة المنسوب لأرسطو[2].

ومع أهمية التوثيق إلا أن هناك من نقل واقتبس من مصادر عدة ولم يذكرها في مؤلفه، ومن الأمثلة على ذلك محمد الشريف الزهار[3]، الذي لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها إطلاقا، وهنا نتساءل من حيث

1- ينظر: صالح بن محمد العنتري، **تاريخ قسنطينة**، تقديم: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

2- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، **مصدر سابق**، ج. 1، ص104.

3- ذكر لنا ناصر الدين سعيدوني: **أن مذكرات الزهار...، هي في الواقع جزء من مجموعة متكاملة من التقاليد الشخصية** تتناول بالخصوص الفترة الأخيرة من العهد العثماني، وفترة المقاومة لزعامة كل من الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر. وقد أرجع الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي قام بتصحيح وتبويب المذكرات هذا النقص إلى أن التقاليد المتعلقة بالسنوات الأولى من الاحتلال تعرضت للضياع، أو أخذه مدير الشؤون الأهلية بالإدارة الفرنسية لوسياني، ولم يحافظ عليه ولم يبق منها سوى نتف. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين...**، مرجع سابق، ص516.

له تلك الأخبار التي أوردها في كتابه؟ فإذا كان نقلها شفويا لماذا لا يشير إلى ذلك، ومن هم الذين أخذ عنهم خاصة وأنه تحدث عن وقائع وأحداث وقعت قبل ولادته بـــ 28 سنة[1].

أما ابن زرفة فقد ذكر لنا مصادر كتابه: "الرحلة القمرية..."، والتي تنوعت بين المشاهدة ومعايشته للأحداث، واعتماده على مكتبة الباي محمد الكبير، ونقله من الكتب في التأريخ للأحداث، أو لشرح مسألة معينة، ويذكر ذلك بنفسه في مقدمة مؤلفه حيث يقول: "... ولما عزمت على الانطلاق وعقدت لتقيد الرحلة ... ودخلت إلى مجلسه الرحيب وتظللت بأفياء غصنه ... وبعد انتدبت لإملاء... تلك السيرة المحمدية[2]".

3. 1- مصدر المعلومات في كتب الرحلة:

أغلب الذين كتبوا رحلاتهم إلى المشرق اعتمدوا بدرجة كبيرة على المشاهدة الشخصية، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض المصادر ومن أمثلة هؤلاء المقري في رحلته المسماة: "رحلة في المشرق والمغرب"، فقد قام فيها بتدوين السماعات والقراءات والإجازات والتساؤلات والمعارضات والمقابلات، وتنتهي رحلته بمجموعة من رسائل إخوانية كانت بينه وبين مفتي مكة آنذاك، ويسمى عبد الرحمان بن مرشد المكي وأطلق عليها عنوان: "إتحاف المنشئ والمنشد ببعض كلام الإمام مفتي الحرمين ابن مرشد"[3]، ويعلمنا المقري في قصيدة يجيب بها عن سؤال حول حالة فاس وجهه إليه عبد الرحمان بن الشيخ محمد بن علي أبهلول -وهو من علماء الجزائر- بقوله:

" ... وفكري بأشجان الزمان مكـــدر § وكل يعاني شجوه ويقاســـي
تغيرت الأحـــوال شرقا ومغربـــا § ولكن لطف الله بان بفـــاس[4]... "

وغيرها من الأخبار التي يوردها المقري ويرجعها إلى أصحابها.

-نحن نعرف أن المؤلفين يذكرون مصادر مؤلفاتهم في المقدمة أو في متن الكتاب، أوفي آخر الكتاب؛ فأظن أن محمد الشريف الزهار ترك الأوراق الأولى (13صفحة بيضاء)ليمهد إلى موضوعه، ويذكر المصادر التي أخذ منها، أو أنه ذكرها في الجزء الذي ضاع منه والذي كتب فيه عن الفترة الاستعمارية، ويمكن أن يكون الزهار لم يولي ذلك أي اهتمام لأنه جاء في عصر ضعف فيه التأليف.

1- أبو العباس أحمد المقري، الرحلة ، **المصدر نفسه**، ق. 1. و

2- أبو العباس أحمد المقري، **الرحلة**، ق. 11. و

3- مصطفى بن عبد الله بن زرفة، **الرحلة القمرية**، رقم 3322، ج. 1، ق. 2. و

4- أبو العباس أحمد المقري، **المصدر نفسه**، ق. 11. و.

وهذا عبد الرحمان المجاجي الذي يبدو من خلال كتابته لرحلته أنه اعتمد على المشاهدة المباشرة، والرواية والنقل، فقد ذكر أعلام الإسلام الأوائل كما أنه عرف بمن التقى بهم، وبالمدن التي مر بها ووصفها كقوله عن عريش:

"أتينا منها لبدر قبل الزوال إذا § دخلنا عريش المصطفى فيه عبره"[1]

كما أنه كان يسمي الأماكن التي يمر بها بتسمياتها القديمة كقوله:

"... وثم رحلنا منها ونزلنا في بـــدر § مكان يسمى في القديم جريرة

...ثم ارتحلنا قاصدين من يزيد من § يسمونها أســـلافنـــا بمتيجـــة ..."[2]

أما الرحالة ابن حمادوش فقد كان مصدر معلومات رحلته نوعان: شخصي ونقلي، وقد غلب النوع الأول على الرحلة، ذلك أن كثير من الأحداث التي ذكرها في الرحلة شاهدها، فسواء كان يتحدث عن العادات الاجتماعية (كعادات أهل فاس)، أو التطورات السياسية والعلمية في المغرب (ثورة الريفي، وعلماء المغرب مثل البناني...)، أو كان يتحدث عن علاقاته العائلية ورجال عصره ومشاهداته في الجزائر وفي كل ذلك كان مصدره التجربة الشخصية، أما النوع الثاني فينقسم إلى الشفوي (الرواية الشفوية) عن بعض معاصريه، والنقل الوثائقي من الكتب ونحوها، فابن حمادوش كثيرا ما يقول في رحلته عن أخباره أنها سمعها أو سمعها. وعن نقوله من الوثائق فأهمها من كتب الحديث، كصحيح البخاري، وكتب التاريخ كتاريخ ابن الكردبوس، وكتاب "الأنس الجليل في تاريخ القدس"والخليل للعلمي وكتاب تاريخ الدولة للملطي[3].

ويقول عن ذلك: " ... اطلعت على كتاب الملطي في تاريخ الدول ... فمما نقلت منه تاريخ سابور بن سهل ... "[4]، كما نقل ابن حمادوش من مختصر السنوسي في النطق بالإضافة إلى نقوله عن الوثائق كفهرسة البناني وأسانيد الصباغ وعقود الزواج وغيرها من الوثائق والمصادر التي نقل منها ابن حمادوش، وقد كان ذكره لها في المتن، وهكذا فقد كان مصدر معلومات ابن حمادوش متنوعة فمنها كتب حديث تاريخ، منطق، فلسفة، فلك،...الخ.

أما الرحالة الورثلاني فقد استخدم في رحلته مصادر كثيرة جدا بعضها يتعلق بالجزائر والمغرب العربي عموما، وبعضها يتعلق بالمشرق العربي وخاصة الجزيرة العربية، إضافة إلى المشاهدة الشخصية[5]، أما عن طريقة ذكره للمصادر التي أخذ منها، فقد أشار إلى البعض منها في مقدمة كتابه بقوله: " ... وإن اعتمادي

1- عبد الرحمان المجاجي، **الرحلة المجاجية**، مخ. م. و. لج، رقم 1565، ق. 1. و.

2- **الرحلة المجاجية**، المصدر نفسه، ق. 10.

3- ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**.

4- عبد الرزاق بن حمادوش ، **المصدر نفسه**، ص138.

5- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص4.

في ذلك على رحلة شيخنا وقوتنا ... سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري، هذا وإني أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ، كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان، وكذا أحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرهما"[1]. والبعض الآخر ذكره في ثنايا الكتاب من خلال ذكره للأحداث كقوله: "وفي الاستبصار في أخبار الأمصار والزاب كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي..."[2]، كما اعتمد أيضا الورثلاني على الروايات الشفوية كحديثه عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف بقوله: "وقد سمعت أنه أخذ عن الشيخ زروق ..."[3] هذا عن المصادر الخاصة أما المصادر العامة في الفقه والتصوف والتوحيد وغيرها، والتي استعملها واستشهد بها أو ذكر مؤلفها فهي كثيرة جدا تتجاوز (30) مصدر منها، الوغليسية لمحمد الوغليسي، وصحيح البخاري[4].

أما الاقتباس وعدم ذكر من أخذ عنه فنلمس ذلك خاصة عند الورثلاني فقد اقتبس من مجموعة كبيرة من المصادر حيث بلغت اقتباساته ما يعادل نصف رحلته[5]، وينقل صفحات عديدة دون نقدها أو التعليق عليها وكأنه لا يعرف من حيث يبدأ وأين ينتهي؟ وعلى حد تعبير جورج فقد ألفت -يقصد به طريقة التأليف عند العرب- كتب عربية غير قليلة عن طريق تغير بسيط ... ولم يكن هناك من حرج من إدخال مؤلفات الغير في كتابه سواء أقساما أو كاملة وبنفس التعابير ..."[6]، والورثلاني لم يكتف بنقل المعلومات فحسب بل حتى العناوين قد حافظ عليها ولم يهملها، كعنوان: "ذكر خروجنا من بسكرة"، فهو نفس العنوان في رحلة الدرعي[7].

فإذا كان ذكر من اقتبس عنهم واجب من باب الأمانة فلماذا سكت الورثلاني في بعض الأماكن عن الذين أخذ عنهم؟ مع أنه ذو ثقافة دينية وصوفية واسعة؟

قد تتعدد الإجابات حول هذا السؤال أما بالنسبة لوجهة نظري فأرى بأن الورثلاني جاء في وقت ضعفت فيه حركة التأليف، أو بالأحرى ضعفت فيه الكتابات العلمية المنهجة بحيث أن الناس انصرفوا إلى

1-أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 1، ص189.

2-الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص93.

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، المصدر نفسه، ص290.

4-مختار الطاهر فيلالي، **رحلة الورثلاني**: عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة -الجزائر، ص-ص. 56-57.

5- **رحلة الورثلاني**، المرجع نفسه، ص59.

6-ينظر: خالدوف، **الثقافة الكتبية**، دراسات في تاريخ الثقافة العربية القرون(15-16م)، دار التقدم، ص243.

7- مختار الطاهر فيلالي، **مرجع سابق**، ص93.

الانشغال بأمور الحياة، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية المضطربة[1]. ثم إن ما ذكره الورثلاني في رحلته من اقتباسات ومعلومات فضل، لأنه اطلعنا على ثقافة ذلك العصر وروى لنا معلومات ووقائع هامة.

2- منهج وأسلوب التأليف

2-1- منهج التأليف عند مؤلفي العهد العثماني:

ليس هناك علم أو تقدم علمي إلا عن طريق البحث، وتقدم البحث العلمي يعتمد على المنهج المتبع ويرتبط به وجودا أو عدما، صدقا أو زيفا. يا ترى ما المقصود بالمنهج؟

يمكننا أن نقول بأن المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة[2].

والعلم الذي يبحث في هذه الطريقة هو علم المناهج[3].

نحاول في هذا الموضع دراسة المنهج الذي اتبعه المؤرخون الجزائريون في تأليف مؤلفاتهم، ومعرفة ما إذا كان هؤلاء المؤرخون قد بنوا معلوماتهم على المنهج العلمي؟ وأي ترتيب اعتمدوا في تدوينهم لمؤلفاتهم؟ وهل رتبوا الأحداث التي أوردوها في كتبهم؟

عرفنا -سابقا- بأن المؤرخين الجزائريين اعتمدوا في كتابة مؤلفاتهم على مصادر مباشرة-أي أن المؤرخين يذكرون المصادر التي اعتمدوا عليها- كابن مريم والفكون ومحمد بن ميمون ومصادر غير مباشرة -أي أن المؤرخ لا يذكر المصادر التي اعتمد عليها-كالزهار، فقاعدة التوثيق عند مؤرخي الجزائر خلال العهد العثماني كانت نسبية.

أما قاعدة الترتيب[4]؛ والتي نقصد بها تنظيم الكتاب بمنهج ييسر على القارئ الاطلاع على الموضوعات من غير عناء، فإننا نجد أغلب المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني لا يلتزمون التنظيم والتنسيق في عرض مواضيع كتبهم، وهذا ما يجعل مؤلفاتهم مصنفات أكثر منها كتب محللة، وكمثال على ذلك: "كتاب منشور الهداية..." لعبد الكريم الفكون؛ فبالرغم من أنه اعتمد على" الترتيب الشجري" حيث يقول: "...

1-بالإضافة إلى ما ذكرته فإن اقتباس النصوص كاملة وبنفس التعابير كانت قبل عهد الورثلاني، وقد ذكر لنا جورج ذلك، فلماذا نعيب على الورثلاني مع أنه جاء في عصر ضعفت فيه الثقافة.

2- عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، دار النهضة العربية، القاهرة 1963، ص. 5

3-إذا كانت المناهج العلمية تتعدل وتتغير باستمرار على يد العلماء المختصين، فإن منهج التأليف في العهد العثماني و حد في كل الفترات، ولا يوجد به أي تقدم.

4- هناك نوعان من الترتيب أحدهما شجري والثاني هجائي، فبخصوص الترتيب الشجري فيقصد به الترتيب القائم عل ما يسمى بالأبواب والفصول، أما الترتيب الهجائي فهو الذي يقوم على حروف المعجم. ينظر: خليفة حماش، "أهداف البحث العلمي ومبادئ الكتابة عند علماء المسلمين"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، ع 6، 1999، ص331.

ورتبته على ثلاثة فصول وخاتمة الفصل الأول: في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدي بهم ... الفصل الثاني: في المتشبهين بالعلماء ... الفصل الثالث: في المبتدعة الدجاجلة ... في الخاتمة: في إخوان العصر..." . إلا أن كتابه يكثر فيه الاستطراد والتكرار والإشارات إلى تواريخ متقادما وأحيانا متباعدة، أما التكرار والاستطراد فيلاحظه القارئ بسهولة من تناوله مواضع متداخلة في الموضوع الواحد ثم العودة مستعملا لفظة (عودة)، فنجده مثلا تحدث عن محمد بن أفوناس، ثم يورد مجموعة من الشخصيات والأحداث، ثم يستعمل تعبير عودة إلى محمد بن أفوناس[2]

والأمثلة على ذلك كثيرة في هذا الكتاب.

كذلك الحال بالنسبة لكتاب: "الثغر الجماني ... "لابن سحنون الراشدي الذي يحتوي على أربعة أقسام متداخلة دون ترتيب ففي القسم الأول تناول فيه حياة الحكام الذين سبقوا محمد الكبير، أما في القسم الثاني فقد خصه للتعريف بوهران من تأسيسها وذكر علمائها، أما القسم الثالث فعاد فيه إلى عرض تاريخ مدينة الجزائر، فذكر قدوم عروج إليها واستقراره مع أخيه، وحربه ضد النصارى (أعماله)، أما في القسم الرابع فقد خرج ابن سحنون عن الموضوع الرئيسي، وهو تاريخ وهران ومآثر حاكمها محمد الكبير، إلى مواضيع تتصل بالثقافة والاطلاع الشخصي مثل: الصيد، والفلك ...الخ.

ثم يعود إلى الحديث عن وهران بعد فتحها، وتأثر منافس الباي وحساده عن النيشان الذي حصل عليه، واحتلال عروج للقلعة، وانفصال باشوية الجزائر عن الخلافة وذكره لدخول الفرنسيين[3].

ومن الذين استخدموا هذا الترتيب أيضا أبو راس الناصر في كتابه: "فتح الإله ومنته ..."،و قد وضح ذلك قائلا: "و إني قد عزمت على تأليف عظيم الجدوى، بليغ الفحوى ورتبته على أبواب وأسئلة فتوى: الباب الأول ..."[4].

أما عن ترتيب الأحداث والوقائع فهم لا يتبعون منهج معين في ترتيبها، فهم يحشون السنة التي يذكرونها بأخبار ووقائع تتعلق بشخصهم وبالأحداث التي وقعت فيها.

وقد اعتاد مؤرخوا ذلك العهد، أن يؤرخوا بالتاريخ الهجري الذي أطلقوا عليه اسم العربي -كابن مريم والفكون وابن حمادوش ...- ونادرا ما يؤرخون بالميلادي، والذي يطلقون عليه اسم الشرقي أو

1- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص-ص. 33-34.

2- المصدر نفسه، ص، ص. 37، 38، 41.

3- ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**.

4-محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله...**، مصدر سابق، ص15.

الفلاحي، وغالبا ما تمثل السنوات أبواب وفصول الكتاب، ويجهد المؤلفون أنفسهم في إيجاد كل الأحداث التي تخص تلك السنوات فالزهار مثلا: يذكر السنة ويحشوها بالأخبار[1].

بالإضافة إلى ذلك فان رواياتهم وقصصهم غير كاملة، ويعقب عليها المؤرخ بقوله: "هذا ما عن بذهني"، وهذا ظاهر بوضوح في رحلتي: ابن حمادوش[2] والورثلاني.

ثم إن أغلب الرحلات التي تمت في هذا العهد تعتمد في منهجها على المنهج الوصفي، وخير مثال على ذلك رحلة الورثلاني؛ التي جاءت بوصف دقيق لحالة المسالك والعمران ومحطات القوافل ونقاط الماء. فقد جاءت صورة صادقة للواقع الثقافي وطبيعة العادات، ونوعية الاهتمامات في البلدان التي مر بها، كما تضمنت ملاحظاته أثناء السفر لأداء فريضة الحج، فمما ذكره عن الحج أنه قال: "... فما أحسن بيان (الرسول صلى الله عليه وسلم)، وما أحسن ذكر الطريق إليه، كالطريق الموصلة إلى البيت الحرام"[3].

وبالرغم من أن أغلب أعمال مؤلفي هذا العهد غير منسجمة، وأنهم لا يربطون أجزاء الكتاب بعضها ببعض، وأن كتبهم لا تحوي وحدة عضوية أو موضوعية، فكتب الرحالة مثلا تأتي مليئة بالأحداث.

والاستطرادات كرحلة ابن حمادوش؛ التي نجدها مليئة بما سماه بالغريبة والحكاية والبادرة، كما أنها تحتوي على موضوعات كثيرة غير مترابطة فنجده مثلا: يتحدث عن عقود الزواج من الصفحة283 إلى الصفحة 250، ثم يورد مجموعة من الأحداث والوقائع من الصفحة 250 إلى الصفحة 266، ثم يعود بعدها إلى ذكر عقود الزواج[4]، وذلك باستعماله لفظة (عودة).

فبالرغم من هذا كله إلا أننا لا نستطيع الحكم على أن جل هذه الكتابات غير منسجمة، فكتاب محمد بن ميمون[5] مثلا: جاء منسجم فقد تناول فيه سيرة الداي محمد بكداش من حيث رأيه المصيب وأعماله المرضية، وقد ركز على سيرته من قبل توليته وبعد حكمه، كما خصص جل الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الداي وصهره "أزون حسن"، وكل ذلك بعبارة واضحة وأسلوب جذاب فهذا محقق الكتاب نفسه محمد بن عبد الكريم يشهد أن لهذا الكتاب مزايا أربع هي: ميزة الصراحة التامة في

1- ينظر أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق.**

2- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق، ص245.**

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق، ص65.**

4- ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق.**

5- يؤخذ على محمد بن ميمون إغفاله لذكر مصطفى بوشلاغم بايّ الإيالة الوهرانية، مع أنه كان له الحظ الأوفر في نجاح هذا الفتح -فتح وهران-إلا أننا نقول فلربما لم يذكره لأنه كان السبب في استرجاع الإسبانيين لوهران، وذلك للخلاف الشخصي الناجم بين مصطفى بوشلاغم وابن الباشا، فحتى ابن سحنون الراشدي صاحب كتاب الثغر الجماني كان عاتبا عليه

مضمونه، ميزة الترتيب الزمني للمناصب العسكرية التي تقلب فيها بكداش، ميزة الترتيب الزمني لفتح وهران وأبراجها، ميزة القصائد الشعرية[1].

وتعتبر رحلة محمد الكبير من المؤلفات المتميزة بالتسلسل في العرض والدقة في الوصف، بحيث أنه حدد سير المحلة باليوم والساعة وضبط أسماء الأماكن ومواقع الآبار والعيون، وسجل بالأرقام ما تحصل عليه الجيش من الغنائم، وما تسلمه من جبايات دون إهمال لحالة السكان ووضعية العمران، وعلاقة الرعية بالحكام[2].

2. 2-أسلوب التأليف عند مؤلفي العهد العثماني:

بعد الحديث عن المنهج المتبع من قبل المؤرخين الجزائريين في تدوين مؤلفاتهم نحاول أن نتعرف على الخصائص الأسلوبية في التدوين، وذلك من خلال دراسة لغة التدوين عند بعض المؤلفين الجزائريين خلال العهد العثماني.

تحدد اللغة بأنها أصوات ورموز تواضع الناس على دلالتها المعنوية والمعجمية، وأصبح التواصل بينهم أمرا ممكنا، سواء أخص هذا التفاهم الدلالات الوضعية للمسميات أو المجازية لها، والتي يحدث فيها الاخبار عن اللغة الموضوعية[3].

والمعروف أن للغة أي مؤلف مؤثرات وعوامل تشكلها، وتميزها عن لغة أخرى، لابد أن تحمل في تشكلها النصي بعض خصائص الكتاب النفسية والفكرية ومهارته الأسلوبية، وعوامل إضافية ترتبط بالمقام (contexte)، فالأسلوب في الرواية أو القصة يختلف عنه في المقالة الصحفية أو التقرير الطبي أو غيرها من المجالات[4].

وقد كان للمؤرخين الجزائريين خصائص أسلوبية في كتابة مؤلفاتهم، يفترض أن تهيئ لدى القارئ قابلية لاستقبال خطاباتهم وفهمها، والوعي بالاختيارات الأسلوبية الخاصة بكل مؤرخ، وسنركز في هذا المبحث على الأسلوب؛ بوصفه تركيبا لغويا للأصوات الألفاظ والجمل، وسنتناول مستويات اللغة عند المؤرخين في مؤلفاتهم.

1- أبو عبد الله محمد ابن ميمون، **مصدر سابق**، ص-ص. 92-95.

2- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي الجغرافي للمؤرخين**، مرجع سابق، ص449.

3-محمد طول، **البنية السردية في القصص القرآني**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص118.

4-إبراهيم صحراوي، **تحليل الخطاب الأدبي**: دراسة تطبيقية، دار الآفاق، ط. 1، الجزائر، 1999م، ص94.

2. 3- لغة التدوين عند المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني

اتخذت لغة التدوين عدة مظاهر، واختلفت مستوياتها إذ وصلت أحيانا إلى مستويات عاليا من الأدبية. لكثافة التخيل فيها والحركة والموسيقى، ورقة الألفاظ واقترن هذا المستوى دائما بغرض تعبير المؤرخين عن أحاسيسهم، أو عن المواقف والمشاهد المؤثرة التي تعرضوا إليها.

وفيها تكثر العدولات بمختلف أنواعها، من عدول شامل، وهو الذي تتكرر فيه ظاهرة ما عدة مرات. وتسجل قيمة مرتفعة في تواترها في النص، وعدول نحوي؛ وهو إحداث المفاجأة بصيغة نحوية غير معتادة. وعدول معجمي؛ عندما تستعمل الكلمة في غير معناها الأصلي، وعدول دلالي؛ كالتعبير عن معنى بتركيب معنى آخر كالكتابة مثلا، ثم عدول ركني، كما في التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب[1].

كما اتصفت أساليب المؤرخين في أغلب المواضع، بالبساطة الظاهرة والوضوح وقلة الانزياح، وفي حالات أخرى وجدنا لغة المؤرخين تنحدر في مستوياتها لتصل إلى مستوى العامية أحيانا -كلغة من مسايب-، أو التعقيد في اللفظ والتركيب. ولا نستطيع في هذا البحث أن نتعرض إلى جل الظواهر الأسلوبية والعدولات الموجودة في المؤلفات، وإنما نشير إلى البعض منها، كالتي تواترت في المؤلفات كلها. أو كالتي اختص بها مؤلف دون آخر، وهي التي ضمن خصوصيات أسلوب الكاتب، ورصيده اللغوي وتأثيرات العصر.

2. 2. 2-الاستشهاد بالشعر:

من بين الظواهر الأسلوبية التي اشترك فيها المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، الاستشهاد بالشعر في معرض السرد أو الوصف أو الحوار، ويعد الاستشهاد بالشعر من السمات الأسلوبية القديمة في النثر العربي كالرسائل، والخطب، الوصايا، والحكايات الشعبية[2]، وقد استمرت هذه السمة عبر عصور الكتابة الفنية، ووصلت أوجها في العصر العباسي، ثم عصر الانحطاط الذي جاء مقلدا للآثار القديمة، راعى التصنع في الصياغة، والاستشهاد بالشعر والأمثال والاقتباس من القرآن والحديث[3].

وقد ورد الاستشهاد بالشعر عند المؤرخين الجزائريين بنسب متفاوتة، فبينما جاءت الشواهد الشعرية عند ابن عمار كثيرة مقارنة بعدد صفحات مؤلفه، فهي قليلة عند الورثلاني رغم ضخامة مؤلفه وطول حجمه، ولكنها تفوق الشواهد الشعرية التي ذكرها أبو راس، ومن خلال دراستنا لأسلوب المؤرخين

1-محمد كريم الكواز، علم الأسلوب: **مفاهيم وتطبيقات**، منشورات جامعة التاسع من أبريل، ط. 1، ليبيا، ص-ص. 87-90

2- إبراهيم صحراوي، **مرجع سابق**، ص96.

3-عبد النور جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، ط. 1، لبنان، 1979م، ص، ص. 479، 481.

لاحظنا تناقص الاستشهاد بالشعر عند مؤرخي القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وقد يرجع ذلك إما لتغيير الأسلوب في القرنين، وإما لطبيعة ميول الكاتب واختصاصه، إذ كان الورثلاني كثير العناية بعلوم الدين والتاريخ خاصة، ومثله أبو راس الناصر، وأحمد بن هطال التلمساني، أما الزهار فقد كان ملتزما بسرد الأحداث والوقائع المتعلقة بمذكراته فلم يهتم بذكر الشواهد الشعرية.

3. 2. 1-طول التراكيب والتقديم والتأخير في مؤلفات العهد العثماني:

إن من بين الخصائص الأسلوبية التي لاحظناها في جل الكتابات عند المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني، طول الجمل فيها، ونستدل على ذلك بسيطرة الأسماء والصفات وتتاليها بكثرة، مقابل قلة الأفعال؛ وهذا ما يطلق عليه بقلة نسبة الفعل للصفة[1].

ومن أمثلة الجمل الطويلة عند المؤرخين، ما ورد في سرد أحمد المقري: "فلما دخلت المسجد الأقصى، وأبصرت بدائعه التي لا تستقصي، بهرني جماله الذي تجلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشرف فأرشدت إليه، وشاهدت محلا أم فيه -صلى الله عليه وسلم- الرسل الكرام الهداة، وكان حقي أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغي أن تزمزم به الحداة (كذا)"[2]، فالملاحظ في هذا النص كثرة ترداد الروابط اللفظية على قصره بالإضافة إلى وجود الروابط المعنوية، التي تجعل التآلف بين هذه الجمل المركبة والطويلة منطقيا ومستساغا، فعقب الدخول إلى المسجد الأقصى، كانت المشاهدة وبعدها الانبهار والإعجاب بالمشاهدة، وهكذا كانت الرؤية ثم التأثر للمرئي وأخيرا إنشاده أبيات شعرية تليق بالموقف وتعبر عنه في إيجاز، ولم ينتج طول الجمل بسبب الترابط اللفظي أو المعنوي فحسب، بل كذلك بسبب الصفات التي وردت مركبة(غير مفردة)، إذ قال: "التي لا تستقصي" و"الذي تجلى الله به عليه" و"أمَّ فيه صلى الله عليه وسلم ...".

أما أحمد بن عمار، فرغم قلة سرده في الرحلة فإن بداية مقدمته تنبئ عن تراكيبه، رغم وجود الجمل القصيرة أحيانا ومن أمثلة ذلك قوله: "... فأحببت أن أدخل ذلك في خبر الرحلة، تتيما للفائدة وزيادة في النحلة ... فأما المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم وتقدم على الارتحال، وأمد الغرض المقصود ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب وحط الرحال، وأما الخاتمة ففي ما أنشأ عن ذلك بعد السكون وانظم إليه، وجره الصد من العجز ورده عليه ..."[3].

1- مازن الوعر، "الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية "، **عالم الفكر**، مج. 22، الكويت، ع: 3-4، 1994م، ص160.

2- أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب**...، مصدر سابق، ج. 1، ص54.

3- أحمد بن عمار، **مصدر سابق**، ص4.

وندرج بعض أمثلة التقديم والتأخير عند أحمد المقري، الذي وجدناه كثير في رحلته كثيرة ع بالسجع، فنادرا ما يأتي نثره خاليا منه، ومن ذلك قوله: "و أتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوص بـ شدا صادح أو أومض برق ... "[1].

فتأخير الفاعل (الخرق) وتقديم الجار والمجرور، كان لجعله يوافق الفاعل (برق) فيؤلفان بذلك سجعة في التركيب. ونجد من مثال التقديم والتأخير عند أحمد بن عمار قوله: ". . وأنا أضرع إلى من لا يخيب من الآملين، ولا يرد صفرا أكف السائلين "[2]، فتأخير المفعول به عن الحال (صفرا) جاء لاتفاقه مع فاصلة الجملة الأولى في كلمة الآملين.

أما الحسين الورثلاني، فرغم ضخامة رحلته، فإن التقديم والتأخير في تراكيبها قليل مقارنة بما وجدناه في رحلة المقري إذ كان الورثلاني يراعي كثيرا الترتيب العادي للجمل، وقليلا ما يقدم أو يؤخر فيها، وكان لغرضين: غرض التأكيد على معنى ما قدم، وغرض الحفاظ على أسلوب السجع في الفقرة، ومن مثال الغرض الأول قوله: "ووصلنا قرب الزرائب، بل نحن البغالة تقدمنا إلى القرية.. "[3]، فتقديمه للفاعل على الفعل تقديما له غرض التوكيد على أن الفئة الراكبة على البغال هي التي تقدمت دون غيرها، وهي كغير القائل (محمد ذهب)، أما التقديم والتأخير بسبب السجع فكقوله: "وبالجملة فيها من الأحياء والأموات ما لا يحصى ولا يعد، ولا يضبط ولا يجد، ولاسيما البله من أهل الإشارات فإنهم غابوا عن إحساسهم فلم يجدوا لأنفسهم أثرا، ولا لعقولهم خبرا، فلا تكليف عليهم، ولا حكم لديهم ... "[4]، وفي هذه الفقرة كثير من التقديم والتأخير، وهو من بين اختيارات الكاتب.

ولم يخل مُؤَلّف أبي راس الناصر من التقديم والتأخير أيضا من ذلك وصفه لمدينة فاس، إذ قال: ". . وبحر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله، ولا يبلغ الطبقة البعيدة راحله. . "[5]. إذ أخر الكاتب كلمة (راحله). وهي فاعل لتناسب كلمة (ساحله) نائب فاعل.

2. 2. 4-العناية بالبيان البديع:

عَدَّ بعض الباحثين الظواهر الأسلوبية التي تدخل في البيان والبديع من العدولات، إذ أن الجنوح إلى مثل تلك الأساليب واختيارها من دون الأساليب الحيادية المؤدية للمعنى بطريق مباشر، يرجع إلى ذاتية الكاتب وميوله الشخصية وإلى تأثيرات العصر.

1- أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب** ...، مصدر سابق، ج. 1، ص17.

2- أحمد بن عمار، **مصدر سابق**، ص3.

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، 105.

4- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **المصدر نفسه**، ص667.

5- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**، مصدر سابق، ص102.

وإذا كان المؤرخون الجزائريون قد استخدموا الأساليب البيانية والبديعية على اختلافها، فإنهم لم يكونوا على مستوى واحد في ذلك، إذ وظف كل من ابن عمار وأبي راس الناصر ومحمد بن ميمون الأساليب البيانية والبديعية بكثافة في مؤلفاتهم بينما ظهر البديع بكثرة في رحلة الورثلاني وأحمد بن هتال التلمساني وابن مريم، واستخدام البيان أحيانا قليل.

ومن أمثلة الأساليب البيانية والبديعية عند أحمد المقري قوله: ".. فيالها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب، يقل شكرا لها صوم الأحقاب وعتق الرقاب "[1]. فشبه النعمة وهي السلامة من مخاطر البحر، بالمرأة الجميلة التي كشفت عن وجهها النقاب، فبان جمالها فقد حذف المشبه به وهي المرأة وترك شيء من لوازمه وهو النقاب على سبيل الاستعارة المكنية ومن أشكال البديع نذكر الجناس الناقص في هذه الأمثلة: (الرفقة. الفرقة. . لـــ)، والجناس غير التام في قوله: (نحتها، تحتها)، (أنهار، أزهار)، السجع والطباق في قوله: (مادحا، ذاما)، (الرواح، الغدو)[2]، وغيرها كثير، عكس مدى اعتناء هذا المؤرخ بالزخرف اللفظي وإحداث الإيقاع الموسيقى في تراكيبه، بقصد تقوية المعنى والتأثير في القارئ.

وهذه الظاهرة ذاتها نجدها في مؤلف أحمد بن عمار،إذ لا يختلف فيها عن أسلوب سابقه من حيث ولوعه الكبير بالسجع، والجناس الطباق، وبالمجاز في التعبير عن حالاتهم الشعورية، ومن أمثلة البيان في رحلته قوله: "لما دعتني الأشواق. . إلى مشاهدة الآثار والأخذ من الراحة بالثأر"[3]، فهو يصور راحته في صورة إنسان له عدو ينوي الثأر منه بالسفر والتعب، فقد حذف المشبه به وترك المشبه على سبيل الاستعارة المكنية. أما البديع فمن نماذجه. الجناس التام في قوله: (السفر، سفر)، والجناس الناقص في قوله: (الأشواق، الأسواق. الكرى، السرى.. لـــ)، والطباق في قوله: (الوصل، الفصل)، (الصبر، العجز...لـــ)[4]. إلى غير ذلك من المحسنات البديعية التي أعطت الكتاب رونقا موسقيا تطرب له الآذان بسماعه.

ومن أمثلة هذه الأساليب البيانية والبديعية أيضا نجدها عند محمد بن ميمون الجزائري، الذي لا يختلف أسلوبه كثيرا عن سابقيه، وذلك من حيث ولوعه بالسجع والجناس والطباق، وبالمجاز في التعبير عن الحالات الشعورية، ومن أمثلة البيان في مؤلفه قوله: "والدهر أصبح مقتفى آثاره ولأمره بين العباد مقيدا"[5]، فشبه

---

1 - أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب**...، مصدر سابق، ج. 1، ص24.

2- **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ص، ص. 17، 19، 25، 28، 29، 30، 33، 34.

3- أحمد بن عمار، **مصدر سابق**، ص3.

4- أحمد بن عمار، **المصدر نفسه**، ص، ص. 3، 4، 27.

5-أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص179.

الدهر بالإنسان له صولات مقتفى، وهي استعارة. وكذا التشبيه في قوله: "مش ربع أبكي عليه سحابـ ... شبه المتكلم نفسه بربع يبكي عليه انتحابه، أما البديع فمن نماذجه الجناس الناقص في قوله: (اليمن، اليمـ...)، (مديحه، مدائحه)...الخ، والسجع في قوله: (البقاء، العناء)، والتضرع في قوله: (العناء، الهناء، الثناء، الـ... العطاء، الوفاء، الرضاء...الخ)[2]. إلى غير ذلك من المحسنات البديعية التي أعطت رونقا موسيقيا.

أما رحلة الورثلاني فلم ترد فيها صورة البيان والبديع إلا في مواضع خاصة كالتي تعلقت بنشاط التعبير عن الشعور، أو وصف حالات الفرح والحزن، ويقل استعمال المجاز كثيرا عند الورثلاني مقارنة بالبديع. ومن أمثلة التشبيه الصريح قوله واصفا إحدى الشخصيات المرافقة له في رحلته: "كان يعرف السير كثيـ... على أني زرت معه في بدر ومكة والمدينة المشرفة فكأنه هو الذي وضعهم في التراب"[3]، وشبيه بهذا القول: "أخذت في الأكل فما وجدت أحلى من ذلك الطعام ولا أذوق منه طعما كأنه من الجنة"، ومن الاستعارات تصويره لحالته النفسية المتشوقة لرؤية الحجاز. فقال: "... فلما أشرف على الرسوم واستحضروا شاهدا على شرفه ... استفتح باب الملكوت واستنشق علم الجبروت بسر اللاهوت، فلم يبق به صحو. . وهذا كله قد تخيله المحب. . فصاح صيحة انطوى فيها الليل والنهار، وأظلم الكون طر... فلم يتعب بالأسفار. . إذ رأى أن قلبه ركب مطية الأنوار، واستعد إلى مشاهدة العزيز الجبار. . ، فعلى القارئ لهذا النص يلاحظ انحراف النص عن التقرير المباشر إلى التعبير المجازي، عن معاني صوفية بحتة، إذ صور روحه وهي تجول المعالم الحجازية الطاهرة، وأظهر سموها، وارتقائها إلى ملكوت الله بتدبره وهيمانه في ألوهيته، حتى غاب بروحه عن المحسوس، فلم يشعر جسده بتعب السفر وسهر الليالي وهو جاد فيه. أما الألوان البديعية فمنها الجناس التام والناقص ومن أمثلة ذلك (المنى، منى)، (البادي، الشادي)، (ناصح، ناصر)، (العقبة، النقبة...لـــ)، والطباق في: (سكون، حركة)، (الخاصة، العامة)، (حبيب، عدو...ـــه). والمقابلة: (رجع المودع، وذهب المودع)"[4].

ومن أمثلة الألوان البيانية والبديعية التي استخدمها أبو راس الناصر في مؤلفه الكناية في قوله: "بقي في قلبه شيء"، وهي كناية عن الحيرة وانشغال البال بقضية ما وقوله: "عذب الموارد"[5] كناية عن روعة نقوله

1- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **المصدر نفسه**، ص165.

2- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **المصدر نفسه**، ص، ص. 125، 165، 172.

3- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **مصدر سابق**، ص19.

4- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **المصدر نفسه**، ص، ص. 3، 79، 80، 81، 83، 121، 124، 238.

5- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**...، مصدر سابق، ص-ص، 91-92.

واستشهاداته، وحسن أدائه، ثم تبويبه فيظهر مثلا في حسن (فتوحه، فتوحه، وفتوحه، فتوحه) (الأمجد، الأنجد)، (الأسعد، الأصعد...لـ)[1]، إضافة إلى السجع الذي هو متكرر في أغلبية نصوص مؤلفه.

أما عن استعمال المؤرخين للعبارات الركيكة والتعابير الضعيفة مع الالتزام بالمحسنات اللفظية؛ فهي في الحقيقة ظاهرة العصر، ومن أمثلة هؤلاء: أحمد بن هطال، ومسلم بن عبد القادر الوهراني، فهذا الأخير مثلا لم يخل مؤلفه من المفردات العامية والأغلاط النحوية والصرفية، ومن أمثلة ذلك قوله: "... إلى ذلك المضيق وأطلقوا فيه الماء وداروا بعسكر الباي من كل جانب... وولوا رايحين فوجدوا المضيق كما قلنا فلح* (كذا) من الجيش إلا قليل"[2]. ومن الذين شهدوا على أغلاطهم النحوية بأنفسهم أبو راس الناصر،إذ قال: "... مع ما بي من اللحن فتعجب الشيخ من معرفتي، ولم يُعبني باللحن ..."[3]، فهذا لخير دليل على أنهم لا يهتمون كثيرا للأغلاط النحوية، ويروي ابن سحنون عن أبي راس الناصر فيقول: "... ومع ما امتاز به أسلوبه الضعيف وبالخصوص شعره ونظمه، وذلك أنه لم يتعلم اللغة العربية وعلومها إلا بعد أن تصدر لدراسة الفقه، فكان نظمه مهلهلا لا يراعي فيه قواعد اللغة ولا الوزن مع أنه ألف عشرات التآليف في اللغة"[4]. ومن القصائد العامية قصيدة ابن مسايب، أما الأخطاء الإملائية الواردة في مؤلفات هذا العهد فهي كثيرة جدا، ولا ندري ما إذا كان ذلك راجع للمؤرخين أنفسهم أو النساخ.

1- **فتح الإله ومنته**، المصدر نفسه، ص97.

*- أظن أنه أخطأ حيث أنه وضع فلح وكان من الأحرى به أن يضع "فلم" حتى يستقيم المعنى.

2- مسلم بن عبد القادر، **مصدر سابق**، ص43.

3- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**...، مصدر سابق، ص21.

4- أحمد بن سحنون الراشدي، **مصدر سابق**، ص108.

المبحث الثاني: أهمية المؤلفات في البحث في العصر الحديث

1- باحثون اعتمدوا على مؤلفات العهد العثماني.

تُعَدُّ الكتب المؤلفة من قبل المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني الزاد الثقافي والحضاري للشعب الجزائر ي بصفة خاصة، وللأمة العربية بصفة عامة، وقد حظيت هذه المؤلفات باهتمام بالغ من قبل العلماء والمؤلفين على كافة المستويات، فبدأت عمليات تجميعها وإحصاء عددها في أول الأمر من قبل الفرنسيين بوضع قوائم لهذه الكتب، ثم أبناء البلد كابن شنب الذي قام بفهرسة عدد لا بأس به من المخطوطات خصوصا مخطوطات الجامع الكبير- [1]وذلك أثناء الفترة الاستعمارية -وحسن غوارزو الذي حاول التعريف بالتراث الوطني الموجود بمكتبة بن حمودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، وذلك بوضع فهرسة لهذه الكتب والتي تحتوي على 220 مخطوط[2]، وغيرهم كثير.

وإذا كان العرض التاريخي للتراث الوطني يعد خطوة أولية للتعريف بهذا التراث؛ فينبغي أن تتبع هذه الخطوة بجهود بناءة من قبل الباحثين الجزائريين المؤهلين لهذا العمل، ترمي في محصلتها النهائية إلى دراسة التراث الوطني، واستخلاص النتائج منه، ثم إن واقع الدراسات التاريخية بالجزائر -خصوصا المتعلقة بالعهد العثماني- تفرض على الباحث إشكالية فهم التراث الوطني وتقييمه، وذلك انطلاقا من الاستقصاء عن نتائج الأجداد.

وقد أصبح موضوع الاهتمام بالتراث الوطني، وتحقيق المخطوطات من المجالات التي تحظى بالعناية لدى الباحثين، سواء في إطار دراسي (رسائل الماجستير، دكتوراه)، أو حر. وهذا يستدعي من الجامعات الجزائرية في مختلف التخصصات إعطاءه أهميته في مجال البحث العلمي.

سأحاول في هذا المحل ذكر بعض الباحثين الجزائريين، الذين اهتموا بتحقيق الكتب التاريخية المؤلفة في العهد العثماني، والإطار الذي حققت فيه هذه الأعمال، ثم التعرض لرأي هؤلاء الباحثين في هذه المخطوطات وقيمتها في مؤلفاتهم، وقد اتبعت في هذه الدراسة الترتيب الأبجدي لأسماء الباحثين.

1- عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب: حياته وآثاره**، م. و. ك، الجزائر، 1983م، ص34.

2- عبد القادر أوقاسي، **مخطوطات المؤلفين**...، ص26.

قائمة لبعض الباحثين الذين قاموا بتحقيق مؤلفات العهد العثماني:

اسم الباحث	عنوان الكتاب المحقق واسم مؤلفه	الإطار الذي حققت فيه هذه الكتب ومكان طبعها	
		إطار حر (أعمال خاصة)	إطار دراسي (رسائل جامعية)
أبو القاسم سعد الله	– منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، لعبد الكريم الفكون.		
	– رحلة ابن حمادوش الجزائر ي المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، لعبد الرزاق بن حمادوش.	– كتاب محقق ومطبوع وقد طبع عام 1987م، بيروت–لبنان. – كتاب محقق وقد طبع عام 1989م بالجزائر.	
أحمد توفيق المدني	– مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، لأحمد الشريف الزهار.	– كتاب محقق وقد طبع عام 1980م بالجزائر.	
المهدي البوعبدلي	– الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لابن سحنون الراشدي.	– كتاب محقق وقد طبع عام 1973 بقسنطينة.	
بونار رابح	– خاتمة أنيس الغريب والمسافر، أو تاريخ بايات وهران المتأخرين، لمسلم بن عبد القادر الوهراني. – الديوان لسعيد المنداسي. – سنين القحط والمسغبة أو مجاعات قسنطينة، للعنتري محمد الصالح.	– كتاب محقق وقد طبع عام 1974م بالجزائر. – كتاب محقق طبع عام 1976م – كتاب محقق وقد طبع عام 1974م بالجزائر.	
	– الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، لابن رقية بن الجديري محمد التلمساني.		– حقق هذا المخطوط ونال به صاحبه دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة الجزائر.
دحماني السعيد	– التعرف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف، لأحمد بن قاسم البوني.	– حقق عام 2000م وذلك لمهرجان هيبون الذي يقام كل سنة بعنابة.	
محمد بن عبد الكريم	– التحفة المرضية في الدولة البكداشية، لابن ميمون محمد الزواوي الجزائر ي. – بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر. – رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لأحمد بن هطال التلمساني. – فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،	– كتاب محقق وطبع في بيروت(دون تاريخ). –كتاب محقق (دون تاريخ) – كتاب محقق طبع عام 1969م بالقاهرة.	

	لأبي راس الناصر.	- كتاب محقق طبع بالجزائر عام 1990م	
محمد بن أبي شنب	- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، للحسين الورثلاني. - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبو عبد الله محمد بن مريم المديوني.	- كتاب مطبوع وغير محقق، طبع بمطبعة فونتانا بالجزائر 1908م، والطبعة الثانية طبعت ببيروت عام 1974م. - نشره المحقق عام 1908م وأعيد طبعه بالجزائر عام 1986م.	
محمد العربي الزبيري	- المرآة، لحمدان بن عثمان خوجة.	- كتاب محقق. طبع بالجزائر عام 1975م. والطبعة الثانية بالجزائر أيضا عام 1982م.	
فرج محمود فرج	- القول البسيط في أخبار تمنطيط، ابن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة).		- بحث مقدم لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ.

نلاحظ في الجدول السابق أنه من بين (12) باحثا حققوا (17) مخطوطة. حقق ثلاثة باحثين مخطوطاتهم في إطار دراسي، في حين نجد البقية يقدمون أعمالهم في إطار حر، حتى أن الباحث الواحد يحقق أكثر من مخطوط، فهذا الدكتور أبو القاسم سعد الله قام بتحقيق العديد من المخطوطات إلى جانب التي ذكرتها الآن وذلك في مختلف العهود.

أما الدكتور محمد بن عبد الكريم فقد حقق أربع مخطوطات خاصة بالعهد العثماني -ذكرتها في الجدول- وثلاث مخطوطات لا أدري بأي فترة تتعلق، فقد صرح بنفسه في كتاب: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، أنه حقق سبع مخطوطات[1]. وأول مخطوط حققه الدكتور محمد بن عبد الكريم هو كتاب: "رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري"، وكان ذلك سنة 1969م، ثم حقق بعد ذلك: "التحفة المرضية ..." لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ.

وقد نشطت عملية تحقيق الكتب خاصة بعد الفترة الاستعمارية -أثناء الاحتلال لم نعرف من التحقيق سوى ما قام به ابن شنب- خصوصا في التسعينات حيث أنه كانت هناك حركة لا بأس بها في هذا المجال، وأصبحت هناك تخصصات تدرس في الجامعة، ويتخرج منها طلبة متهيئين لهذه العملية. ليس هذا فحسب فحتى دور النشر؛ بعد أن كانت مقتصرة على الجزائر العاصمة، وبعض المدن الكبرى، فقد ازداد عددها حديثا في أرجاء الوطن، وبدلا من أن تطبع هذه الكتب خارج الوطن أصبحت تطبع في الجزائر.

1- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**، مصدر سابق، (من مقدمة المحقق)، ص6.

2. 1-آراء الباحثين في الكتب المؤلفة خلال العهد العثماني:

يتفق أغلب الباحثين[1] المحققين للكتب المؤلفة خلال العهد العثماني على ما يلي:

- أن الكتب المؤلفة في العهد العثماني تمتاز باستعمال الألفاظ العامية، وبكثرة الأخطاء النحوية، فهذا الأستاذ رابح بونار يقول عن كتاب: "خاتمة أنيس الغريب والمسافر ..."، بأنه كتاب: "... تكثر فيه المفردات العامية والأخطاء النحوية والصرفية المتعددة... "[2]، ويتحدث عن مؤلفي ذلك العصر فيقول: "... وإذا قُرِأَ ما كتبه أعلام هذا العصر كأبي راس المعسكري، ومحمود بن طاهر بن حواء ومسلم بن عبد القادر، وغيرهم. . وجدنا أن أسلوبهم ضعيف وأن شعرهم فاسد ..."[3]، فمؤرخي العهد أنفسهم يشهدون على أنفسهم بكثرة أخطائهم فهذا أبو راس الناصر يخبرنا بأنه كان يلحن، فيقول: "... مع كل ذلك ألحن ... في درسي ...فرد علي ذلك نحاة مجلسي، وقالوا: لابد لك من إصلاح اللسان، فقلت: كان الشلوبيني ممن أحيا علم النحو وبالأندلس وهو يلحن..."[4].

- أن أسلوب التأليف لمؤلفي ذلك الغهد تدل على مدى ثقافتهم التي كانت فقهية، فهذا محمد بن عبد الكريم يقول عن مؤلفه كتاب: "رحلة محمد الكبير باي الغرب..."، بأن طريقة التأليف في هذا الكتاب تقليدية بحتة، فهي تعتمد على سرد الوقائع وذكر الحوادث وكفى. فلا تحليل ولا تعليل ولا سبب ولا مسبب، ولعل ذلك راجع إلى شخصية المؤلف من حيث ثقافته المحدودة، وعيدته الصوفية التي توحي إلينا بأن ما كان أو سيكون، فهو من الله جاء وإليه يعود"[5].

1- حاولت أن أتصل ببعض الباحثين المحققين للكتب المؤلفة خلال العهد العثماني، حتى أعرف رأيهم في مؤلفات ذلك العهد، فخطوتي الأولى كانت مراسلتي للدكتور أبو القاسم سعد الله، فلم يصلني منه أي رد، فقلت في نفسي لربما ضاعت الرسالة، فأرسلت إليه أخرى لكن دون جدوى، فاتصلت به بمركز البحث بالجزائر العاصمة مرارا فأجده مشغول أو خارج مكان عمله، فحولت وجهتي إلى الدكتور محمد بن عبد الكريم، وقد شجعني الأستاذ خليفة حماش على الاتصال به حتى أنه كلف أحد طلبته الساكنين بمدينة سطيف بإحضار عنوانه، وبالفعل جمعنا بعض المعلومات المتعلقة بمقر سكناه، حيث قيل لنا أنه يسكن بحي المعبودة مقابلا للجامع. لكن هيهات فقد ذهبت هناك مرتين وسألت عن الأستاذ بيتا بيتا وفتشت شارعا شارعا، فكأنني أبحث عن إبرة في كومة قش، فلم أجد سوى بيت لأستاذ متقاعد في الأدب العربي اسمه محمد بن عبد الكريم، فحتى السكان لا يعرفون الدكتور فكللت جهودي بالفشل وخيبة الأمل.
لذلك اعتمدت على رأي هؤلاء الباحثين من خلال ما أوردوه في الكتب التي حققوها، وقد وجدت رأيهم في مؤلفات ذلك العهد موحد.

2- مسلم ابن عبد القادر، **مصدر سابق**، ص48.

3- **فتح الإله ومنته**، المصدر نفسه، ص49.

4- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته** ...، المصدر نفسه، ص23.

5- أبو العباس أحمد بن هطال التلمساني، **مصدر السابق**، ص12.

- افتقار أغلب مؤلفات العهد إلى وحدة الموضوع والترابط العضوي، فأغلبها يأتي خليط من الحوادث والأفكار والنقول والمذكرات.

- كثرة الاستطرادات الواردة في مؤلفات العهد العثماني، ثم العودة إلى الموضوع الرئيسي

- أن مؤلفات العهد العثماني تمتاز بالأسلوب الوصفي، زيادة على ركاكة هذا الأسلوب فهذا الدكتور محمد بن عبد الكريم يقول عن مُؤَلِّف ابن هطال التلمساني: "... ومؤلفنا يكثر من الأسجاع الركيكة، ويتكلف الإتيان بها ... كما نجده أيضا يسوق ألفاظا عامية المبنى..."[1].

3. 1- قيمة الكتب المحققة في المؤلفات الحديثة:

من خلال اطلاعي على كتب العهد العثماني المحققة من قبل الباحثين الجزائريين، نجد أن أغلبالباحثين يتفقون مع بعضهم بأن كل ما كتب في العهد العثماني يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وأن نعتبره تاريخا أو كما يسميه عبد الله العروي: "التاريخ موضوع المؤرخ والمؤرخ موضوع التاريخ"[2]. ذلك لأن هذه الوثائق والكتب المؤلفة في هذا العهد تعد مرآة عاكسة للحياة ونشاط المجتمع الجزائري، فهذا الدكتور أبو القاسم سعد الله يقول عن تحقيقه لكتاب: "منشور الهداية..."، نرجو أن نكون قد أدينا واجبا بنشره نحو الجيل الحاضر والمستقبل المتعطش إلى معرفة تراثه ..."[3]، ويقول عن رحلة ابن حمادوش: "أقدمنا على تحقيق رحلة ابن حمادوش لأنها في نظرنا جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي، كتب في عهد لطالما رمي بالجمود والتخلف"[4].

ويقول الأستاذ رابح بونار عن كتاب: "خاتمة أنيس الغريب والمسافر..." أنه كتاب: "... يتعلق بفترة هامة من تاريخ مدينة وهران، والمقاطعة الغربية عامة، وهو يسجل الأحداث التي عانتها وهران عقب استرجاعها... "[5].

ويقول الدكتور محمد بن عبد الكريم عند تحقيقه لكتاب: "فتح الإله ومنته..." أنه يعد من الكتب التي لها قيمة كبيرة، إذ يقول: "...فإن كتاب فتح الإله... " ليعد من مقدمة كتب السير المرضية... التي تمتاز بالصراحة والتدقيق ... ولولا هذا الكتاب لما اطلعنا على حياة الطلبة وعاداتهم بالمغرب الأوسط ... ويطلعنا

1- أبو العباس أحمد بن هطال التلمساني، **المصدر نفسه**، ص13.

2- عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب**، المركز الثقافي العربي، ج. 2، ط. 3، بيروت، 1997م، ص25

3- عبد الكريم بن الفكون، **مصدر سابق**، ص24.

4- عبد الرزاق بن حمادوش، **مصدر سابق**، ص16.

5- مسلم بن عبد القادر، **مصدر سابق**، ص5.

على المناظرات العلمية التي كانت تدور بين المؤلف وبين علماء المشرق والمغرب"[1]، ويقول عند تحقيقه لكتاب التحفة المرضية: "أما الباحث عن تحقيقها فيتلخص في أمرين اثنين ... إحياء التراث الوطني كيفما كانت قيمته العلمية والأدبية ... هذا تراث تركه الأجداد ليعتني به الأحفاد، ويحافظوا على مبناه وكيانه. فإن كان خصبا استمدوا منه غذاهم ... وإن كان جدبا عرفوا أسباب ذلك واتخذوه حذرا لتاريخ حاضرهم وبناء مستقبلهم... "[2].

ويقول عند تحقيقه لبهجة الناظر: "لعل تحقيق هذه الرسالة يعتبر عملا مرضيا لدى المثقف التريه، الذي يرغب في نشر تراث أجداده ولو أدى إلى اغتصاب طائفة المتعصبين..."[3]. ويقول عند تحقيقه لرحلة محمد الكبير: "...قد قمنا بتحقيقها حتى يستفيد منها الجمهور، ويطلع على ماضي أجداده وبلاده ..."[4].

ونختم هذا الحديث بالقول بأن أغلب الباحثين الجزائريين يتفقون بأن مؤلفات العهد العثماني تتسم بالضعف (ركاكة الأسلوب، كثرة الاستطراد، أخطاء إملائية...الخ)، ومع هذا فهم يؤكدون على الاهتمام بهذا التراث، واعتبار كل وثيقة دونت في العصر العثماني تاريخا، لما تحتويه من أخبار ومعلومات عن ذلك العصر.

2. أماكن وجودها (حفظها):

يعتبر العلامة بروكلمان أول رائد في جمع شمل المخطوطات العربية عموما[5]، وقد حاولت في هذا الموضع. أن أعطي تقارير عن بعض المخطوطات التاريخية -المؤلفة في العهد العثماني- في مختلف مكتبات العالم المختلفة.

فقد يتساءل البعض منا عن سبب ذكر أماكن وجود المخطوطات؟ وأهميتها؟ فنقول بأننا نورد أماكن وجود المخطوطات حتى يتيسر لنا توثيق ذلك التراث من جانب، ومن جانب آخر حتى نعرف أهمية الكتاب وذلك من عدد نسخه، ونتعرف على أهميته أكثر من خلال عدد طبعاته.

1- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته**، مصدر سابق، ص11.

2- أبو عبد الله محمد بن ميمون، **مصدر سابق**، ص99.

3- أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **مصدر سابق**، ص5.

4- أبو العباس أحمد بن هطال، **مصدر سابق**، ص11.

5- عبد الله يوسف الغنيم، **المخطوطات العربية**، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت، 1980م، ص6.

- استعملت هذه العلامة " / " للفصل بين بلد وآخر.

وقد اكتفيت في هذا العمل بذكر أسماء الكتب المخطوطة، وأماكن وجودها وأرقامها، وما طبع منها مع التركيز على الطبعات الأولى منها، ومؤسسة طبعها، وجعلت ترتيب الكتب حسب الترتيب التاريخي للمؤلفين.

ابن مريم المديوني (ت 1611م)

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: موجود منه نسختين بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، الأولى تحمل رقم: 2411، والثانية رقمها: 2022 ونسخة أخرى موجودة بمكتبة المدرسة العليا بالجزائر/ ونسخة في فرنسا في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 4630.

اختصر هذا الكتاب مترجما إلى الفرنسية(A. Delpech) ونشره بالمجلة الإفريقية سنة 1883م، (ص387-399) و1884م، (ص153-160 و355-370)، وترجمه (F. Provenzali) إلى الفرنسية (ط. 19. 10) / وطبع هذا المخطوط بالجزائر عام 1908م (المطبعة الثعالبية)، تحقيق محمد بن شنب، ثم أعيد نشره مؤخرا في طبعة مصورة عن تحقيق ابن شنب مع مقدمة له من طرف الأستاذ عبد الرحمان طالب ضمن منشورات ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1986م، مما سمح لجمهور القراء الانتفاع به والتعرف على تراجمه.

أحمد المقري التلمساني (ت 1632م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: موجودة منه عدة نسخ في مختلف مكتبات العالم ففي المكتبة الوطنية بالجزائر موجود تحت رقم: 1730 و1731 و1732 و1733 بأجزاء مختلفة فالنصف الأول رقمه: 2436، 2836 (القسم 2 من الجزء 3 من الكتاب) و2859 مقطع منه / اسبانيا: المجتمع الملكي للتاريخ بمدريد: 1(القسم الثاني) /بريطانيا: مكتبة المتحف البريطاني بلندن: 669 (الملحق) / تركيا: مكتبة راغب باشا باسطانبول 1173؛ مكتبة سليم آغا باسطانبول: 857 (ج. 1)، 858 (ج. 2 والأخير)؛ مكتبة السليمانية باسطانبول: قسم أسعد أفندي 2239 (تام)، قسم أياصوفيا: 3505 (ج. 1)، 3506 (ج. 2)، 3507 (ج. 3 والأخير)، قسم رئيس الكتاب: 940 (تام)؛ مكتبة كوبرولو باسطانبول: قسم محمد باشا: 1182 (ج1)، 1183 (ج2)، 1184 (ج3 والأخير)؛ مكتبة نورعصماني باسطانبول: 1140 (ج1)، 3163 (ج2 والأخير)، 3164 (ج2 والأخير)، 3166 (ج1،2 والأخير) / تونس: جامع الزيتونة بتونس5 (3ج)؛ دار الكتاب الوطنية بتونس: 3152، 3664؛ المكتبة الأحمدية لجامع الزيتونة بتونس: 4650، 4651، 4652 (مع العلم أنه وردت تحت رقم: 3652 ورجحنا الأول لتكامله مع الأرقام الأخرى)، 4653، 4654، 4655، 4656، مكتبة حسن حسني عبد الوهاب (ضمن دار الكتب الوطنية بتونس: 18764) جزء منه / سوريا المكتبة الظاهرية بدمشق: 3487 (مج1)، 3488 (مج2)، 9595، 8746 / فرنسا: المكتبة الوطنية بباريس: 1882، 1883، 1884، 1885، 1886، 5828 / لبنان: الجامعة الأمريكية بيروت: 201 (القسم الجديد)/ مصر: الجامع الأحمدي بطنطا: 29 (مج1)، 128 (ج6) 129 (الربع

الأخير): سير وتراجم / المغرب: خزانة ابن يوسف بمراكش: 417 (ج2)؛ الخزانة الحسينية بالرباط: 1672، 1971، 5859، 6273، 7820، 8253، 8465، 8506، 8524، 9158، 9814، 9874؛ الخزانة العامة بالرباط: 375 (104)،509 (209) / 6. 8 (مستلات من الكتاب)، 5086 (D544) [ج5،1]،2087 (D598) [ج2 من بين 4]،2088 (D1677) [ج4 والأخير]؛ زاوية تغملت بإقليم بني ملال: 479 (ج1).

أما عن الطبع فقد طبع الجزء الخاص بالمسلمين في الأندلس بلندن (بريطانيا) 1840م؛ طبع بليدن (هولندا) عام 1861-1865م (ج2) النصف الأول[1]؛ط. ببولاق (القاهرة) 1279هـ (4ج)، القاهرة 1302هـ (4ج)، القاهرة (المطبعة الأزهرية) 1302هـ/1884م، 1304 (4ج)، القاهرة (عيسى البابلي الحلبي)[2] 1355هـ/1936م (9ج)، القاهرة، (مطبعة السعادة) 1367هـ/1946م (10ج في 5مج)؛ بيروت (لبنان): دار الكتاب العربي، د، ت (10ج في 5مج مصورة) عن: ط 1949م وطبعة أخرى بـ (15مج)، بيروت (لبنان): دار صادر 1968م، وأعيد تصوير نفس الطبعة عام 1988م (8مج ومج 8 عبارة عن فهارس)؛ نشره (W. Wright,L. Krehl. G. Dugot,R,Dozg) مترجما إلى الفرنسية (ط. ليدن1861-1865م)؛ نشره أحمد زيد الرفاعي (ط. 1936م)، ونشره أيضا محمد محي الدين عبد الحميد (ط. 1949م)؛ ونشره إحسان عباس (ط. 1968م).

- رحلته في المشرق والمغرب: موجودة في المكتبة الوطنية تحت رقم: 3191 وهي غير محققة، وقد قام الطالب محمد بن معمر قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران طلب إلى المكتبة الوطنية، للحصول على نسخة من هذا المخطوط مع ذكر أنه لديه نسخة منه، وقد شرع في تحقيقها، وليست لدي أي معلومات إن حققها أم لا، فقد حاولت معرفة ذلك لكن لم أصل إلى جواب.

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: موجودة نسخة منه بتركيا بمكتبة السليمانية (ج1) تحت رقم: 4185.

-طبع هذا الكتاب بمصر (ثلاثة أجزاء) ولا يزال الرابع تحت الطبع (حسب ما أورده عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر في الجزء الثاني). / وطبع بعضه بتونس.

وقد قام بتحقيق هذا المخطوط مصطفى السقا، وإبراهيم الأياري، وعبد الحليم شلبي، وذلك بالقاهرة عام 1942م.

1- يذكر بروكلمان بالنسبة لهذه الطبعة تاريخ: 1855-1861م (ج2، ص297).

2- تعد هذه المخطوطة من المخطوطات التي ظهرت حديثا و لم يذكرها الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي.

- فتح المتعال في أوصاف النعال: موجود منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، تحت رقم: 1699 تركيا: مكتبة نورعصماني تحت رقم: 3398.

- لا يزال هذا الكتاب مخطوط و لم يحقق.

- النفحات العنبرية في وصف خير البرية: موجود بتركيا نسختين الأولى في مكتبة السليمانية (قسم أسعد أفندي) تحت رقم: 452، الثانية في نفس المكتبة (قسم رئيس الكتاب) تحت رقم: 939. وليست لدينا أي معلومات عنه سوى ما أوردناه - لا نعلم إن حقق أم لا-

- الجمان في مختصر أخبار الزمان: له عدة نسخ موجودة بتركيا،الأولى في مكتبة السليمانية (قسم لالولي) تحت رقم: 2098، والثانية في مكتبة كوبرولو (قسم محمد باشا) تحت رقم: 1068. ولا يزال هذا الكتاب مخطوط.

- محمد بن عبد الكريم الفكون (ت. 1662م)

- منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية: يذكر لنا الشيخ المهدي البوعبدلي بأن لديه نسخة، ونسخة للشيخ الأمير، وقد أشارت بعض المراجع إلى وجود نسخة بالمكتبة الوطنية، فبحثت عنها في فهارس المكتبة واستعنت بالحاسوب، فلم أعثر على أثر لها. ظل منشور الهداية مخطوطا رغم أهميته التاريخية والأدبية، وقد ذكره كل من فايسات (E. Veyssettes) وشاربنو(Cherbonneau)، ونقل منهم أبو القاسم الحفناوي في تعريف الخلف برجال السلف. إلى أن قام بتحقيقه الأستاذ. الدكتور أبو القاسم سعد الله اعتمادا على مخطوطة أمير، وكانت الطبعة الأولى للكتاب عام 1987م بيروت- لبنان.

لخضر بن مخلوف:

- قصيدة صلوا على النبي وأرضوا العشرة: لم تحقق بعد، موجودة نسخة منها في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، تحت رقم: 1635 (عدد أوراقها ثمانية).

عبد الرحمان المجاجي:

- الرحلة المجاجية: موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم: 1564 و1565 (نسختين)، هذه الرحلة لازالت مخطوطة و لم تحقق (وقد اطلعت على طلبات التحقيق بالمكتبة الوطنية و لم أجد أي طلب لتحقيقها). وقد أشار إلى هذه الرحلة الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، الجزء الثاني.

سعيد المنداسي:

- الديوان: يوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر(تحت رقم: 1989، ورقات 114-124)، وتتضمن ست قصائد مجموع أبياتها 352 بيتا. وقد جمع الأستاذ محمد بكوشة ما عثر عليه من الشعر العامي للمنداسي، ونشره

بالجزائر بعنوان: "ديوان المنداسي" عام 1968م، وقام الأستاذ رابح بونار بنشر القصائد العامية للمنداسي من مخطوط المكتبة الوطنية، وذلك عام 1976م.

- قصيدة -العقيقة- في مدح النبي صلى الله عليه وسلم: توجد نسخة بالرباط رقم: 1874 (1636)، ترجمت إلى الفرنسية من قبل الجنرال فوبيكي، طبعت بالجزائر سنة 1901م، من قبل بخوشة محمد.

ابن القاسم أحمد البوني:

- قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم: موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم: 1859. ولازالت هذه القصيدة مخطوطة، وقد تحدث عنها صاحب فهرس الفهارس (ج1. ص169-172).

- قصيدة في مدح الأمير الشهير بالشريف الدولاتي بالجزائر لأحمد بن قاسم البوني: موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم: 1847. لازالت مخطوطة وقد تحدث عنها أيضا صاحب فهرس الفهارس (ج1. ص169-172).

- التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي أبي مروان الشريف[1]: هذا الكتاب محقق، وقد طبع سنة 2000م وقدم في مهرجان هيبون الذي يقام كل سنة بعنابة، ولم نعثر لهذا الكتاب على نسخة أصلية، فكل ما يذكره محققه بأنه تحصل على صورة شمسية لهذه النسخة مكتوبة بخط حسن بن الشاذلي بوزمند.

- تعليق على فتوى الحضانة: مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم: 2160، لم تحقق بعد.

أبو عبد الله محمد بن ميمون (ت بعد1746)

- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية[2]: موجودة نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة رقمها: 1625 / نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 4652 في مكتبة فاليي. ترجمة ليون فاي (Léon fey) إلى الفرنسية ونشره عام 1846م، ظل الأصل غير مطبوع ولم يصبح في متناول القراء إلا بعد أن قام الباحث محمد بن عبد الكريم بتحقيقه اعتمادا على عدة نسخ (ط1 و2 : 1972 و1981م).

أبو المكارم عبد القادر المشرفي (ت حوالي 1778م)

- بهجة الناظر في أخبار الداخلين ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر: موجودة نسخة منه بمكتبة وهران رقم: 429 (وهي النسخة التي اعتمدها محمد بن عبد الكريم في التحقيق، زيادة على نسخة

1- لم يذكر هذا الكتاب كل من الدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور ناصر الدين سعيدوني، وعثر على هذا الكتاب حديثا وقد نشره سعيد دحماني.

2- نقلت هذه النسخة من مسودة بخط المؤلف كما هو مبين عند ذكر تاريخ النسخ في نهاية المخطوط (ق. 80. ظ).

-رقم فانيان المخطوط بالصفحات، وهناك نقص ما بين 15 و16 (من ص29-42 حسب ترقيم فانيان). وما بين 56 و57 (ص121-138 من ترقيم فانيان)

كانت ملكه). نشر نصها العربي مع ترجمة إلى الفرنسية من قبل الأستاذ بودان (Boudin) بالمجلة الإفريقية لعام 1924م. وقام بتحقيقها مؤخرا الأستاذ محمد بن عبد الكريم، وقام بنشرها بمكتبة الحياة بيروت.

الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (ت 1779م)

- نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار: توجد نسخة بزاوية الهامل تحت رقم: 30. لم يشر إليها ابن شنب، قام بنشر رحلة الورثلاني محمد بن شنب اعتمادا على نسخ مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف صفحاتها 642، وثلاث نسخ لا ندري من حيث تحصل عليها، أما النسخة الرابعة فيقول بأنها مطبوعة على الحجر في جاضرة تونس سنة 1321م، قام بتصحيحها الشيخ علي الشنوفي والشيخ الأمين الجريدي وهي مشتملة على ثلاث أجزاء. وقام بنشرها بالجزائر عام 1908م، مطبعة فونتانا، ثم أعيد نشرها مصورة ببيروت سنة 1974م.

محمد بن رقية الجديري التلمساني(ت 1780م)

- الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة[1]: توجد عدة نسخ مخطوطة للزهرة، نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 1626، ونسخة بمكتبة سعد الدين بن شنب / ونسخة في مكتبة ميونيخ بألمانيا تحت رقم: 419. قام بترجمتها ألفونس روسو (A. Rousseau) إلى الفرنسية بعنوان يوميات إيالة الجزائر من طرف (Bresnier) بالمجلة الإفريقية سنة 1864م. وقام بتحقيقها مؤخرا الأستاذ سليم بابا عمر من جامعة الجزائر نشره بعد أن وضع له عناوين فرعية في مجلة تاريخ وحضارة المغرب عدد3 / 1967م. (ص-ص. 2-32).

عبد الرزاق بن حمادوش (ت 1783م)

- لسان المقال في النبأ والنسب والحسب والحال: توجد منه نسخة بمكتبة الكتانية (الخزانة العامة للرباط) تحت رقم: ك 463 (وهي النسخة المعتمدة في التحقيق). حقق الدكتور أبو القاسم سعد الله "الرحلة" بالجزائر عام 1983م. نشر المؤسسة الوطنية للفنون.

أبو العباس أحمد بن عمار (ت 1788م)

1-يملك هذه المخطوطة السيد روسو (Alphonse Rousseau) الذي كان كاتبا مترجما بمديرية المالية للسلطة الفرنسية بالجزائر، وقد أهداه للمكتبة الوطنية في 15مارس1841م. كتب هذا المخطوط بإذن محمد باي بن عثمان وحسب تشابه اسم الناسخ مع اسم المؤلف فيمكن أن يكون هذا المخطوط هو النسخة الأصلية، وقد كان الفراغ من تأليفه في ذي الحجة 1193هـ. ينظر: **المخطوط**. ق. 15. ظ.

- نبذة من كتاب نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب: توجد نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2757، يرجح مصحح النبذة بأنها توجد نسخة كاملة بالحرمين الشريفين والقاهرة وتونس، طبعت هذه النبذة في مطبعة بير فونتانة بالجزائر 1902م.

أحمد سحنون الراشدي (ت 1796م)

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم: 5114 / ونسخة بالملكية التيمورية بالقاهرة تحت رقم: 2186 / ونسخة في ملكية الشيخ المهدي البوعبدلي. قام بتحقيق هذه المخطوطة الشيخ المهدي البوعبدلي ونشره ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، قسنطينة 1973م.

عبد الرحمان الجامعي:

- شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران: نسخة موجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2521، ونسخة أخرى هي ملك للأستاذ محمد بن عبد الكريم / نسخة موجودة بباريس تحت رقم: 5113.

عبد الله بن زرفة (ت ما بين 1800-1801م)

- الرحلة القمرية في السيرة المحمدية: موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم: 2597، ونسخة ملك للشيخ المهدي البوعبدلي، ونسخة عند الأستاذ علي أمقران السحنوني، وقد أعطى نسخة مضروبة على الآلة الراقنة للأستاذ أبو القاسم سعد الله. هذه الرحلة لخصها هوداس في مجموعة الأبحاث الشرقية، التي قدمت إلى مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد بمدينة الجزائر سنة 1905م.

أحمد بن هطال التلمساني (ت 1804م)

- رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري: توجد نسختين بالمكتبة الوطنية بالجزائر الأولى تحت رقم: 1643 والثانية رقمها: 1644. نشرت الرحلة بالمجلة الإفريقية بالجزائر عام 1858-1859م، 1859-1860م بالعددين 3 و4، وطبعة أخرى في القاهرة عام 1969م، ترجمه قرقوس (Gorguos) إلى الفرنسية ونشر بالمجلة الإفريقية عام 1858-1860م. حققه الأستاذ محمد بن عبد الكريم، نشر عالم الكتب (ط1، القاهرة 1969م).

أبو راس الناصر (ت 1823م)

-فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: توجد منه ثلاث نسخات، الأولى ملك لعبد الرحمان الجيلالي الجزائري، والثانية ملك للشاعر أحمد جلول البدوي الجزائري، والثالثة ملك للشيخ عبد الحي الكتاني المغربي موجودة (بالخزانة العامة للرباط). حققها محمد بن عبد الكريم، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990م.

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، الأولى تحت رقم: 1632، والثانية 1633، ونسخة ملك للأستاذ محمد بن عبد الكريم ترجمها إلى الفرنسية (Arnaud)، ونشر بالمجلة الإفريقية 1878-1884م، ونشرها مترجما إلى الفرنسية في الجزائر. أما عن التحقيق فقد اطلعت في المكتبة الوطنية (على دفتر تسجيل فيه طلبات تحقيق)، فوجدت طلب لتحقيق هذا المخطوط من طرف الأستاذ بوركبة (وهو أستاذ مساعد لكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية) جامعة وهران وذلك بـــ: 2002/05/14م من أجل تحضير أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، وقد ووفق على طلبه.

مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت. 1832م)

-خاتمة أنيس الغريب والمسافر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين: توجد نسختين منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، الأولى تحت رقم: 2317، والثانية تحمل رقم: 1634. ترجم إلى الفرنسية من طرف (A. Rousseau) عام 1854م، كما ترجمه (A. Delpech) إلى الفرنسية أيضا ونشر بالمجلة الإفريقية 1874م، في القسم الخاص بثورة درقاوة. حققه رابح بونار نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م.

ونختم حديثنا في هذا الفصل بالقول إن مدونات وكتب، ونقول مؤلفي العهد العثماني، تشتمل على الغث والسمين المقبول والمردود، فقد كان البعض منهم يكتب ما يسمع دون تحقيق أو تمحيص ودون أن يخضعه للعقل[1].

ثم إن أغلب مؤلفي هذا العهد متأثرين بالقرآن الكريم، يتضح ذلك جليا في مؤلفاتهم من خلال تغنيهم بمظاهر الكون في مؤلفاتهم، واستعمالهم للعبارات القرآنية أي: كثرة الاقتباس من القرآن الكريم.

زيادة على ذلك فالملاحظ لكتب العهد العثماني، يجد غياب المنهج المتخصص فالكل يكتب بمنهج واحد، فالمؤرخ ينتهج منهج الرحالة والمترجم والمؤلف للكتب الدينية، زيادة على أن الكل يتبع منهج الوصف والسرد للأحداث، وذلك ما أعطاه نسقا واحدا لا نستطيع من خلاله التمييز بين ما هو تاريخي وبين ما هو رحلة.

1-ذلك لأن العثمانيين لم يهتموا بتدوين العلوم وتشجيع المؤلفين، لذلك فالمؤلفون -تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول- كانوا يكتبون من أنفسهم وبدوافع مختلفة، إما لحبهم للعلم أو ...الخ، ولا ننسى أن هذا العصر هو عصر الانحطاط الثقافي عند المسلمين، فهو العصر الذي انطفأت فيه شعلة العلوم عند المسلمين -وتوقدها عند الأوروبيين عصر النهضة الأوروبية- وأخذوا ونقلوا من كتب القدامى دون أن يضيفوا عليها أو يخضعوها للعقل...الخ.

الخـــــــاتمة

نجمل القول فيما قدمناه في البحث تدريجيا، أن حركة التأليف التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني،قد اتصفت بالعديد من الخصائص والسمات في المضمون والشكل.وأهم ما استخلصناه نذكره في الآتي:

-أن الذين كتبوا في العهد العثماني لا يعدون مؤرخين إذا حكمنا عليهم بمقياس عصرنا،أما إذا حكمنا عليهم بمقياس الفترة التي عاشوا فيها والظروف المحيطة بهم فهم مؤرخون.

-أن المؤرخ في العهد العثماني لا يعد مؤرخا إلا إذا قام برحلة، فهي شرط من الشروط التي يجب أن تتوفر في المؤرخ.

-أن التأليف التاريخي عند الجزائريين في العهد العثماني،قد تنوع بين كتب تاريخ وتراجم وسير ورحلات،كما تنوع أيضا بين شكل النثر كرحلة ابن حمادوش وشكل النظم كرحلة المجاجي وابن مسايب ...الخ.

-لاحظنا تنوعا في مضمون المؤلفات التاريخية؛إذا اشتملت في ثناياها على موضوعات جغرافية وتاريخية:كالتعريف بالمسالك المتبعة آنذاك من بلاد الجزائر إلى بلاد الحجاز، وبالظواهر الاجتماعية الملفتة للانتباه، ووصف الحركة الثقافية والدينية ،والترجمة لأهم ممثليها في المغرب والمشرق كما لم يهمل المؤلفون ذكر بعض الأخبار الاقتصادية والسياسية والأحداث التاريخية الكبرى كفتح وهران.-

-لاحظنا أن علاقة المؤرخين الجزائريين بالسلطة العثمانية كانت إما علاقة طيبة كما هو الحال لعبد الكريم الفكون وأحمد بن قاسم البوني ...الخ. وإما علاقة سيئة كما هو الحال لسعيد المنداسي أو علاقة حياد لا تأييد ولا نفور كما هو الحال لبن مريم مثلا.

-تعدد أغراض التأليف التاريخي عند المؤرخين الجزائريين ،فهذا يؤلف لأجل الحصول على إجازة علمية والآخر لأجل التقرب للحكام،وذلك يندد بالحكم العثماني وهذا يؤلف لأجل التعريف بعلماء بلده،والآخر يسجل رحلته ويقتدي بعلماء المشرق في الكتابة ،ومع تنوع أهداف التأليف التاريخي عند الجزائريين ،إلا أن العامل المشترك بينهم جميعا هو الدافع الديني،فهو مبدأ أساسي وعامل محفز على تآليفهم. نلمس ذلك خاصة في مقدمات مؤلفاتهم، من خلال تغنيهم بالظواهر الكونية.

-لاحظنا على مؤلفات العهد العثماني أن التدوين الأولي يكون للمؤلف، بعدها ينسخ عنه طلبته أو يقوم النساخ بإعادة التدوين، إذ كثيرا ما نجد في آخر المخطوط نقلت من مسودة المؤلف،كما هو الحال بالنسبة لكتاب:"التحفة المرضية..."،ورحلة ابن عمار...الخ. وقد يقوم المؤلف بإعادة نسخ مؤلفه بنفسه عدة مرات ،كما هو الحال بالنسبة لعبد الرزاق بن حمادوش.

-أما عن صناعة الكتاب بالجزائر فقد كان هناك بعض المشتغلين بهذه الصناعة إلا أنهم قليلون، ذلك لأن هذه الصناعة لا تجلب المال من جهة، ومن جهة أخرى فالدولة العثمانية لم تشجع العلوم وان كنا نعود ونقول بأن الأتراك وظيفتهم بالجزائر هي حفظ الأمن وحماية الحدود، وجباية الضرائب.

-أما عن تسويق الكتب فقد عرفنا بأن الجزائريين لم يعرفوا الطباعة خلال العهد العثماني ،فقد كانوا ينسخون الكتاب الواحد عدة مرات،ويتناقلون هذه الكتب فيما بينهم عن طريق الشراء أو الإعارة أو النسخ على بعضهم البعض،ثم إن هذه الكتب لا تخرج عن دائرة العلماء وطلبتهم والقلة القليلة من المجتمع الجزائري (أي أن العامة لم تكن تهتم بالعلم).

-والملاحظ على منهج المؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني أنهم تقريبا ينتهجون منهجا واحدا فلا فرق بين من يكتب رحلة أو تراجم أو يؤرخ لحادث ما،فالكل ينتهج المنهج الوصفي. أما أسلوبهم والتعابير التي كانوا يستخدمونها فقد كان هناك من المؤرخين من تنحدر تراكيبه وألفاظه إلى مستوى العامية كابن مسايب.

-والملاحظ لهذه المؤلفات أيضا يجد أن بعض مؤلفيها قد استعانوا بالشواهد الشعرية وغلبة الجمل الطويلة على القصيرة في النصوص، وكذلك استعمالهم لأساليب البيان والبديع ،وغلبة السجع والمحسنات البديعية الأخرى، التي تعكس سمة الكتابة آخر العهد العثماني.

-اعتماد أغلب المؤلفين الجزائريين خلال العهد العثماني في نقل الأخبار،على مشاهداتهم الشخصية أو على مرويات الآخرين المسموعة والمقروءة، وكثيرا ما كانت المعارف المعروضة من قبلهم مباشرة ينعدم فيها التحليل والتعليل، لتتدخل فيها عواطف المؤلفين ومواقفهم وأحكامهم الذاتية،وهكذا فقد كانت المشاهدة المباشرة قاعدة منهجية وضرورية في كتاباتهم.

-ويمكن لنا معرفة القيمة التاريخية لهذه الكتب من خلال أهميتها في الكتابات الحديثة ،فلا يكاد يوجد بحث أو كتاب عن الجزائر في العهد العثماني إلا واعتمد عليها، واهتمامنا نحن أبناء العصر بالوثائق والفضول لمعرفة الماضي، جعلنا نأخذ أي وثيقة دونت في العهد العثماني ونعتبرها تاريخا. وقد أقبل الباحثون الجزائريون حديثا على تحقيق هذه المؤلفات ونشرها.

-ونقول في الأخير أنه رغم قلة المؤلفات التاريخية -مقارنة بالمؤلفات الأخرى- إلا أنه في تلك المجموعة القليلة من الكتب، ما ينفي رأي شلير الذي ينفي وجود العلم والتعليم في الجزائر، ويدعي أن السكان يحتقرون العلوم ويعكفون على تعلم القرآن.

-تأثير الغير بالثقافة الجزائرية فقد وجد العديد من الكتب الجزائرية المؤلفة خلال العهد العثماني بمختلف مكتبات تركيا وقد كانت منسوخة بالخط الشرقي.

ملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

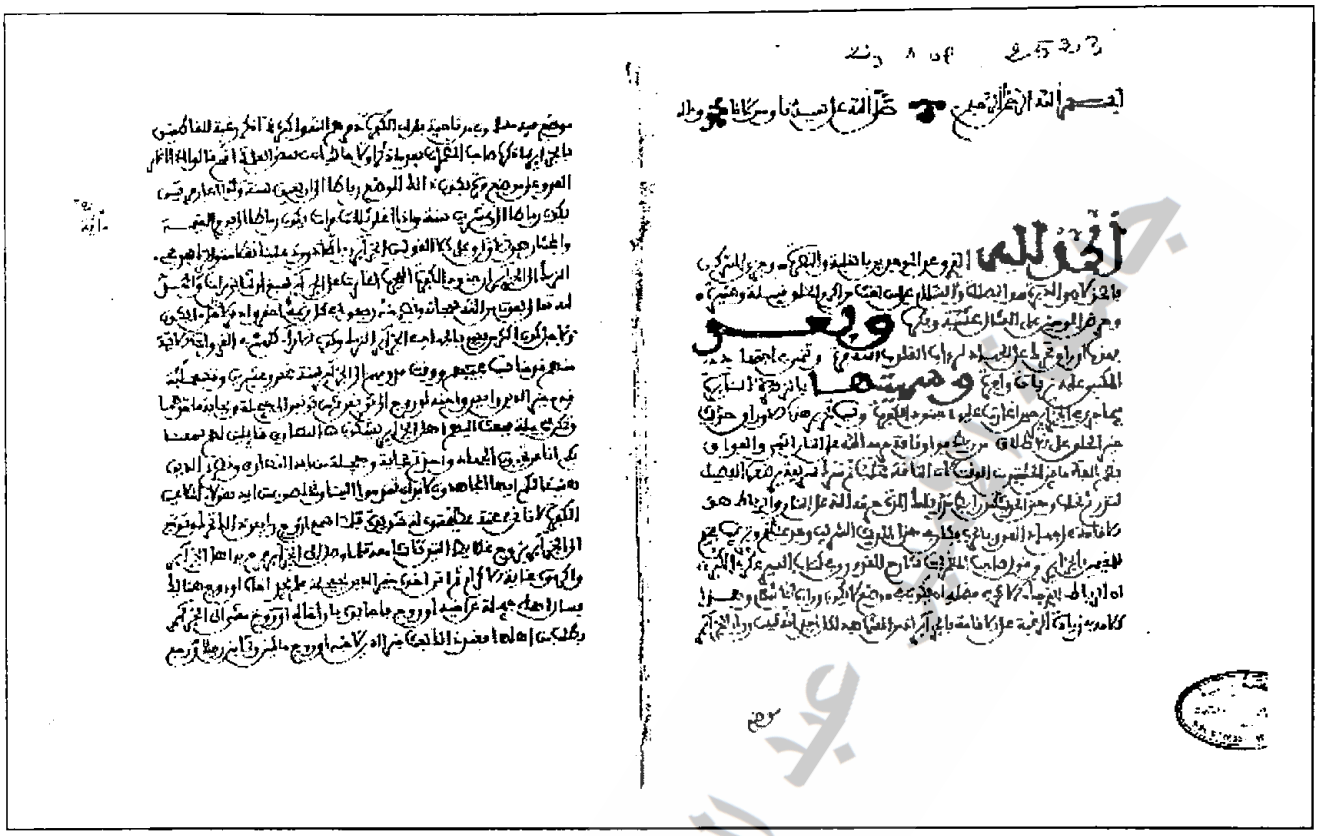

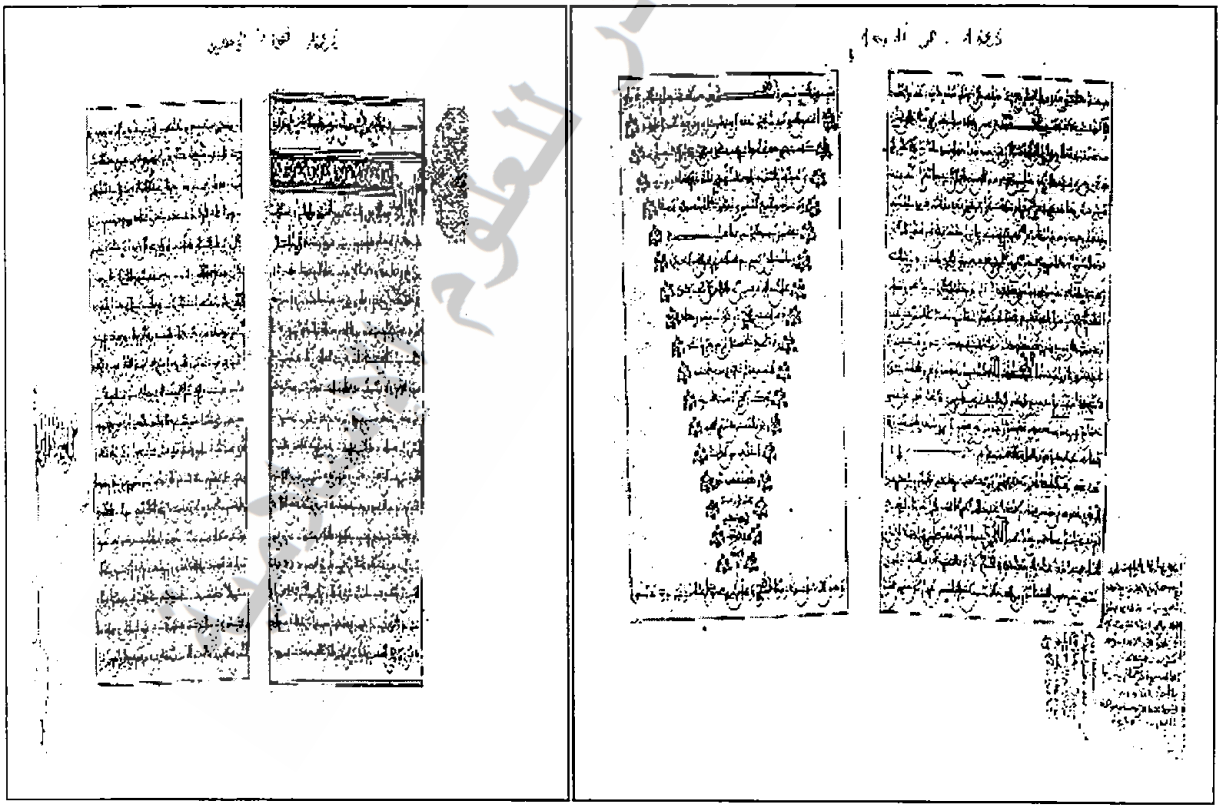

شكل خطوط الكتابة في العهد العثماني واختلافها بين خط منظم ومنسق وعادي

مصادر ومراجع معتمدة[1]

القرآن الكريم

- سورة ق"الآية: 6-7.
- سورة لقمان الآية: 31.

(أ)

- أحمد الزروق، **تعليق على فتوى الحضانة لأحمد البوني**، مخ. م. و. لج، رقم 2160
- أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية، ش. و. ن. ت، ج. 1، تونس 1976.
- أحمد بن علي المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، ج. 1، القاهرة.

أحمد بن أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر.

- أحمد القلقشندي أبي العباس، **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية، ج. 1، القاهرة، 1922م.

-أحمد زقزوق، **موسوعة المفاهيم الإسلامية**، القاهرة، 2000م، (الإصدار الأول).

-أحمد سحنون الرشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي منشورات وزارة التعليم والشؤون الدينية (سلسلة التراث).

- أحمد بن قاسم البوني، **التعريف ببونة إفريقيا بلد سيدي الشيخ أبي مروان الشريف**، تح: سعيد دحماني، دار الهدى.

-إبراهيم صحراوي، **تحليل الخطاب الأدبي**: دراسة تطبيقية، دار الآفاق، ط. 1، الجزائر، 1999م.

-أنور الجندي، **أعلام الإسلام**، دار الاعتصام، ج. 3.

(ب)

- ابن بطوطة، **رحلة النظار في غرائب الأمصار**، تح: ظلال حرب، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1992م.

[1]- فضلنا أن ندمج قائمة المصادر والمراجع معا ونرتبها حسب الحروف الهجائية، تفاديا لتكرارها هجائيا

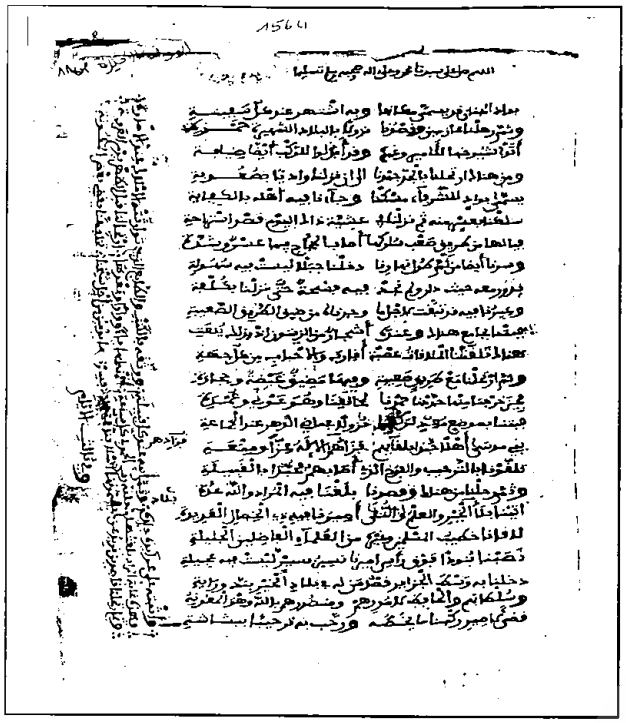

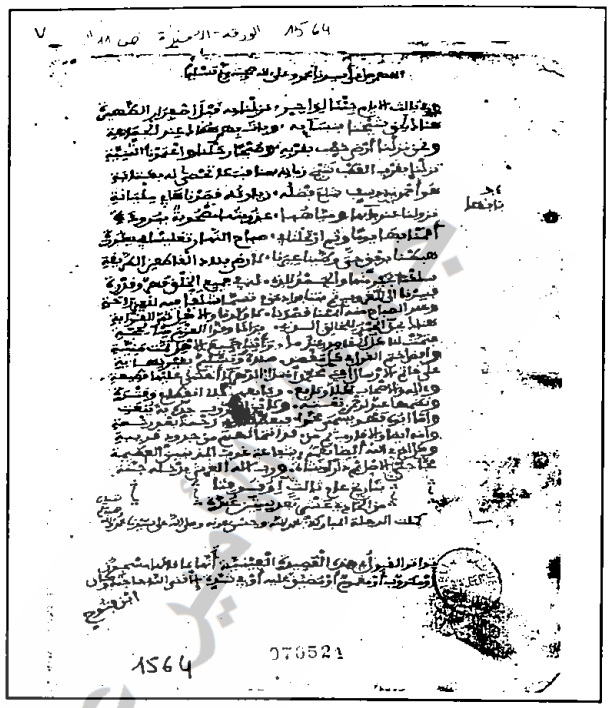

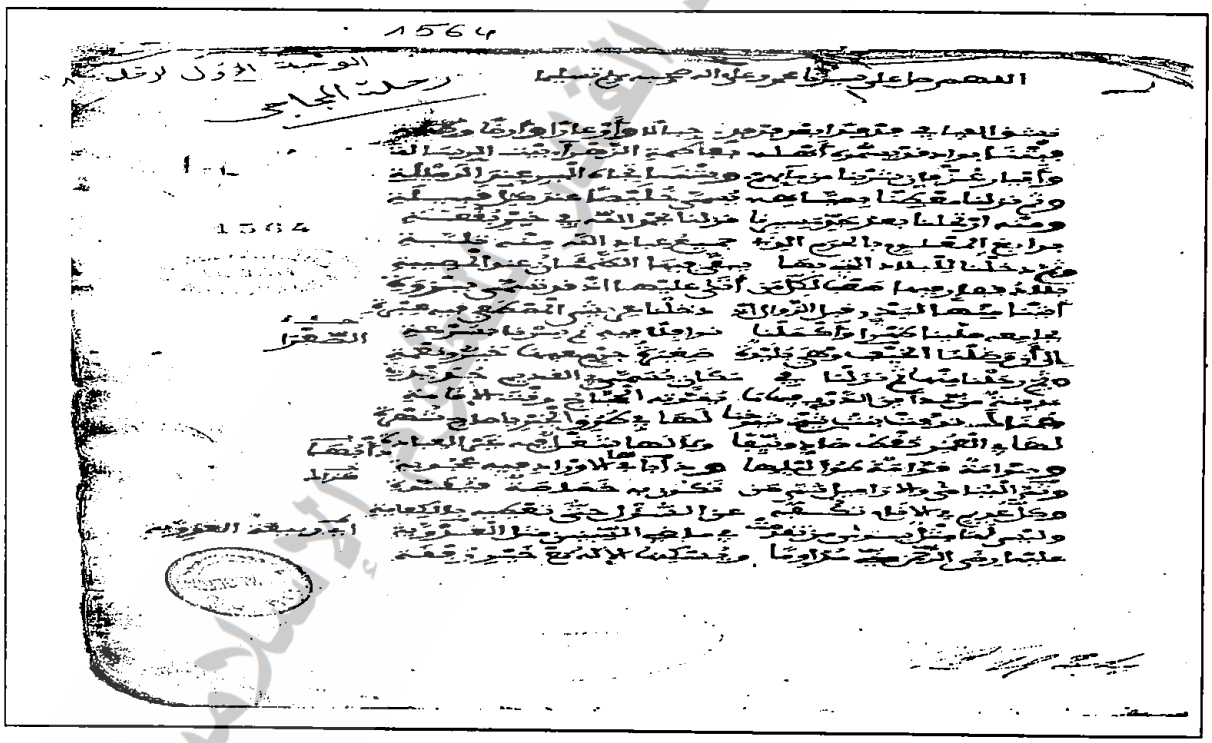

شكل خطوط الكتابة في العهد العثماني واختلافها بين خط منظم ومنسق وعادي

(ن)

– **ناصر الدين سعيدوني،**

1–**من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**: تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1999م.

2– **دراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

(ح)

– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر 1982م.

–حمد المبارك، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تح: نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1952م.

– حسن محمود حسن، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، ط. 2، بيروت، 1983م.

–حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، ج. 3، بيروت، القاهرة، 1991

– الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، نشر: محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، ط. 2، بيروت– لبنان، 1974م.

– أبي الحسن علي بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت–لبنان.

(خ)

–خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملاين، ج. 6، ط. 10، بيروت، 1992م.

–خليفة حماش، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

–خليفة حماش، "أهداف البحث العلمي ومبادئ الكتابة عند علماء المسلمين"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، ع 6، قسنطينة 1999م.

– خالدوف، **الثقافة الكتبية**، دراسات في تاريخ الثقافة العربية القرون(15–16م)، دار التقدم.

(ص)

– صبري إبراهيم السيد، **المصطلح العربي**، دار المعرفة الجامعية، ج. 2، 1996م.

– صالح بن محمد العنتري، **تاريخ قسنطينة**، تقديم: يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991

(ج)

-جوزيف شريم، "الهندسة الصوتية في القصيدة المعاصرة"، **عالم الفكر**، مج. 22، الكويت، ع: 3-4، 1994

(ع)

- أبو العباس أحمد بن هطال، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري**، تح: محمد بن عبد الكريم، القاهرة، 1969.

-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، ج. 8، 1956.

-أبو عبد الله محمد بن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1908.

-أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**، م. و. ك، الجزائر، 1989م.

- ابن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ج. 1، ط. 1، بيروت-لبنان، 1990م.

- عبد العليم عبد الرحمان خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. 2، 1995م.

- أبو العباس أحمد بن عمار، **نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة بير فونتانه، الجزائر، 1902.

- أبو عبد الله محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، ط. 1، الجزائر، 1972م.

- عبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

- **عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم**،

1- **الفكر التاريخي في مصر إبان العهد العثماني**، القاهرة 1982

2- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، "وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية عن المغاربة في مصر"، المجلة **التاريخية المغربية**، ع: 27-28، 1982م.

- عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1993.

- عبد الرحمان المجاجي، **الرحلة المجاجية**، مخ. م. و. لج. رقم 1565.

- عبد الكريم بن الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت-لبنان، 1987م.
- عبد الرحمان الجامعي، **شرح أرجوزة الحلفاوي**، مخ. م. و. لج، رقم 2521.
- عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي** 1816-1871م، الدار التونسية للنشر، ط. 1، 1972
-عبد الرزاق ابن حمادوش، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائر، 1983
- عبد القادر أوقاسي، **مخطوطات المؤلفين الجزائريين في المكتبة الوطنية للجزائر**: فهرس فانيان، رسالة ماجستير، علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر، (1996-1997م).
-عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، بيروت 1971
- عادل نويهض، معجم **أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط. 2، بيروت-لبنان، 1980م.
- عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981
- أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1988
-عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، ج. 1، الرباط، 1968
-عبد الرحمان الجبرتي، **عجائب الآثارفي التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، 1980
-عبد الحميد سليمان، "الحياة الفكرية في الولايات العربية"، **المجلة المغربية**، ع: 58. 57، زغوان-تونس.
-عميراوي احميدة،
1-**من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2001
2- **فواصل من الفكر والتاريخ**، دار البعث، قسنطينة 2002م.
3- **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية** (1827-1840م)، دار البعث، ط. 1، قسنطينة، 1987.
- علي أفندي بن حمدان خوجة، **وصف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال عام** 1832م، ترجمة: عميراوي احميدة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000م.
- عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، دار النهضة العربية، القاهرة 1963.
-عبد النور جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، ط. 1، لبنان، 1979
- عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب: حياته وآثاره**، م. و. ك، الجزائر، 1983

- عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب**، المركز الثقافي العربي، ج. 2، ط. 3، بيروت، 1997

- عبد الله يوسف الغنيم، **المخطوطات العربية**، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت، 1980

- عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج. 1، ط. 1، بيروت، 1971

(غ)

- غني توليليه وجان تولار، **مهنة المؤرخ**، عويدات للنشر والطباعة، ط. 1، بيروت – لبنان، 2000

(ق)

– أبو القاسم سعد الله،

1-**تاريخ الجزائر الثقافي** 1500–1830م، دار الغرب الإسلامي، ج. 2، ط. 1، بيروت 1998

2- **داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت –لبنان، 1986م.

3-، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ج. 1، ط. 3، بيروت-لبنان، 1990م

4- **تجارب في الأدب والرحلة**، م. و. ك، الجزائر، 1983.

5- **رحلة إلى المشرق والمغرب**، مخ. م. و. لج، رقم 3191.

6-"مجتمع قسنطينة من خلال منشور الهداية"، **المجلة التاريخية المغربية**، (عدد خاص بالحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني الجزء 1 و2)، 1988م.

- أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: محمد رؤوف القاسمي الحسيني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، ج. 1، الجزائر، 1991م.

(ك)

- كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: نبيه أمين فارس منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط. 5، بيروت، 1968م.

(ل)

- لخضر بن مخلوف، **قصيدة صلوا على النبي وأرضوا على العشرة**، مخ. م. و. لج، رقم 1635.

-لوسيان فاقر وهنري جان مارتان، **ظهور الكتاب**، ترجمة: اللواء محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، 1988م.

- محمد نصر مهنا، **التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط. 1، مصر، 1996م.

- مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ش. و. ن. ت، الجزائر.

-محمد عبد الله عنان، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط. 2، القاهرة، 1970م.

- محمد بن محمد عبد الله، **مجموعة اليواقيت العصرية كتاب نزهة المالك والملوك في تراجم مشاهير الملوك**، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر 1349هـ.

-محمد ابن أبو المكارم عبد القادر المشرفي، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين كبني عامر**، تح: محمد

-محمد المهدي بن علي شعيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1980م.

-محمد أبو راس الناصر،

1- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخ. م. و. لج، رقم 1632

2- **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم، م. و. ك، الجزائر، 1990م.

- محمد الشريف الزهار، **مذكرات الزهار**، تح: أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980م.

- محمد سي يوسف، "دراسة مخطوطة عجائب الأسفار لأبي راس الناصر"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع: 2، 1986م.

- محمد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تح: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية.

- مصطفى بن عبد الله بن زرفة، **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية**، مج. م. و. لج، رقم 3322، ج. 1

-محمد عبد الله عنان، **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ** الإسلامي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط. 1، القاهرة، 1969م.

-محمد بن رقية الجديري، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخ. م. و. لج، رقم 2523.

-محمد خليل بن علي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية**، مج. 1، ط. 3، بيروت-لبنان، 1988م.

- محمد فريد محمود عزت، **قاموس المصطلحات الإعلامية**، دار الشروق، جدة.
- محمد سعيد الشريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر**، ش. و. ن. ت، الجزائر
- محمد بن منظور، **لسان العرب**، إشراف: عبد العالي مهنا، دار الكتب العلمية، ج. 2، ط. 1، بيروت، 1993
-مختار الطاهر فيلالي، **رحلة الورثلاني**: عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة -الجزائر.
-محمد طول، **البنية السردية في القصص القرآني**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
-محمد كريم الكواز، علم الأسلوب: **مفاهيم وتطبيقات**، منشورات جامعة التاسع من أبريل، ط. 1، ليبيا
- محمد الطيب بن بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
- مجد الدين محمد الفيروز بادي الشيرازي، **القاموس المحيط**، صححه: مرتضى، المطبعة الميرية ببولاق المعزية، ج. 2، ط. 3، 1301.
- مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- المهدي البوعبدلي، " عبد الكريم الفكون والتعريف بتأليفه منشور الهداية"، مجلة **الأصالة**، ع: 51، 1977.
- مازن الوعر، "الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية "، **عالم الفكر**، مج. 22، الكويت، ع: 3-4، 1994م.
-مسلم بن عبد القادر الوهراني، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين**، تح: ش. و. ن. ت، 1974م.

(ي)

-يحيى بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ج. 2، ط. 1، بيروت، 1995م.

- Bencheneb (M), « Itinéraire de Tlemcen à la Mekke. par Ben-Messaib, (XVIIIe siècle) », **R. A**, 1900, N40.
-Charles FERAUD, « Conquête de Bougie par les espagnols d'après un manuscrit arabe », **R. A**, N. 12, 1868
-Edmond Fagnan, **Catalogue général des manuscrits, de la bibliothèque nationale d'Algérie**, première tranche
Féraud, L « Deuxième becit indigène de L'expédition D'oreilly en 1775 », **in R. A** , année 1865
-Guin (L) « De La Suppression du Manuscrit », in **R. A** ,No 31, 1868.
- Lemnouar Merouche, **recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane**: monnaies, prix et revenus 1520-1830, Paris, 2002.
-Show, Voyage **de Mons show. M. D dans plusieurs province de la barbarie et du la vant**, traduit jean Neauline. t. 1. la haye. 1743.
-Veyssettes, « Histoire de Constantine Sous la domination Turque de 1792-1837 », **in Recueil de Constantine**, 1867
- « Un chant Algérien du XVIIIe siècle » , in **R. A** ,No 38,1894.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– فهرس الأعلام –

(أ)

– أحمد باي : 14، 100
– أحمد العنتري : 14، 15، 45
– أحمد بن هطال التلمساني : 16، 25، 48، 64، 72، 847، 114، 116، 119
– أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي : 25، 47، 52، 62، 71، 76، 92، 105، 114، 116، 126
– أحمد الشريف الزهار : 27، 100، 104، 105، 116
– أحمد المنصور الذهبي : 28
– أحمد السطنبولي : 29
– أحمد الفيلالي : 46
– أحمد بن يوسف المليانى : 51
– أحمد بن عمار : 55، 63، 68، 91، 108، 109، 111، 112، 125، 128
– أحمد بن شقرون : 80
– أحمد بابا السوداني : 97
– أحمد الزروق : 97، 110
– أحمد بن يوسف : 103
– أحمد توفيق المدني : 116
– أحمد زيد الرفاعي : 122
– أحمد بن قاسم البوني : 13، 22، 23، 42، 49، 50، 54، 61، 70، 74، 98، 116، 125، 128
– أسعد أفندي : 121، 123
– أحمد حلول البدوي : 126
– السلطان أحمد الثالث : 47
– إبراهيم أدهم :
– الزياني : 12، 58
– العنابي : 16
– الآغا المزاري : 26، 27
– الكردبوس : 35، 102
– العليمي : 35، 102
– البكري : 35
– السيوطي : 35، 36، 53، 71
– المقريزي : 35
– الغبريني : 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- المسعودي : 36
- السويد : 47
- العبدري البلنسي : 61، 98
- البيدري : 63
- الأكحل لخضر بن مخلوف : 70
- الشيخ الورززي : 73
- القلقشندي : 86
- القرافي : 98
- الملطي : 102
- الصباغ : 102
- البناني : 102
- المهدي البوعبدلي : 116، 123، 126
- الشريف الدولاتي : 124
- أبو العباس أحمد المقري : 15، 16، 28، 43، 34، 39، 40، 48، 51، 52، 53، 68، 69، 73، 80، 86، 99، 101، 109، 111، 112، 121
- الحسين بن محمد السعيد الورتلاني : 16، 29، 35، 55، 58، 63، 65، 72، 76، 82، 91، 102، 103، 104، 106، 108، 109، 110، 111، 113، 117، 125
- أبو المكارم عبد القادر المشرفي : 16، 19، 24، 43، 62، 124
- إبن السويكت
- القلصادي : 52
- الجبرتي : 54
- الناصري : 56
- العياشي : 56، 65، 91
- ابن الدين الأغواطي : 57
- ابن التركي : 58
- ابن المفتي : 58
- إحسان عباس : 122
- إبراهيم الأياري : 122
- إبراهيم الحركاتي : 87
- السلطان العلوي المولى إسماعيل : 13، 20
- أبو القاسم سعد الله : 24، 38، 40، 44، 49، 51، 52، 54، 55، 56، 57، 58، 116، 117، 119، 123، 125، 126

- ابن الشريف الدرقاوي : 25، 47
- أبي العباس أحمد الغبريني : 35
- ابن الصخري : 44
- أبي القاسم القيرواني : 69
- أبي الحسن علي فضلون : 61، 98
- إقليدس : 71
- التواتي : 97
- السهرودي : 97
- الإمام النووي : 98
- القاضي عياض : 51
- إسماعيل : 31
- إقليدس : 71

(ب)

- ابن بابا حيدة : 43، 117
- بوعلام بن الطيب السجراوي : 47
- بوزيد بن عبد الرحمان التجاني : 50
- بروكلمان : 58، 59، 120
- بركات بن باديس : 98
- بونار رابح : 116، 118، 124، 127
- بردان : 125
- بوركبة : 127
- ابن بطوطة : 36

(ت)

- تاج العارفين : 69

(ج)

- جورج : 103
- ابن جرير : 99

(ح)

- حسين خوجة : 13
- حمدان بن عثمان خوجة : 14، 27، 117
- حسين : 25
- حمودة باشا : 26

- الباي حسين : 26
- حسن آغا : 45
- حسن باشا بن خير الدين بربروس : 46
- حسن بن سلامة الطيبي : 54
- حسين الجزائري : 79، 87
- حسن أزون : 106
- حسن عوارزو : 115
- بن حمودة : 115
- حسن بن عبد الوهاب : 121
- حسن بن الشاذلي بوزمند : 124
- حلاوة عديلة : 79

(خ)

- خليل : 93
- خير الدين بربروس : 25، 46

(ر)

- روسو : 127
- رمضان بولكباشي : 45
- رجب بن محمد : 24

(ز)

- ابن زاغوا : 31
- السلطان زيدان : 28

(س)

- سعيد بن أحمد القليعي : 76
- سعيد المقري : 91
- سعيدوني : 91
- سابو بن سهل : 102
- سعيد دحماني : 116
- سعد الدين بن شنب : 125
- سليم بابا عمر : 125
- ابن سودة : 58
- ابن سينا : 71

(ش)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- شاربنو : 123
- شو : 65، 78
- شلير : 129

(ص)

- صالح بن محمد العنتري : 14، 15، 45، 100
- صالح باي : 14، 15، 45

(ع)

- عبد الرحمان بن خلدون : 11، 18، 34، 35، 39، 40، 92، 99، 100
- عبد الكريم الفكون : 12، 13، 21، 22، 33، 35، 49، 60، 61، 69
- أبو عثمان سعيد المنداسي : 13، 30، 31، 123، 128
- عيسي التوجيي : 50
- علي أفندي : 14
- عبد الرزاق بن حمادوش : 18، 23، 29، 33، 39، 54، 55، 56، 68، 71، 72، 78، 89، 91، 92، 102، 105، 105، 116، 119، 125، 128
- أبو عبد الله مصطفى بن زرفة الدحاوي : 16، 63، 71، 72، 82، 101، 126
- علي محمد ساسي : 23
- عيسى الثعالبي : 23، 44
- ابن علي : 24
- عروج : 25، 45، 105
- أبو علي إبراهيم المريني : 43
- عثمان باشا : 45
- عبد الرحمان الجامعي : 46، 98
- عبد الله بن محمد المغوفل : 49
- عبد الرحمان المجاجي : 57، 92، 102، 123، 128
- عماد الدين الأصفهاني : 73
- عبد الرحمان الملاح : 73
- عبد الرحمان بن عبد الله التيجاني : 75
- عبد الله بن الربيع بن عبد الرحمان الشريف : 83
- عبد الرحمان بن أحمد الربيع الشريف : 84
- عبد الله بن العطار : 87
- عبد الكافي : 97
- ابن عياد : 97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الإمام عياض : 98
- أبو عبد الله محمد : 98
- عبد الله المستغانمي : 98
- عبد الرحمان قاسي : 98
- عبد الرحمان بن الشيخ محمد بن علي أيهلول : 101
- علي الشنوفي : 125
- عبد الله العروي : 119
- علي امقران السحنوني : 126
- عبد الحي الكتاني المغربي : 126
- عيسى البابلي الجلي : 122
- عبد الرحمان الجيلالي : 122، 126
- عبد الحليم الشبلي : 122
- عبد القادر : 27
- أبو عبد الله بن مسايب : 31، 58، 108، 114
- الشيخ علي الصعيدي : 72

(ف)

- ابن فرحون : 35
- فرج محمود فرج : 117
- كاثكارت : 65

(ك)

- لمنور مروش : 11
- لخضر بن خلوف : 46
- لسان الدين بن الخطيب : 51

(م)

- محمد أبو عبد الله ساسي البوني : 13، 22، 44، 97
- محمد بن أحمد الحلفاوي : 46
- محمد الهواري : 15
- مسلم بن عبد القادر الوهراني : 26، 43، 85، 114، 116، 118، 121، 127
- محمد بن نيقرو : 24
- محمد الكبير : 25، 41، 45، 47، 48، 52، 62، 64، 65، 71، 72، 77، 92، 93، 101، 105، 107، 119، 126
- محمد الغزلاوي : 25

- محمد المصطفى بن عبد الله : 25، 47، 63
- محمد عثمان : 26، 41
- محمد بن محمد بن عمر القسنطيني العدواني : 42
- محمد باشا : 45، 121، 123
- محمد بن رقية الجديري التلمساني : 45، 62، 84، 116، 125
- مصطفى بن حسن خوجة : 45
- محمد الجوزي : 50، 74
- محمد الصباغ القليعي : 51
- موسى بن علي اللالتي : 52، 75
- محمد بن سليمان : 52
- محمد بن عبد الوهاب : 56
- محمد بن محمد بن منصور العامري : 57
- موريس فاغنر : 65
- محمد أحمد النجدي : 70
- محمد السنوسي : 72، 73
- محمد سليمان الجزولي : 75
- محمد النقاوسي : 78
- محمد بن علي بن رسطان : 80
- محمد بن البشير محمد اقراي التلمساني : 84
- محمد سعيد شريفي : 86
- ابن مقلة : 87
- ابن منظور : 90
- ابن مريم : 60، 69، 73، 79، 97، 103، 105، 112، 117، 121، 128
- محمد الفكون : 91
- ابن مخلص : 92
- ابن مرزوق : 99
- محمد الوغليسي : 103
- محمود بن الفكون : 100
- محمد أفوناس : 105
- محمد بن شنب : 115، 117، 125
- محمد العربي الزبيري : 117
- محمد الصالح العنتري : 116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد بن طاهر بن حواء : 118
- محمد محي الدين بن عبد الحميد : 122
- محمد الطالب بن معمر : 122
- مصطفى السقا : 122
- محمد بخوشة : 123، 124
- محمد بن عبد الكريم : 126، 127
- محمد أبو راس الناصر : 18، 19، 25، 35، 38، 39، 40، 41، 47، 50، 52، 53، 55، 56، 57، 63، 64، 68، 75، 76، 83، 86، 89، 99، 105، 108، 110، 111، 112، 113، 114، 117، 118، 126

(ن)

- نور عصماني : 123

(هـ)

- ابن هشام : 92

(و)

- وليام هودسون : 57

(ي)

- سيدي يحي الشاوي : 98

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– فهرس الأماكن–

(أ)

- أزمير: 24
- الاوراس: ص.12
- الأندلس: 48.46.41.40.39
- الأغوالط: 64
- الأردن: 90
- الاسكندرية: 54
- اسطانبول: 121
- الجزائر: 11 . 13 . 9 . 14 . 16 . 18 . 20 . 22. 23. 24. 25. 27. 28. 29. 30. 33. 34. 36. 38. 39. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 53. 55. 56. 57. 58. 65. 66. 72. 78. 79. 83. 87. 88. 90. 92. 102. 104. 105. 115. 116. 117. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129.
- الحجاز: 13. 28. 33 . 54. 55. 56 . 90. 128 .
- الرباط: 122. 124. 125. 126.
- المغرب الأقصى: 18. 19. 28. 31. 33. 41. 48. 53. 54. 55. 61. 64. 102.
- المدينة المنورة: 55
- القاهرة: 16. 28. 54. 103. 116 .
- القيروان: 48. 49.
- القدس: 54
- ألمانيا: 125
- السودان: 41. 47 .
- الشام: 28، 46، 58
- الكويت: 90
- اليمن: 90
- ليفورن: 14
- اسبانيا: 45، 46، 121 .

(ب)

- باجة: 49
- باريس: 121، 124، 126
- بريطانيا: 121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بسكرة: 103
- بيروت: 116، 117، 121، 122، 123، 125.
- بجاية: 39، 43

(ت)

- تازة: 58.
- تركيا: 90، 121، 123، 129.
- تلمسان: 9، 13، 28، 30، 31، 33، 41، 43، 46، 48، 58، 60، 69، 78، 99، 100.
- تونس: 9، 13، 19، 26، 27، 33، 42، 48، 49، 54، 55، 56، 57، 58، 121، 122، 125، 126.

(جـ)

- جدة: 54.

(د)

- دمشق: 121

(ط)

- طرابلس: 29، 55، 57، 58.
- طنطا: 121.

(م)

- مازونة: 33
- مجاجة: 19، 57.
- متيجة: 14، 19، 102.
- مراكش: 28، 41، 122.
- مدريد: 121.
- مكناس: 31.
- مليانة: 27.
- مكة: 55، 113.
- ميلة: 87.
- ميونيخ: 125.
- مستغانم: 46.
- معسكر: 19، 20، 33، 27.
- مصر: 9، 13، 16، 28، 33، 41، 48، 54، 55، 57، 58، 90، 103، 110، 121، 122.

(ل)

- ليبيا: 42، 55.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- لبنان: 116، 121، 122، 123.
- لندن: 121.

(ن)

- نقاوس: 23

(ع)

- عين تموشنت: 26
- عين ماضي: 64
- عريش: 102.
- عنابة: 13، 14، 33، 42، 44، 49، 116، 124.

(غ)

- غريس: 39، 50.

(س)

- سجلماسة:
- سوف: 42
- سوريا: 121

(ش)

- الشام: 28، 58.
- شنقيط: 57

(ف)

- فاس: 15، 20، 27، 28، 48، 54، 101، 102، 111.
- فرنسا: 121.

(ق)

قره حصار: 24.
- قسنطينة: 12، 14، 15، 27، 33، 44، 45، 49، 78، 99، 116.

(و)

- وهران: 24، 26، 27، 40، 41، 43، 44، 46، 47، 48، 65، 105، 106، 107، 119، 122، 123، 124، 125، 127، 128.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية